



المعبود ازوريس من العهد الصاوي
محفوظ في دار تحف القاهرة تصوير الدكتور حسن كمال

انظر مقالة الزراعة المصرية القديمة

مقتطف ديسمبر ١٩٣٣

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الخامس من المجلد الثالث والثمانين

١ ديسمبر سنة ١٩٣٣

١٣ شعبان سنة ١٣٥٢

السر أوفر لدج

Sir Oliver Lodge

مباحثه العلمية — الضباب والكهربائية واللاسلكية — فذلكه من ترجمته عبوره على جسر الاثير من العلم الى الفلسفة والاعتقاد في مخاطبة الارواح

السر أوفر لدج من أعجب الشخصيات التي تشغل مقاماً عالياً في عالم الفكر الحديث . عالم طبيعي في الطبقة الاولى بين علماء الطبيعة فهو صاحب مباحث طريفة في صلة الكهربائية بالضباب وفي الوقاية من الصواعق ، وركن من الاركان التي قامت عليها المباحث والمستنبطات اللاسلكية . انه نذ هرتز ومحمد السبيل لما ركوفي . ثم هو يجمع بين العلم والفلسفة . لا يكتفي بالتجربة والملاحظة ، وانما يبني على التجربة والملاحظة نظرات فلسفية ، تدور حول الاثير ومكانه في الكون والحياة . كان من اوائل العلماء الذين رحبوا بالفتوحات الجديدة في علم الطبيعة بدراسة الالكترونات ومنبثقات الراديوم وظواهر الاشعاع . ومع ذلك ما يزال السر أوفر لدج ، من العلماء القلائل ، الذين لم ينبذوا الاثير ، بعد ما اثبت مذهب النسبية ان لا حاجة بالعلم اليه . فهو ما يزال يقول ان الاثير ضروري لتفسير بعض الظواهر الاساسية في الطبيعة والحياة والعقل هذا الرجل الذي اكتشف واستنبط وعلم وألف عشرات الكتب ، اتصل من طريق بحثه في الاثير ، الى العالم الكائن من وراء الحس . فآمن ببقاء الشخصية بعد الموت . وبامكان مخاطبة الارواح . وبالفعل خاطب روح ابنه ريموند الذي قُتل في الحرب الكبرى ووضع في ذلك مجلداً ضخماً . وما يزال حتى الساعة مرجعاً للباحثين في مناجاة الارواح ولكنه منزه عما ينسب الى اكثرهم من خداع ، ان لم ينزه عما يرمون به جميعاً من انخداع

البرق وواقياته». كان القضيب الواقي من الصواعق، المعروف بقضيب الصاعقة قد اقيم أولاً في اميركا . استنبطه بنيامين فرنكلن العالم والسياسي الاميركي، سنة ١٧٥٢. وقضيب الصاعقة يصنع عادة من حديد او نحاس ، محدّ الرأس ، ومتصل بلوح معدني بالارض الرطبة . فاذا اقتربت من البناء الذي اقيم عليه القضيب، غيمة مشحونة كهربائية استنفذ القضيب المحدد كهربائيتها رويداً رويداً. فاذا تمعّذ ذلك وانطلق الشرر الكهربائي من غيمة مشحونة كهربائية موجبة الى غيمة مشحونة كهربائية سالبة ، تلقى القضيب الشرر دون البناء واصله الى الارض فيوق البناء كذلك ضرر الصاعقة. وذاع استعمال قضيب الصاعقة على ابراج الكنائس ومداخن المعامل وغيرها من المباني العالية . ظننا انه بقي هذه المباني وقاية تامة من الصواعق. ولكن الوقاية لم تكن تامة . لان الصواعق انقضت على بعض المباني رغم قضبان الصواعق التي اقيمت عليها . فانقلب رأي الناس في فائدة قضيب الصاعقة ، وعندئذ بدأ السر اولشر لدج يعالج الموضوع . ولما كان الموضوع لا يهمننا كثيراً في هذه البلاد ، رأيت ان اكتفي بالاشارة اليه . وقد كان من اثر مباحث لدج ان حسن قضيب الصاعقة حتى يفي بالغرض منه وفاءً تاماً ، وجنت ادارة البريد البريطاني من مباحثه هذه وتجاربها ، فائدة كبيرة في وقاية اعمدة التلغراف والتلفون واسلاكهما

— ٢ —

كانت مباحثه في البرق والصواعق والوقاية منها ، مما استرعى نظره للبحث في الامواج اللاسلكية . ولعلّ القول بان السر اقر لدج من الاركان الذين قامت على مباحثهم المستنبطات اللاسلكية الحديثة ، يثير عن بعض القراء الدهشة . وقد شهد له بذلك هرتز قال : —
بحث الاستاذ اليفر لدج في لقربول نظرية موصلات البروق . فقام في هذا الصدد بتجارب في تفريغ مكثفات صغيرة قادتة الى مشاهدة اهتزازات وامواج مترددة . ولما كان لدج يسلم بأراء مكسول ويسعى لاثباتها او نفيها ، فليس ثمة اي ريب في اني لو لم اسبقه لكان في امكانه الحصول على امواج في الهواء وفي اقامة الدليل على انتقال القوة الكهربائية
وقد قال السر اليفر نفسه في هذا الصدد ما يلي . بعد ما اشار الى نظرية مكسول الرياضية الخاصة بطبيعة الضوء الكهربائية المغناطيسية وبان امواج الكهربائية تسير بسرعة الضوء : —
هذا الاكتشاف العظيم حرك فينا نحن ، الذين كنا في مستقبل العمر شوقاً شديداً الى البحث والتحري . واتذكر انني تباحثت فيه مع من نحترمه كلنا الآن جيمس فلمنج وذلك سنة ١٨٧١ و ١٨٧٢ وكنا نتاقى العلم معاً . وبعد سنة او سنتين درست كتاب مكسول في هيدلبرج وعزمت من ذلك الوقت على توليد الامواج الكهربائية التي قال عنها مكسول وعلى إيجاد طريقة للشعور بها (وهذا بمثابة الارسال والالتقاط في اللاسلكي الحديث) ... وتكلمت

انا في هذا الموضوع في المجمع البريطاني سنة ١٨٧٩ و ١٨٨٠ وفي جمعية دبلن الملكية سنة ١٨٨٢.... وكان رأي فتزجرالد (وهو من اعلم اهل زمانه حينئذ) «ان توليد الاضطرابات الموجية في الاثير بواسطة القوى الكهربائية غير ممكن». ثم اصلح فتزجرالد خطاه وحذف كلمة «غير» من عباراته المتقدمة. وبين سنة ١٨٨٣ كيف يمكن ان تولد هذه الامواج... ولو استطعنا حينئذ ان نصنع آلة تلتقط الامواج الكهربائية لوصلنا الى التلغراف اللاسلكي» وتفصيل مباحثه في هذه الناحية والرسائل التي القاها ونشرها في الموضوع يحتاج الى اسهاب لا يتسع له هذا الفصل. وانما لا بد من الاشارة الى ان لدج هو الذي اكتشف الرابط Coherer وهو جزء كان لا بد منه في آلة الالتقاط اللاسلكية. فقد لاحظ لدج سنة ١٨٨٩ التصاق الدقائق او تجمعها بفعل الكهربائية. وانه اذا انقطع التيار تفرقت الدقائق. وكان برانلي الفرنسي قد لاحظ هذه الظاهرة وصنع آلة دعيت «رابطاً» او «مجمّعا» Coherer ولكنه لم يفتن الى فائدتها، فاستعملها لدج سنة ١٨٩٤ في تبين الامواج اللاسلكية المنطلقة في الفضاء من ارضه الامواج في برادة الرابط، بعد ما حسنه حتى يصير اذق احساساً مما كان. وبعد ذلك بسنة نجح ماركوني في تجاربه اللاسلكية الاولى، وتعاون بعينها مع لدج في تحسين بعض الاجهزة اللاسلكية. ولما خطب لدج مبيناً طرفاً من نصيبه في المباحث اللاسلكية الاولى قال: - ودفعاً لكل مظنة اصرح انه لولا همة السنيور ماركوني ومقدرته واجتهاده ما صار التلغراف اللاسلكي وسيلة من الوسائل التجارية ولا كانت محطاته قد انتشرت في كل الكرة الارضية ولا كان له الشأن الذي له الآن. وقال في الخطبة نفسها: - لما تمكن السنيور ماركوني من نقل حرف S بتلغراف مورس من ايرلندا الى اميركا، نصب علماء في تاريخ البشر يصلح ان يجعل مبداً تاريخياً لما فيه من الغرابة والابداع

-٣-

ولد لندج في ١٢ يونيو سنة ١٨٥١ فهو اليوم في الثالثة والثمانين من عمره حافل بالمآثر. وقد كتب اكثر من عشرة كتب بعد ما بلغ السبعين من عمره. كان ابوه خزافاً فبعث به الى مدرسة نيوبورت فظل فيها حتى الرابعة عشرة من العمر ثم ضمّه اليه في عمل الخزف وكان على وشك ان يصبح خزافاً لما وقع في يديه صدفة نسخ من مجلة انكليزية تدعى «الميكانيكي القديم»، ففتحت له باب عالم جديد. فسار في الطريق، غير هيّاب. وظل مع ابيه مبيع سنوات قبلما ادرك هذا ان ابنه نابغة علم. فبعث به الى لندن ليصغي الى محاضرات الاستاذ تندل في كلية لندن الجامعة ويتلقى اصول العلم فيها على اساطينه. وكان لا يملك الشاب نفقاته فاضطر ان يعطي دروساً خاصة ليتمكن من مواصلة الدراسة. وانت تستطيع ان تدرك مبلغ نجاحه اذا عرفت انه في خلال خمس سنوات بعد الانتظام في ذلك المعهد نال لقب

دكتور في العلوم وتزوج . ولما كان في الثلاثين ، اي تسع سنوات بعد هجره لصناعة الخلف ، عين استاذاً للطبيعة في جامعة لثريول . ومنح مدالية رمفرد ، لمباحثه في الكهرباء ، فلما عين مستشاراً لاحدى الشركات الكهربائية ، طبّق مباحثه النظرية تطبيقاً جنت منه الشركة فائدة كبيرة . ثم عين مديراً للجامعة برمنغهام الجديدة سنة ١٩٠٠ فظلّ في منصبه حتى سنة ١٩٢٠ وهناك قام بالتجربة التي وصفناها في مطلع هذا الفصل ، ومن منبرها العام اصبح لدج ، قوة فعالة في نشر العلوم الحديثة ، بالدروس التي كان يلقيها والمقالات والكتب التي كان يؤلفها . وفي سنة ١٩٠٢ منحه الملك ادورد السابع رتبة فارس ولقب سر وانتخب عضواً في الجمعية الملكية واختير بعد ذلك رئيساً لمجمع تقدّم العلوم البريطاني (١٩١٣) ، ورئيساً للجمعية الطبيعية ورئيساً لجمعية المباحث النفسية ورئيساً لجمعية رنتجن

— ٤ —

قلنا في صدر الكلام ، ان لدج مفكّر يجمع بين العلم والفلسفة . وقد كان الاثير الجسر الذي عبر عليه من العلم الى الفلسفة ، ثم خلق به في عالم الارواح ماذا يملأ الفضاء . وماذا يربط بين الشمس في رحاب الكون . وبين الذرّات واجزاء الذرّات ؟ العلوم متجهة الآن الى ان كل شيء مؤلف من اجزاء منفصلة بعضها عن بعض . انظر الى القبة الزرقاء في ليلة صافية الاديم ترّ النجوم منشورة في نواحيها . تفصل بينها رحاب شاسعة . اذا اطلقت صاروخاً في الفضاء كان احتمال اصابتك احد الكواكب به بعيداً جداً . وهو مثل احتمال اصابتك طائراً اذا اطلقت بندقيتك عفواً او اعتباطاً في الهواء . فالرحاب التي تفصل بين النجوم والسدم عظيمة جداً

ولكن ما قولك في خشب هذه المائدة . وزجاج هذا المصباح . وقماش هذا الطربوش ؟ اليس الخشب والزجاج والقماش مواد متصلة الاجزاء ؟ كلاًّ انها ليست متصلة الاجزاء . فهي في تركيبها الاسامي مؤلفة من ذرات العناصر . وذرات العناصر مركبة من كهارب وبرتونات . والكهارب والبرتونات . شحنات كهربائية دقيقة كلّ الدقة . ونسبة بُعد الكهارب عن نواته قد يقابل بنسبة بعد احد السيارات عن الشمس . فالذرة معظمها فراغ . وفي هذا الفراغ الفسيح نثرة من الكهرباء هنا ونثرة هناك . فالانفصال آية الطبيعة في الاجسام المادية كبيرها وصغيرها على السواء

فلو لم يكن في الكون الاّ المادة . لما وجد رابط يربط بين هذه الاجزاء المنتشرة . واذاً لكان الكون خواء (Chaos) تاماً

ولكننا نعلم ان النجوم ليست مستقلة احداها عن الاخرى . فهي تنتظم بمجموعات شمسية هنا . ومجموعات ثنائية هناك . وعناقيد نجمية هنالك . فثمة رابط يربط بينها . يدعى

الجاذبية . ولو لم نعلم ما هو هذا الرابط على حقيقته . وإذا فالفضاء بينها لا يمكن ان يكون فراغاً وما يصح على النجوم ورحاب الفضاء يصح على الاجسام المادية . فالجزيئات والذرات . والالكترونات والبروتونات تتجمع وتلتصق . فالجسم الجامد له حجم معين وشكل معين . فاذا كان بلورة رأينا في تنسيق سطوحها جمالاً ونظاماً . ومهما تبلغ المساحات بين الجزيئات والذرات لا بد ان تكون مملوءة بشيء يربط بين دقائق المادة . ويجب ان يكون هذا الشيء متصلاً قد يختلف في الاسم الذي نطلقه عليه . فندعوه آناً بالاثير . وآناً بالفضاء المطلق . وآناً بالحيز الكوني الزماني المستمر Space-time Continuum كما يدعى في مذهب اصحاب النسبية . ولكن لا ريب في اننا نحتاج الى شيء يتصف بهذه الصفة الاساسية التي لا نعرف من دونها سبيلاً الى فهم الكون الطبيعي فهماً متسقاً
كذلك يقول لدج

وللاثير صفات اخرى اهمها انه لا يرى ولا يشتم ولا يسمع ولا يلمس . وانما استطاع تمويهه ، والانسان يستطيع ان يحس ببعض تموجاته . فهو ناقل للضوء . لا يعيقه من المرور كما تعيقه المادة . فوظيفته الاولى اذا ان يكون رابطاً بين دقائق المادة . ووظيفته الثانية ان يكون وسطاً لنقل امواج الطاقة على اختلافها من الاشعة الكونية البالغة حدّاً متناهيّاً من القصر ، الى الاشعة اللاسلكية التي تبلغ موجتها أحياناً عشرين كيلو متراً او تزيد ثم ان الاثير لا يتحوّل ، ولا ينحل ، شديد الصلابة ولكن المادة تتحرك فيه ولا تجد أقل معارضة من فرك او لزوجة
فلاثير ليس مادة بالذات لكنه ماديٌّ

وهو اداة الاتصال الكبرى . وقد يكون اكثر من ذلك . لان بدونه لا يكون للعالم المادي وجود . ومهما تكن الحال فلا شبهة في لزومه للاتصال لانه يشغل كل المسافات التي بين دقائق المادة ويوصل بينها . واذا كان في الامكان وجود المادة من دونه فتكون اجزاء متفرقة . هو الصلة بين العوالم والدقائق . ومع ذلك فقد ينكر الناس وجوده لأنهم لا يشعرون به بحاسة من حواسهم ، إلا بالبصر اذا يتموج

- ٥ -

اذا خرجنا من ميدان البحث العلمي البحت ، جابهنا السؤال الآتي : هل للاثير صلة بالحياة ؟ نحن نعلم ان المادة لها شكلان شكل جامد خالٍ من الحياة ، كالجوامد والسوائل والغازات والكهارب والبروتونات . وشكل آخر يعرف بالشكل العضوي وهي فيه جزيئات كبيرة معقدة التركيب تعرف بالبروتوبلازم . والبروتوبلازم هو آلة الحياة . فبعض اشكال المادة حي والحياة لغز لم ينفذ الى سره بعد . فنحن لا نعلم ما الحياة . وانما نشاهد ما تفعله الحياة . انها

تؤثر في المادة ، وتتخذ اشكالاً مختلفة من المادة وتنتقل من السلف الى الخلف . فالحياة قد تتخذ شجرة البلوط شكلاً تظهر فيه . وحياة شجرة البلوط تنتقل الى شجرة اخرى من البلوط . او قد تتخذ الحياة العصفور شكلاً تظهر فيه ، او سمكة او دودة واشكال الاحياء كثيرة لا تحصى في مرحلة معينة من مراحل الحياة ينبثق العقل في هذه المادة الحية التي ندعوها البروتوبلازم . واذاً فالعقل والحياة قد ائسرا في المادة . اننا لانعرف ما هما . وانما ندرس مظاهرها . انهما يستعملان المادة مدة ثم يختفيان . يقول لدج يختفيان لا يتلاشيان قصداً . انهما يزولان من حيز معرفتنا نحن . ولكن من يستطيع ان يقول انهما يزولان من الوجود حتماً . وكل ما نستطيع ان نقوله انهما يؤثران في المادة تأثيراً وقتياً

ولكن هل تؤثر الحياة ، والعقل في المادة فقط ، دون الاثير الذي يربط بين دقائقها ؟ هل تؤثر الحياة في الاثير كما تؤثر في المادة ؟ اننا لانعلم كيف تؤثر الحياة في المادة . وانما نعلم انها تؤثر . ولكننا لا نستطيع ان نثبت انها تؤثر في الاثير . وانما نحن نوجه هذا السؤال الى الباحثين . ثم هناك سؤال اهم من هذا واكثر اشكالاً . في الانسان صفات العقل والشعور والذاكرة والمحبة . وهي صفات لا نستطيع ان نقول بفقدائها في الحيوانات العليا . وانما نعلم انها تتجلى في الانسان ؟ فهل تحتاج هذه الصفات العليا الى اداة تتجلى فيها في العالم المادي ؟ اننا نتيقن هذه الصفات اذ تبدو في المادة ، فتفعل بالمادة ، تنقلها وتغير اشكالها وتبدل من ترتيبها وتنفخ فيها احياناً معنى من المعاني . انها تتخذ من دقائق المادة مجلّ لها . فنحن لا نتيقن الا اذا ظهرت بهذا المظهر المادي ، لان حواسنا مادية

ولكن لا بد من سؤال آخر . هل هذه الصفات النفسية ، تفعل بالمادة فعلاً مباشراً او غير مباشر . هذه مسألة يجب ان تخضع للامتحان والتجربة . لا بد في هذا الفعل من الاتصال . اننا نمسك بحجر ونقله من مكان الى آخر . ولكن الذرات لا تتصل قط . بل بينها فراغ . فاذا اقتربت دقيقتان ماديتان ، احدهما من الاخرى ، تولت قوى الدفع الفصل بينهما . فالكهرب لا يستطيع ان يلمس الكهرباء . لانهما متدافعان . فهل يستطيع الكهرباء ان يلمس البروتون ؟ لا نعلم . ولكن اذا لمسهُ ، انطلقت شرارة تدل على فناء احدهما في الآخر والواقع اننا اذ نلمس جسماً من الاجسام انما نلمس الاثير . فهو الشيء الذي يملأ كل المسافات بين الاجسام . ولكن اذا كان لمسنا لا يتعدى الاثير ، لا نستطيع ان نحدد اثره بحسب به صاحبنا او جارنا او محدثنا . لأن حواس الناس لا تستطيع ان تدرك الاثير الا اذا تموج . واذاً فالحياة اذ تفعل بالمادة تفعل بالايثار اولاً فعلاً مباشراً ، وبالمادة ثانية فعلاً غير مباشر ولذلك يذهب السر اولفر لدج ، الى أن اداة الحياة والعقل ليست المادة ، بل الاثير يقول علماء الحياة انه لا بد للحياة والعقل من جسم مادي يحملهما . وهذا مسلم به .

ولكن هذا الحامل قد لا يلزم ان يكون مادة في شكل من اشكالها المعروفة . بل قد يكون ابسط من المواد المعروفة . فقد يكون شيئاً ، المادة صورة محسوسة من صورته . والاثير عند السر اولفر لدج جسم متجانس فاذا تنوع كانت المادة

فالحياة والعقل قد يكونان متصلان بالاثير اتصالاً لا ندركه بحواسنا . واذاً فلا يحق للعلم ان ينفيه نفياً مطلقاً . فالفني ليس من شؤون العلم . وانما شأنه الاثبات . والفني القاطع اصعب من الاثبات ، لانه يقتضي علماً واسعاً محيطاً بكل شيء شاملاً لكل شيء . ونحن نعلم ان فرعاً من العلم قد يغفل شيئاً . ويعتني به فرع آخر . فالفرع الاول لا يستطيع ان ينفي وجود هذا الشيء نفياً قاطعاً . فالكيمائيون يغفلون الاثير . وعلماء الطبيعة يغفلون الاحياء . وعلماء الحياة يغفلون في بحثهم العقل والقصد . وعلماء الميكروسكوب لا يلتفتون الى الكواكب . فهل يصح ان تنكر كل هذه الاشياء لان علماء من العلوم لا يلتفت اليها ؟ وما احسن ما قيل من ان الشك في كل شيء والتصديق بكل شيء حل يلجأ اليه الذين لا يريدون ان يشغلوا عقولهم

فاذا قام العلماء ونفوا وجود ما يخرجونه من نطاق بحثهم بطبيعة هذا البحث ، وجب ان لا نقبل قولهم . ان قوانا محدودة وحواسنا لم تألف الا المادة التي نشعر بها . ولا شيء غيرها نستطيع ادراكه . ان عضلاتنا واعصابنا صالحة لتحريك المادة في الجهة التي نختارها . هذا هو جهازنا لحياتنا الارضية وما تاريخ الانسان الا اخبار ما فعله بهذه القوى الطفيفة التي اعطيناها بالمادة يعرف كل منا بوجود الآخر وبها نتخاطب مع الذين افكارهم تشبه افكارنا ، إما بحركات تموجية كما بالكلام والغناء او بتوزيع دقائق المادة كما في الكتابة والتصوير . فننتخاطب كذلك ونتفاهم . وقد الفنا هذه الوسائل حتى صرنا نحسبها هي وامثالها الوسائل الطبيعية الوحيدة للتخاطب والتفاهم وان كل وسيلة غيرها يصل بها المراد من عقل الى عقل مباشرة خرق لحزمة العلم

— ٦ —

من هنا ترى الاساس الذي يقوم عليه اعتقاد لدج في بقاء الشخصية ومخاطبة الارواح . فهو يقول ان الحياة والعقل يحتاجان الى أداة . يظهران بها . او يتجليان فيها . ولكن هذه الاداة لا يجب ان تكون مادة . بل قد تكون الاثير نفسه . واذاً فبقاؤها بعد انحلال الجسم المادي محتمل . وان كنا لا نستطيع ادراكه بحواسنا . ولكن بعضاً منا ممن ارهفت حواسهم يستطيعون ان يتبينوا اثر الشخصية في الاثير . فيتلقون من الاشخاص الذاهبين ، الذين خرجوا من دائرة الوجود المادي الرسائل والانباء

كل هذا فرض جميل . وكل انسان اذا تخطى عهد الشباب والفتوة يتوق اذا كان ممن يفكر في خفايا الحياة والسكون الى ان يعرف ما وراء الموت . ويتوق كذلك الى الايمان ببقاء الشخصية وفي هذا الفرض من الناحية الفلاسفية ما يكفي

ولكن موضوع مخاطبة الأرواح الذي حالجهُ السر اولثر لدج معالجة عملية ليس له بالفرض الفلسفي الاصلة ضعيفة . وهو مثار لاختلاف الرأي بين الثقات . وقد جددت العناية به في العهد الاخير في هذه البلاد بعد ما نشره بعض الكتاب من المقالات في الموضوع والواقع ان هذه المخاطبة تحتلط بكثير من الخداع والانخداع

ويكفي ان استشهد بالحادثة التالية لكي ابين ان الجزم في هذه الموضوعات من اصعب الامور . من نحو ثماني سنوات ، عرضت مجلة السينتك امريكان جائزة مالية كبيرة ، لاي وسيط او وسيطة ، يقوم بظاهرة نفسية ، تثبت على الامتحان امام لجنة مؤلفة من عالمين طبيعيين وعالم نفسي ومشعوذ وسكرتير . وقد تقدم الى هذه اللجنة لنيل هذه الجائزة نحو عشرة وسطاء اثبت البحث ان تسعة منهم خادعون ، وظهرت طرق خداعهم . واما الوسيط العاشر وكان وسيطة تدعى مارجري ، ففسرت الظاهرات التي تجلّت في أفعالها تفسيراً ، فيه مطّ لبعض النظريات النفسية ولا يقنع طالب الحقيقة من هذه الناحية او من تلك . وما زالت الجائزة في خزائن المجلة لم تمنح لأحد

واذن فنحن امام امرين . الاول ان حلقات الوسطاء حافلة بالخداعين فيجب ألا نستسلم لاول صوت نسمعه فنتخيله صوت من يزيد مخاطبته . والثاني ان هناك ظاهرات عجيبة تحير العقل ولا يمكن تحليلها بما نملكه الآن من الحقائق والوسائل

فالوقف المعقول يقضي علينا بالزام الحذر في الحكم . فكثير من الحقائق العلمية انكرت في اول عهدها ثم ثبتت صحتها . وثمة طائفة اخرى من الحقائق العلمية ، لم نستطع كشفها الا بعد كشف وسيلة علمية جديدة كالسكرسكوب او التلسكوب او الاشعة السينية . ومن يدري ما يأتي به العلم في غدٍ من الوسائل الجديدة . فالاشعة الكونية مثلاً اقوى نفوذاً من اشعة اكس واشدّ فعلاً وقد تسخر غداً او بعد غدٍ فتكشف لنا عن عوالم كانت خافية عنا لاننا لم نملك الوسائل اللازمة لتبينها

ثم ان اساليب البحث الطبيعي ليست كل الاساليب التي يمكن الوصول بها الى الحقائق فاذا شئت ان تكتفي بما تثبته الوسائل العلمية المعروفة . والامتحانات والتجارب التي قام بها رجال منزّهون عن الهوى . استطعت ان تقول ان مخاطبة الارواح لم تثبت بعد . ولكن ليس في العلم ما ينفيها . لان العلم لا يستطيع ان ينفي . الا اذا احاط بكل شيء . واستقرأ استقراءً شاملاً واذا شئت ان تنظر نظراً فلسفياً فلك ان تعتقد مع السر القذر لدج انه رغم الخداع والانخداع الذي يخاطبان اعمال الوسطاء يقتضي اتساق النظرة العلمية الفلسفية التي بسطناها بقاء الشخصية بعد انحلال الجسم المادي ودوام تأثيرها في الاثير المالىء لرحاب الكون

فؤاد صروف

القضايا الاجتماعية الكبرى

في العالم العربي

للكاتب: نور محمد الرحمن شهبند

معرض المذاهب السياسية

الفاشستية والنازية والكمالية

في وصف «الفاشستية» الإيطالية ما يغني القارئ عن ذكر «النازية» الألمانية لأن هذه نسخة منقولة عن تلك بشيء من التصرف تقتضيه ذهنية الألمان وتربيتهم والاحوال التي طرأت على بلادهم، فمن ذلك مثلاً ان (هتلر) زعيم النازي مع كل ما اقدم عليه من الضغط على خصوصه والتهجم على حريتهم الشخصية خصوصاً الشيوعيين منهم كان بالاجمال أبعد عن العنف واتخاذ الشدة من زميله (موسوليني) زعيم الفاشستى الأ مع اليهود، وهذه الشدة معهم ناشئة من اعتقاد الوطنيين الألمان الراسخ بان اليهود كانوا اصل بلائهم في الحرب العالمية ومصدر نكبة ألمانيا في اوصابها الحاضرة وسبب تفسخ ابنائها من جراء انتشار العقائد اللاوطنية اليهودية بينهم كالماركسية وغيرها وان الاختبار دلهم في بلادهم وفي غيرها على ان اليهودي يهودي قبل كل شيء مهما تغيرت الاحوال وتبدلت الاوضاع

ثم هنالك فرق جوهري في التطبيق وهو ان الفاشستية تطبق في بلاد غالبية تتمتع بحريتها التامة، فموسوليني زعيم مطلق التصرف مثل زميله مصطفى كمال، في حين تحاط النازية بالدول الغالبة التي تهددها بالتدخل في شؤونها في كل حين لاعذار مختلفة فتضيف الى عبء خصوم (هتلر) الداخلين عبء العداوة الخارجية الثقيل، لكن النشاط الذي أبداه (هتلر) في الداخل والحزم الذي تذرعه في الخارج عاداً عليه باجتماع كلمة الألمان حوله وتراجع الدول الغالبة عن خططها التهديدية لاذلال ألمانيا، فبعد ذلك التفسخ والخضوع والرضى بالمعاهدات الجائرة قامت ألمانيا النازية تطالب بحقوقها في الحياة والجلوس على المائدة الدولية على مستوى الدول المعظمة الأخرى

﴿الفاشستية﴾ : لقد خرجت إيطاليا من الحرب العالمية مثل سائر الدول المحاربة منهوكة القوى تهددها الثورات وتفت في ساعدها الانقسامات الحزبية واعظم خطر احاق بها خطر الشيوعية

حتى ان الشيوعيين حاولوا في تلك الايام تطبيق المنهاج الشيوعي في (بولونيا) احدى مقاطعاتهم. وفي شهر تموز - يوليو - من سنة ١٩٢٠ حلّ السنيور (جيولتي) محلّ السنيور (نيتي) في رئاسة الوزارة فقام بشيء من التجارب الاشتراكية في المملكة ولكن ذلك لم يخفف من حماسة الشيوعيين بل زادهم لهباً فقاموا بثورات عنيفة في سنة ١٩٢١ في انحاء البلاد مما احدث رد فعل شديد في العناصر الوطنية التي نشأت على احترام (غاريبالدي) و (كافور) وغيرهما من مؤسسي ايطاليا الحديثة ووجدتها الوطنية السياسية، ولا سيما بين الطبقات الرأسمالية التي تحترم قاعدة الملك الخاص وتعدّها الباعث على الانتعاش والارتقاء. فتألف من هؤلاء جمعية باسم « الفاشستي » رمزها ارتداء القمصان السود ودينها الوطنية ودينها مصارعة الاشتراكية فسلكت سبيل العنف والشدة مع الخصوم ورأت خير زعيم لتنفيذ رغائبها السنيور (بنيتو موسوليني) الصحفي الراديكالي سابقاً فولته قيادها فساقتها الى الامام بحزم وعزم ومهارة نادرة حتى قضى على الشيوعيين وعلى اعمالهم العنيفة - ولو مؤقتاً - بسرعة فائقة وقبض على الاحرار المخالفين من زعماء وكتّاب والقائم في غياهب السجن. وتمكن من انقاذ البلاد من الفوضى التي كانت ضاربة اطرافها، وزاد في نجاحه ما اظهره الزعماء الاشتراكيون من السفخافات الضيائية والتقلقل المعيب والجبن الذي نهك قواهم، ومن الطرق المستعربة التي سلكها في إسكات المنتقدين ومضايقتهم تبليغهم جرماً كبيرة من زيت الخروع. وصار القتل والضرب والتعذيب وحرق الاملاك الخاصة كما قال (اتش. جي. ونز) من الوسائل الادارية في ايطاليا لكبح جماح الاحرار والقضاء على مذاهبهم « فزال شيخ الشيوعية وحلّ محله حكم السلايين النهائيين »^(١) ولما اشتدت شوكة الفاشستيين وتأييد سلطانهم وصار لهم جيش نظامي يعتمد عليه زحفوا في شهر اكتوبر من سنة ١٩٢٢ على رومية لاحتلالها فترعت الوزارة (وزارة السنيور فاكتا) لملاقاتهم في الميدان واعلنت الاحكام العرفية وعرضت على الملك الخطط التي تدرعت بها ولكن الملك بدلاً من اقرارها على ذلك دعا اليه (موسوليني) لتولي زمام الأمر فتولاه وقبض بيد من حديد على شؤون الدولة ومرافقها ومصادر قوتها حتى دان له الشعب، ومما فعله في هذا الباب انه قضى على حرية الصحافة وجعل الانتخاب لمجلس النواب مهزلة تشبه مهزلة المجلس الوطني الكبير في انقره، وما فتى يلقى خصومه السياسيين في اعماق السجون ويأخذهم بالشدة ويقابلهم بالهول حتى قضى عليهم قضاءً مبرماً واصبح الأمر النهائي في طول البلاد وعرضها. وكلمة « الدتشي » - وهي اللقب الذي يطلق عليه - تعني في معجم السياسة الحاضرة الجبار القاهر

ومما تحسن الإشارة اليه ان « الدتشي » ما تربع على دست الوزارة حتى احتقر البرلمان وحمل

على النظم الديمقراطية ولم يذكر الجمهورية التي كان يتغنى بها بكلمة واحدة . ومما جاء في احدى خطبه يومئذ قوله : « ان جميع المشا كل المتعلقة بالحياة الايطالية قد وجد لها الحل على الورق ولكن الحزم اللازم لوضعها موضع التنفيذ كان مفقوداً فعلى الحكومة الفاشستية ان تمثل هذا الحزم وهذه الارادة التي لامرء لها . والواجب ان تكون القواعد الكبرى في سياستنا الداخلية الاقتصاد والعمل والتدريب » (١)

وقد أتى ظهور الفاشستية في ايطاليا والنازية في المانيا (والكالية في تركيا) برهاناً آخر على صحة مذهب ارسطو من ان الفوضى تؤدي الى الحكم القاهر . فالفوضى التي منيت بها ايطاليا عقب الحرب العالمية خلقت سوسوليني وجعلته رجل الساعة خصوصاً لأن زعماء الاشتراكيين الطليان على ذاك العهد كانوا ثرارين — يكثر من الكلام ولا يكادون يعملون شيئاً ، وكل حزب يجعل همّه الهدم بمحاول النقد المجرّد من الاعمال الايجابية البنائية يستطيع ان يشل يد الحكومة ولكنه عاجز عن الجلوس على منصتها وهذا ما يمهد السبيل الى يد القاهر الحازمة التي تنقذ الموقف . وكان الاشتراكيون في حيص بيص لم يرضوا بالطريقة القديمة من جهة ولكنهم مع عطفهم الشديد على روسيا لم يجرؤوا على اعلان الشيوعية من جهة اخرى ، فادّعى هذا التقليل في موقفهم الى الاستياء العام والى اخفاق الطريقة البرلمانية وما فيها من اخذ ورد على غير طائل والى رفع الثقة من الاشتراكية ومن انصارها ومن الحزب الكاثوليكي واعوانه مما عبّد الطريق امام (الدتشي) وجيشه اللجب من الرجال الناقين وفتح ابواب رومية ليد القادرة والادارة الحازمة . ولم يمض زمن طويل حتى انضم الملك نفسه اليها ودخل تحت لوائها . سنة في سياسة الامم حكم بها الدهر ليد القادرة منذ فجر التاريخ ولن تجد لهذه السنة تبديلاً تشترك الفاشستية الايطالية ومعها النازية الالمانية — والكالية الى مدى بعيد — من جهة والشيوعية الروسية من جهة اخرى في الشؤون الآتية :

(اولاً) اصرارها ككتيهما على ان الوطنية الصحيحة هي عمل ايجابي لا اهل سلبى ، فوقف المتفرجين غير المبالين موقف لا يليق بالمجتمع السليم ولا بنظرية الجماعة المسؤولة ، والبيت الذي لا يكثر ث اهله لترتيبه ونظامه بيت محكوم عليه بالفوضى والانهدام (ثانياً) الشد بخناق جميع العناصر العدائية والآراء المخالفة والسعي في حرمانها من الاشتراك في ادارة الدولة وسد المنافس دون افصاحها عن آرائها وبث دمايتها (ثالثاً) رغبتهما ككتيهما في ضم جميع المتحدات الاختيارية الحرة وسائر انواع الحياة المشتركة تحت لواء الدولة السامي (رابعاً) عزمهما على تحويل الاشتراكية الوطنية في ايطاليا والمانيا وتركيا والاشتراكية

الشيوعية في روسيا اليد العليا في تعيين السياسة الواجبة الاتباع كأننا ما كان اسمها . ولئن تاملت الشيوعية والفاشية في الطرائق الموصلة هذا التماثل الشديد فالغايات مختلفة كل الاختلاف ، ذلك لان الاساس الذي يبنى عليه العمل في الشيوعية الماركسية هو الطبقة فعلى الطبقة وما فيها من قوة حافزة وما لها من مصلحة ملجئة يجب ان يبنى المجتمع الجديد واما في الفاشية واضرابها فقطب الدائرة هو الامة ، وان غاية السياسة جعل الامة عظيمة متمتعاً بحقوقها رافلةً بحمل السعادة ، وإيجاد اللسان السياسي او الاداة السياسية التي تعبر عن الحياة الوطنية كاملة ، وهكذا نجد النظريتين الاشتراكية الماركسية والاشتراكية الوطنية على طرفي نقيض ، ويزيد في هذا التباين وما يجر اليه من تنازع جوهرى ان الوطنية في نظر الفاشية لم تعد شيئاً يظفر به الوطنيون بالانتصار على عدو اجنبي ظالم بل هي شيء راهن حاصل في اليد شكلاً ولكنه يحتاج الى من ينفخ فيه روحاً ويكسوه لحمًا ويحميه من مجازر الاشتراكية وغارات « الدولية »

ولم تكن الفاشية في اول عهدها نظرية علمية او منهاجاً سياسياً بقدر ما كانت دعوة الى العمل وسعيًا لانقاذ الوطن من التفكك والانحلال ، ويمكن وضع تعريف لها بسرد ما تضمنته من الكلمات او المصطلحات الدالة على الكراهة والبغض اكثر مما فيها من التعاليم والآراء اللهم الا ما دعت اليه من وطنية تحت وانها رسالة جذابة للنشء الحديث وانها التفتت الى العمل واعتدت به واهملت شأن النظر : وقد ابغضت الشيوعية ونفرت من « الدولية » على اشكالها ومن الحروب بين الطبقات وحملت على الطريقة البرلمانية حملة شعواء وحكمت عليها بانها سبب الخيبة وسوء الادارة في ايطاليا - يشاطرها هذا الرأي كل من تتبع سير البرلمانات في جميع البلدان التي لم يستعد اهلها للحكم الديموقراطي ، بل ان هذا الشكل في الحكم يلاقي خصوصاً الداء حتى في ارقى البلدان

وتقوم الفاشية من الاساس على فكرة ان الامة هي الوجود الاخلاقي الذي ما بعده وجود ، وان الواجب على الجميع ان يخضعوا لها ويلتحقوا بها ويسعوا الى تحقيق ذاتهم وما تتطلبه نفوسهم ضمنها وبواسطتها . وعلى الناس نحو الامة واجبات ولكن ليس على الامة من واجب ، وقد تتصل بالامم الاخرى بمعاملات سامية حبية او حرية عدائية ولكنها لا تعترف بتفوق احد عليها او بخضوعها للأسرة الدولية التي هي عضو من اعضائها . وتسعى بروح تحاكي روح (فردريخ نيتشه) الفيلسوف الالماني نصير القوة الى التوسع والانبساط والتجلي بحيث لا يكون السلم العالمي العام متوقفاً على شيء يعارض طموحها . فالامة عند القائلين بهذا المذهب هي الوجود الشامل والسياسة هي تحقيق المطالب الوطنية . وقصارى القول اننا في شرح الفاشية والاشارة الى زميلتها النازية والكمالية نشعر كأننا نشرح نظرية (هيجل) في

تقديس الدولة وجعل الوطن سر الاسرار ومجلى الانوار

وتعجد هذه الطرائق الثلاث الفضائل العسكرية ، وفي سياستها نفعة حربية مستمرة ،
واذا كان هتلر في خطابه السياسي الذي سبق المؤتمر الاقتصادي العالمي قد تجنب اضطراباً
ذكر الفتوحات والبسطة السياسية ومصطفى كمال حاول الظهور بمظهر المكتفي بتركيا في
حدودها الحاضرة فان الفاشستية عند مؤسسيها تعني التوسع السياسي في الخارج صراحة ،
وقد يعميها هذا الميل الاستعماري عن مصالحها الحقيقية ويحملها على البذل الغالي في المال
والسمعة والرجال في سبيل بلاد قاحلة قليلة الانتاج مثل طرابلس الغرب وبرقة ، بل انها لم
تتورع هناك ان تسود صحيفتها فتقتل شيخاً طاعناً في السن من كبار المجاهدين مثل عمر
المختار للارهاب العسكري . على ان نظرة سياسية صادقة فيما لها من المصالح في الشرق تدعوها
الى جعل شاطئ الصحراء الليبية الخاوية على عروشها مكاناً تتحجب الى سكانه فتمنحهم من
العطايا السياسية ما يثبت لها دعاية في شمال افريقية تزعزع بها اعظم دولة حربية تهددها وتهدد
غيرها من الدول «بالامبراطورية السوداء» التي تحلم بتأسيسها في افريقية . قال السنيور (نيتي)
رئيس وزارتهم المشهور «ان ليبيا— يعني طرابلس وبرقة —هي المستعمرة التي كلفت ايطاليا
اعظم البذل ، ومع كل هذه الحروب المديدة التي خضنا معاركها هناك والنفقات الباهظة
التي انفقناها فالظاهر انها محكوم عليها ان تبقى عبئاً ثقيلاً على ميزانية الدولة وسبباً مستمراً
للقلق واشتغال البال»^(١)

ان مثل هذه الذهنية الهجومية الدفاعية تحتم على ايطاليا ان تفكر في الحرب وتعددها في
حيز الامكان دائماً ، فلا يجوز للايطاليين والحالة هذه ان يستكينوا للسلم او يستسلموا له حتى
لو كانوا ينوون الدفاع عنه

وتعني الوطنية عدا ذلك الارتكاز في الداخل فيجب تنظيم حياة المجتمع الايطالي وضمه
حول دولة الامة . ولا يسمح لاية اداة من ادوات العمل او الكلام ان تعيش في المجتمع
الايطالي ما لم توطد العزم على احناء الرأس امام الفكرة الوطنية وان تقوم بالقسط المتوجب
عليها في تحقيقها . ويتناول هذا الموقف اعادة حركة العمال خاصة والقضاء عليها سواء بالشكل
الذي اتخذته في ايطاليا ام في غيرها ، لان طبقة العمال كطبقة الرأسماليين تتشابه في الاقطار
الصناعية وتتخذ شكلاً واحداً ، وهي من الاساس مشوبة بالفكرة الدولية فالمتحركات التجارية
والاحزاب الاشتراكية كلتاهما سواسية فيما لها من التأخي الدولي والخضوع لفكرة التعاضد
بين افراد الطبقة الواحدة في الدول المتعددة ، لذلك يتحتم على الفاشستية ان تحتج هذه المجموعات
من اصولها ، ولكن لا تتوصل الى ذلك ما لم يكن عندها ما يحل محلها ، ذلك لان المجتمع

الحاضر يجب ان يزود بهيئات منظمة تفصح عن حاجات العمال ومطالبها العادلة، وما لم يعترف بهذه الحاجات وبسلم بحقوقها فانها تتخذ شكلاً معادياً لمصالح الذين يريدون القضاء عليها . وفي الحق ان الفاشستية ما كانت لتستطيع الثبات وهي تحارب الاشتراكية هذه المحاربة القاسية لولم تلتفت الى مصالح العمال الاساسية وتحول دون تدفق تلك الاجور الباهظة او الارباح الغزيرة الى جيوب بعض الطفيليات في المجتمع الايطالي

لا جرم ان الفاشستية بقضائها على طبقة العمال في ايطاليا اخذت في احلال نظام جديد محلها على الشكل الفاشستي ، فبدلاً من المتحدات التجارية الاشتراكية قامت متحدات فاشستية يديرها الانصار المقربون ولا يدخلها احد من اهل الخبث والعند . وخولت هذه المتحدات قوة عظيمة منها الحق في ضرب الاعانات على الاعضاء وغير الاعضاء وان تساوم هي وحدها المخدمين وان تنضم الى جمعياتهم فيتألف من المجموع - الخادمين والمخدمين - نقابة رسمية للاشراف على كل خدمة وكل صناعة برمتها، وان تجعل هذه المتحدات الفاشستية دوائر انتخابية بدلاً من الدوائر الجغرافية القديمة فيستتاب منها الاعضاء للمجلس التشريعي الفاشستي الجديد

وقصارى القول ان الفاشستية بنت لكل جمعية حرة اساساً فاشستياً تقوم عليه وجعلتها اداة حكومية وحرصت على ان تكون ادارتها بيد الحزب الفاشستي وانصارها ، وليس من السهل ابداً ان نعرف مقدار استيلائها على طبقة العمال الايطاليين ودرجة استمالتهم الى جانبها ذلك لان الفاشستية وزميليتها النازية والكمالية هي مثل الشيوعية الحمراء تكم افواه المعارضين ولا تسمح لاحد بالتلفظ بما يخالفها ، لكنها على كل حال لقد صمدت حتى الآن وحالت دون نجدد الاتصال بين العمال الايطاليين وبين حركة العمال المنظمة في الاقطار الاخرى وساعدها على ذلك معالجتها الناجعة لبعض شرور الرأسمالية وتخفيفها وطأة البطالة التي تشنها الدول الاخرى ولا تمد الدولة الفاشستية دولة مؤلفة من افراد بقدر ما هي مؤلفة من نقابات متنوعة تختلف باختلاف العمل الذي تقوم به ويتصل الفرد فيها بالدولة بواسطة النقابة التي يفتحي اليها، فالحكومة بهذا المعنى هي الرأس والنقابات - لا الافراد - هي الاعضاء ، ويطلق على هذا الوضع السيامي الحديث اسم «الحكومة النقابية او الدولة المندمجة Corporate» ، ويختلف في الفاشستية عنه في غيرها ان النقابة فيها خاضعة للدولة ومسخرة لاغراضها تسخيراً اعمى ، ذلك لأن الوطن الايطالي هو «العلي الاعلى» في حين تمنح النقابات في المناهج الاشتراكية استقلالاً كاملاً هو الحال في المتحدات التي تدعى (جيلد) و (سندیکا) وغيرها من الانظمة التي تهتم بالحرية اكثر من اهتمامها بالخضوع والانقياد . اما الفاشستية فتسير على مذهب (هيجل) مؤسس الامبراطورية الجرمانية من حيث اهتمامها بالطاعة وتفضيلها النظام والتدريب، وهي تدعو افراد الرعية ان يحققوا حريتهم في حرية الدولة اكثر مما يحققونها في فرديتهم او في مجتمعهم النقابي

عدلي يكن باشا

ظليل ثابت بك

رئيس تحرير المقطم

في موقف جليل كهذا الموقف يحار الكاتب في اختيار ما يستهل به قوله والخواطر تزاحم والعواطف تتدافع فلا يرى أوجب من أن يبدأ الكلام بتعزية مصر عن خسارتها بفقد قطب كبير وخسارة ابن كريم وانهايار ركن متين فاذا كان الفقيه قد أتم ما فيض له القضاء من عمر في هذه الدنيا وذهب الى لقاء ربه يحمل بيديه سفر اعماله فاطمناً بمحامده فان مصر الشكلى تنوح الراحل وتبكي الفقيه وقد كان من الذين تباهي بهم والذين تعدى لنجدتها اذا تعقدت الامور وتشعبت المعضلات

وقد يسهل على الذين ألفوا الكتابة عن الاحياء والاموات أن يصيغوا عبارات التأين من منشور ومنظوم ويصفوا من يؤمنون بما تخطه أقدامهم وما توحيه عواطفهم وشعورهم ولكن في ذكرى عظماء الرجال ما يسمو هذا لما فيه من العبرة النافعة والعظة البالغة واعطاء كل ذي حق حقه من عرفان الفضل وتقدير الجميل وتعيين مدى النهوض بالواجب ولا سيما الواجب القومي فقد حاصر عدلي باشا نهضة مصر الحديثة وكتب في سفر هذه النهضة صفحات مجيدة تخلد اسمه وذكره وتصلح لان تكون مثلاً يحتذى وقدوة يقتدي بها الذين يعجبون بما كان هذا المصري العظيم متصفاً به وما ميزته به العناية

حاصر عدلي باشا هذه النهضة وشب معها الى ان ابلغته مواهبه ومناقبه الى مقام القابض على الدفة فكان شعاره واحداً في جميع الحالات ومقصده لا يتغير وكان له من اخلاقه وسجاياه ما يساعده وما يعينه على سلوك الطريق الذي سلكه الى ان صار الرجل الذي يشار اليه بالبنان والوزير الذي يعهد اليه في جلائل الامور ومعالجة الازمات كان شمم عدلي يكن متجلياً في هيئته ومنظره ومشيته ووقوفه وجالوسه ولكن هذا في الواقع ما كان سوى مظهر للروح التي كانت وراء حنايا الضلوع



عدي يكن باشا

وهذه سحبة عرف بها الفقيه واشتهرت عنه وكان لها اعظم تأثير في حياته الادارية وحياته السياسية وسعيه لاستقلال بلاده بمثاله وفعاله ثم بمساعيه لما كان في الوزارة الرشدية ومباحثاته ومفاوضاته في لندن في اثناء وزارته ثم في ما عقب ذلك من انقسام ووثام وشقاق ووافق نهوض بعبد القضية المصرية في الحين الذي دجا فيه الجو السياسي وتلبدت فيه سحب الخيرة

وهذا الشمع تحلى فيه وهو موظف صغير ولازمه وهو مدير ومحافظ مقروناً بعنايته بالعمل وروايته للعاملين ورغبته في العدل وحب الانصاف وقد كان من نتائج ان اعترت فيه النزاهة السياسية والنزاهة الادارية فقضى عمراً طويلاً يتقلب في المناصب حتى بلغ أرفعها ولم يسمع عنه الا كل ما يزين الفتى ويباهي به الموظف والسياسي وهو مع ذلك يمتقت الظهور الا بما تقضي به الواجبات ومقتضى اللياقة وربما كان في وفوفه عند هذا الحد وعدم ميله الفطري الى تجاوزته ما حال دون نهوضه بمهمة الزعامة الحزبية وقد تولاهما ثم تخلى عنها حتى قيضت له فعالة وصدق خدمته ان تقلد الزعامة الشعبية باجتماع القلوب حوله وشيوع الثقة به حتى عمت جميع الاحزاب فكانت في ساعات الشدة تنرنو اليه بابصارها وترى فيه ابن مجدتها

وبعد الذي أوردته هنا لا يحتاج الكاتب الى كدّ الذهن ولا يحتاج القارئ الى حصر الفكر في استخراج العبرة التي يحسن استخراجها من حياة طففت بأعمال عظيمة القدر وفي حقبة من سني هذا العصر الذي طرأ فيه من التحول على العالم ومصر في جملته ما لم يسبق له مثيل في اضعافها من قبل

ولا ابغى في هذا المقام خوض المباحث النفسية لتعليل ما اتصل بسيرة هذا السيد المصري الكريم — وهذا أقرب تعبير لما يريد الانكليز بلفظة جنتلمان — فلست من المولعين بهذه المباحث النفسية ولا أرى من ينظر في سيرة عدي يكن في حاجة اليها . فقد كانت حياته صفحة جليلة اتاحت له العناية ان يخطط فيها سطوراً من الاعمال النافعة المجيدة بحروف من نور تشهد لسكاتها بأنه عرف معنى الوطنية الحق وانه ألهم إلهاماً صحيحاً وانه وفق الى كثير مما أراد في خدمة قومه وترك لهم أفراداً وجماعات ذكري حافلة بما ينفع في مواصلة الجهاد

ولكن اذا كان ما رآه معظم الناس عن فقيه مصر مرتبطاً بالعمل السياسي والخدمة الادارية فقد كان في سيرته وجهان آخران لهما دلالتهما في بيان سجاياه ومزاجه وهما يؤيدان ماتحلى في اعماله العامة

فقد كان عدلي باشا شديد الوفاء لآخوانه وأصدقائه وكبير العطف على مرؤوسيه مع اقتضاء صدق الخدمة منهم والتدقيق في تتبع أعمالهم وسعة الصدر في سماع شكواهم والعناية بانصافهم

والذين عاشروه في الاندية والمجتمعات وفي أحوال خاصة يعسر فيها ضبط النفس وحبس العواطف كانوا يعجبون إعجاباً شديداً برزائته ووقاره وكيف انهما ما كانا يفارقانه مهما تنوعت الظروف . وقد قال لنا غير واحد منهم ان عدلي في جميع تلك المواقف كان كالطود الراسخ . وهذا الوصف يطابق ما كان يبدو في عدلي باشا في أثناء الازمات والشدائد وهذا ما اتصف به لما سمى مع زميله المرحوم رشدي باشا لخدمة مصر سعيًا قال رشدي باشا في وصفه انه لوعرفه الانكليز في حينه لشنقوه (اي رشدي باشا) والذين يعرفون تلك الحوادث يعلمون ان مصير عدلي ما كان ليختلف عن مصير رشدي من هذا القبيل لو افتضح الامر قبل اوانه وربما كان من أبهى صحائف هذا الرجل العظيم ما متعه الله به في أخريات أيامه برؤية ذريته ولدي كريمته المأسوف عليها فقد كان عدلي باشا يجد السرور كله وبهجة الحياة جميعها في ما يقضيه من الوقت مع بنت وصي لايزالان في سن الطفولة يلعبهما كما يلعب الصغار في هذه السن ويحني من المسرة ما يشرح صدره ويخفق له قلبه حبًا وحنانًا وله في ذلك اقوال مأثورة يتناقلها اصدقاؤه وعشراؤه

هذا بعض ما نقوله نحن الذين عاصروه وعرفوه واطلعوا على شيء من مناقبه ومواهبه وسجاياه وفعاله ونحن لانزال قريبين منه ولم نبتعد عنه ما يكفي للاحاطة بالشيء كله كما يحيط به التاريخ بعد ما ينقضي ما يلزم من الزمان لاذاعة ما لم يدع يحكم الاعتبار السياسية وينقش الغبار الذي تثيره الخلافات الحزبية في اجواء البلدان وبعد ما تخمد العواصف ويزول الانفعال فتكون الاحكام اقرب الى الصواب بزيادة المعلومات والبيانات وسلامة البحث من مؤثرات تقحم عليه وليس لها صلة حقيقية به

سيقول التاريخ كلمته وستجيء مطابقة لما يؤمن به ابناؤنا هذا العصر وهو ان مصر فقدت بعدلي باشا ابناً من اكرم ابنائها خالقاً وأشرفهم طبعاً ومن أصدقهم وطنيةً ومن أكثرهم خدمةً صحيحةً للعرش والامة والوطن
رحمة الله عليه ونفعنا بفضلله وخدمته وقودته

انسان المستقبل

صفاته البيولوجية كما يراها اساطين العلم الحديث

المرجح ان انسان المستقبل سوف يكون امدًا قامةً ، واذكى عقلاً ، واشد مناعةً ضد الأمراض من انسان اليوم . والمحتمل ان يضيف بضع سنوات الى مدى حياته بل قد يتمكن من ان يتحكم في مواليده من بنين وبنات

بهذه العبارات البسيطة يلخص بحث طائفة من اشهر علماء الحياة في هذا العصر، الذين اثبتوا بتجارب تنطوي على براعة وابداع ، ان الشكل واللون والحجم والبناء والطباع والمزايا الشقية (Sex) في بعض الحيوانات يمكن تغييرها ، بل يمكن ان يقلب اتجاهها قلباً تاماً . وقد تحكموا في افعال الحياة الاماسية في عالم الحيوان ، حتى اصبحوا قادرين من ناحية سيطرتهم على افعال الوراثة ومزايا البيئة ان يحولوا السمندل Salamander من حيوان مائي الى حيوان بري ، وان يضاعفوا جرم الفئران والجردان والسمادل ، وان ينشئوا ضرباً من ذباب الفاكهة لا اجنحة له ، وصنفوا السمك لا عيون له ، ويعكسوا الشق في الطيور والضفادع — اي يحولوا الذكر الى انثى والانثى الى ذكر —

فعالم الحياة بكواشفه الدقيقة ، ومكرسكوباته ، وجداوله ، يملك تحويل المستقبل . ان تجاربه قد اسفرت عن حقائق حيوية غريبة عن افعال الحياة الاماسية ، فردّها بها القول بالعداء والنزاع بين الوراثة والبيئة ، واثبت ان الكائن الحي نتيجة التفاعل بين الاثنين

يعترف بعض البيولوجيين ان طبيعة الانسان ومصيره يتغيران باحداث تحويل في عوامل الوراثة ، او انقلاب كبير في احوال البيئة . ولكن الامل الكبير في امكان السيطرة على خصائص الانسان ، من الناحية البيولوجية ، يقوم بالسيطرة على احوال معينة في خلال تكونه ونموه . فالمشكلة التي امامهم ، هي الكشف عن العوامل والوسائل التي تمكنهم من تطبيق ما عرفوه عن الحيوان ، على حياة الانسان

فقد ثبت لهم ان المادة الحية شديدة المرونة . وانها تعنوا للعوامل التي توجهها اليها اذا عرفنا هذه العوامل وخصائصها معرفة دقيقة . وعليه فالتقدم البشري لا يكون بعد الحصول

على هذه المعرفة ، عرضة لتصاريف الاقدار ، بل ان انسان المستقبل ، سوف يكون اشبه شيء بمثال بارع ، ينشئ الحياة على المثال الذي يراه بالنجس في اغراض الحياة ومصيرها

في هذا العمل الباهر لا بد ان يكون للهرمونات (مفرزات الغدد الصم) مقام واي مقام فهي تسيطر على جرم الجسم ، هل نكون اسوياء او اقزاماً او مردة . بل هي تسيطر على طبائنا ، هل نكون شديدي النشاط او شديدي الكسل ، وهل تحول اجسامنا الطعام الذي نأكله او لا تحول ، هل نكون من الزعماء في جماعتنا او من الاتباع ، وهل تتصف عقولنا بصفات الرجل الاجتماعي الامثل او نكون من المجرمين

وقد استعمل بعض الاطباء خلاصة الغدة الدرقية في حقن اناس ولدوا ونشأوا صغار الجثة قصار القامة فكان من اثر هذه الخلاصة التي حقنوا بها ان اصبحوا مديدي القامة وقد صرح الدكتور ريدل رئيس « جمعية درس المفرزات الداخلية » ان هرمون الغدة النخامية قد يستفرد مثل هرمون الغدة الدرقية قريباً . او قد تنقضي سنوات قبل استفراده . ولكنه اذا استفرد وعرفنا كل ما يجب ان نعرفه عنه امكن استعماله في خلال ادوار الطفولة في المواليد الذين يشهد ان غدهم النخامية ضامرة وينتظر ان ينشأوا اقزاماً فيحول الحقس بخلاصتها دون ذلك

ثم ان التقدم في درس المناعة ، ووسائلها ، ينبغي بمحاول يوم ، يستطيع فيه الاطباء من تحصين الطفل ضد امراض الطفولة ، وتحرير الكبار من قيود الادواء التي تصيب الجسوم والعقول فاذا تم للانسان ذلك تقدم الى غزو الطبيعة بقدم ثابتة وعزيمة لا تعرف التردد والخوف

ولما سئل الدكتور ريدل عن مستقبل الذكاء الانساني ، قال من المتعذر ان نتنبأ بما قد يبلغه الذكاء الانساني من التقدم ، بالنظر في الحقائق المسلّم بها الآن . ولكن عقل الانسان مرتبط ببناء جسمه ، ويستحيل علينا ان ننظر الى العقل والجسم ، كأثهما وحدتان منفصلتان . فاذا تمكن الانسان من ان يسيطر على نموه الجسماني ، فلا يعقل ان يصرف العناية عن محاولة درس الاحوال والبواعث التي تمكنه من التأثير في قواه العقلية . والراجح ان يوجه الباحثون في المستقبل عنايتهم الى درس العوامل التي تجعل من الانسان الواحد ، سياسياً خطيراً ، او مالياً كبيراً ، او عالماً نابغاً ، او عاملاً بسيطاً ، والمحتمل ان يتمكنوا بعد ذلك من السيطرة بعض السيطرة عليها

هذه الاقوال العجيبة مبنية على احتمالات عامية أسفر عنها التقدم العظيم الذي تم في علوم الحياة في خلال نصف القرن الماضي . وتحقيقها متوقف الى مدى على السيطرة التي يستطيع

الانسان ان يعالجها في البيئة الطبيعية والاجتماعية ، وعلى استعمال الغدد الصم ومفرزاتها .
ونطبق القواعد التي كشفها البحث في الوراثة وارتقاء العلوم الطبيعية على اختلافها

ان كروموسومات الخلية اشبهُ شيءٍ بعصي ، او جبيبات دقيقة منظومة في عقود .
والكروموسومات مؤلفة من عوامل الوراثة ، والى هذه العوامل ترتدُ الصفات الانسانية
الاساسية . هل الشخص ذكر او انثى . هل هو ازرق العينين او اشهلها . هل في تركيب
جهازه العصبي حاسة الموسيقى المرفهة . ان الفرق بين بيتوفن العظيم ، والرجل الابله ، ليس
الا فرقا في انتظام عوامل الوراثة في الكروموسومات . فاذا تغيّر انتظام هذه العوامل في
الخلايا ، ظهر في النسل تحوّل في الصفات الوراثية ، حتى ولو لم تتغيّر احوال البيئة التي يعيش
فيها ذلك الكائن . وقد يكون التحوّل غير منتظرٍ على الاطلاق ، في شق الكائن (ذكراً او
انثى) او لون شعره ، او لون عينيه ، او قدرته العقلية

خذ مثلاً على ذلك ذبابة الفاكهة الاميركية المعروفة بالدروسوفيل . ان لون العين الاحمر
في هذه الذبابة يرجع في الغالب الى انتظام خمسين زوجاً من عوامل الوراثة ، انتظاماً
معيناً . فاذا اتلفت عاملاً واحداً من هذه العوامل المائة ، كانت النتيجة ان عين الخلف لا تكون
حمراء بل تكون بلا لون على الاطلاق . وكذلك ترى ان عاملاً وراثياً واحداً ، يحوّل صفة
معينة ، اذا كان ناقصاً او اذا كان غير سوي . ولكن امامك خمسون زوجاً من العوامل ،
تتجمع كلها لاحداث صفة لاخطر خاص لها في حياة الذبابة ، هو لون العينين . واذا فالترق
امامك متعددة لاحداث تغيير في لون عينها

وكذلك في النسل الانساني . فعوامل الوراثة عديدة لا تحصى ، واحتمالات انتظامها في
اشكال متباينة عديدة كذلك . واذا فالنسل يختلف عن الابوين ، ويختلف افرادهم بعضهم عن
بعض . وهذا يعمل لنا نجوب ، عبقرى عظيم ، كشكسبير ، او لنكن ، او بيتوفن ، من والدين
لم يمتازا بشيء من دلائل العبقرية . وهو يعمل لك كذلك ، ان اولاد نبوليون وجوته لم يكونوا
عباقرة مثل والديهما

فاذا كنا نستطيع ان نسيطر على تفاعل هذه العوامل الوراثية في انتظامها ، فننظمها نحن
كما نشاء ، ولا نترك انتظامها للمصادفة العمياء ، فان الدلائل تدلّ على اننا نستطيع ان نخلق
الانسان الامثل ، بل نستطيع ان نعين الناحية التي يتفوق فيها هذا الانسان ، ايكون عالماً ،
ام رياضياً ، ام مهندساً ، ام زعيماً سياسياً ، ام قطباً من اقطاب المال والاعمال
فا هو احتمال بلوغ الانسان هذا المدى من السيطرة على عوامل الوراثة ؟ يقول الاستاذ

هلدين (J. B. S. Haldane) ان امام علماء الحياة طريقتين يسلكونهما ، لتغيير عامل واحد من عوامل الوراثة ، في احد الكروموسومات ، من دون ان يؤثر في العوامل الوراثة الاخرى . اما الطريقة الاولى فابتداع او اكتشاف مادة كيميائية تؤثر في عامل واحد دون العوامل الاخرى . واما الطريقة الثانية ، فاستنباط وسيلة يستطيع بها الباحث ان يوجه الاشعة التي فوق البنفسجي الى جزء صغير جداً من الكروموسوم من دون ان يتلف الخلية نفسها . ويقول الدكتور ريدل اننا لا نعلم الآن كيف يجب ان تنتظم عوامل الوراثة البشرية ، حتى يخرج من انتظامها الانسان الامثل . ولكن امامنا طريق علينا ان نسلكه وهو ان ندرس اثر تحويل عناصر البيئة في الكائنات الحية نفسها . ولكي نحدث تغييراً في الكائنات الحية ، يجب ان نحدث تغييراً في احوال خاصة في مراتب النمو الاولى . فلننظر الآن ما فعله علماء الحياة في احداث هذا التغيير في الاحوال الخاصة ، وما اثره في السيطرة على اجرام الكائنات ، وشقها ، وغيرها من وظائف اعضائها

فقد بين بعض علماء الالمان ان بيض الضفادع واجنتها ، اذا عرضت لحرارة اعلى من الحرارة العادية التي تتعرض لها ، تحولت الاناث ذكوراً . واثبت الدكتور كتي بونس استاذة علم الحيوان التجريبي في جامعة جنيف انها تمكنت من تحويل عدد غير يسير من ذكور الضفادع الى اناث ، ثم زوجت هذه الاناث بذكور سووية ، فحملت وولدت . والظاهر من محاضرة لها انها ازال اولاً الغدد الجنسية من الذكور البالغين فتبع ذلك نمو عضو صغير ضامر في الضفدع ، ولدى فحصه ، ثبت انه يحتوي على بيوض جاهزة للتلقيح . ولم تنفر الذكور من هذه الاناث بل اقبلت عليها . ومما يحير العقل ان نسل الاناث المحولة عن ذكور ، كان كله ذكوراً . ثم ان الدكتور دُوم Dommm الاستاذ بجامعة شيكاغو تمكن من تحويل بعض ذكور الطيور اناثاً وبعض الاناث ذكوراً ، فانه ازال المبيض الايسر من ١٧٥ من اناث العصفافير وهو المبيض الوحيد فيها ، لان المبيض الايمن يضم ويهزل . فلما ازيل المبيض الايسر اشتد المبيض الايمن ولكنه تحول خصية بدلاً من ان يبقى مبيضاً . اي ان هذا المبيض الذي اصله غدة تناسلية انثوية ، تحول بعد ازالة المبيض الايسر الى غدة جنسية ذكورية . وقد افترزت هذه الغدد نطفاً للتلاقح . ومن الامور المشهورة ان انقلاب جنس الحيوان لاي فقد غدته يقع في الطبيعة من دون وساطة الانسان . فالحيوان المعروف بالسمندل الذكر اذا جاع بضعة شهور متوالية ، ضمرت غدته الجنسية . فاذا وجد طعاماً بعد ذلك عادت الى النمو ولكنها تنقلب غدة أنثوية . والدجاج يقع له ما هو شبيه بذلك اذا اصاب بالتدرب

ومن غرائب ما يذكر في هذا الصدد ان الصفات التناسلية في فتاة تحولت من صفات انثوية الى صفات ذكرية على اثر ظهور خراج جعل مفرزات غددها الصم أكثر مما هي عادة. وكان الدكتور آبل العلامة الاميركي وأحد اساتذة جامعة جونز هبكنز يعالجها فشهد بأن كل صفاتها الجنسية الثانوية الجسمية والنفسية كانت صفات ذكور. وقد عادت الى انوثتها على اثر عملية استئصال فيها الخراج وارتدت الغدد الى حالتها السوية

من الحيوانات التي تجرب بها هذه التجارب حيوان السمندل وهو في موطنه الأصلي حيوان مائي يتنفس بخياشيم ويتصف في خلال ادوار حياته جميعها بصفات الحيوانات البحرية ولكنه اذا نقل الى موطن اخرى معينة، او اذا قضي عليه في دور معين من نموه ان يعيش في الهواء او اذا غذي بقطعة من نسيج الغدة الدرقية، تحول الحيوان المائي الى حيوان بري. ثم اذا غذي بقطعة من النعص الخلفي في الغدة النخامية ضخمت جثته حتى ليصبح جرمها ضعف جرمها الأصلي اذ يقتصر في غذائه على طعامه المألوف. وقد وصل الباحثون الى النتيجة نفسها في الجرذان اذ حقنت بخلاصة الغدة النخامية

ويستطيع الباحث العلمي ان يربي سمكة ذات عين واحدة مع انها في الطبيعة ذات عينين باضافة احد المخدرات او احد املاح المغنيزيوم الى الماء الذي يفقس فيه بيض السمك بل يستطيع الانسان ان يتدخل في دور معين من ادوار حياة دودة من الديدان وبتغيير احوال البيئة يقرر اي طرف من طرفي الدود يكون رأسها واي طرف يكون ذنبها. ولا تقل عجائبهم في تغيير الوان الحيوانات عمّا تقدّم. فالدجاج الابيض الريش يحول الى دجاج اسود الريش

من المتعذر الآن تطبيق هذه الحقائق على النوع الانساني وخصوصاً فيما يرتبط بالتناسل لان تجربة التجارب التناسلية بالانسان امر تعافه نفوسنا ولكن اذا تقدّم البحث في الوسائل الاخرى القائمة على احداث تغيير في الكائن الحي بتغيير احوال بيئته في ادوار معينة من نموه وبوجه خاص فيما يتعلق بالغدد الصم فلا يبعد ان يصبح علماء الحياة عاملاً من عوامل الطبيعة في انشاء الانسان على أعلى مثال يتصورونه

الرواحنة المنسية

الحسن كامل الصيرفي

في ذِمَّةِ الفنِّ ألحانٌ تضيعُ ، وفي أضدادها رِقْطُ من قلبِ فنانٍ
تجرَّعُ الألمَ الدامي فحولهُ الى ترانيم عشاقٍ والحانٍ
يُسْقَى العذابَ وَيَسْقِي الناسَ أكْثَرَهُمْ صَفَوْا من النُّورِ في ظلماءِ أشجانٍ
مدامعُ الأنجمِ الحَيْرَى تشاركهُ تَسْلُسُلُ الدمعِ في أجفانِ حيرانٍ
وظلمةُ الليلِ تستوحى كآبَتَهُ هَمَسَ السكونِ بِإِفْصاحِ وتبيانِ
ومطلعُ الفجرِ يستوحى ابتسامتَهُ نورَ الملائكِ في إشراقِ إنسانٍ
أَنَاتُهُ من طعانِ الدهرِ صادرةٌ وجُرْحُهُ من شظايا العالمِ الجاني
تضمَّدُ الجُرْحَ كَفَّاهُ وَيَسْتَرُهُ بواضحٍ من ثنايا الثغرِ فتانٍ
فيه معاني ابتسامٍ وهي سخريةٌ بعالمٍ دائرٍ في كَفِّ شيطانٍ
يعيش في الأرضِ مأخوذاً بعالمِهِ ويهجر الأرضَ هيماناً بأَ كوانٍ
يبدو خلالِ ظلامِ الناسِ مؤثلقاً نورَ الخلودِ بهذا الكوكبِ القاني
كواحةٌ ازهرت في القفرِ تأهيةً عن الحضارةِ في اكفافِ نسيانٍ
في ذِمَّةِ الفنِّ ما رددتُهُ امداءُ فضاءِ لُحني سُدَى في جَوِّ نكرانٍ
طغى عليه ضجيجُ القومِ فالطمستُ أضدادُهُ وفؤادي طيَّ ألحاني

فلسفة التحليل النفسي^(١)

النفس لغز والتحليل النفسي مفتاحه

اخرج العلامة فرويد نظرية التحليل النفسي Psycho-analysis وطريقة تطبيقها من نحو ثلاثين سنة . واقترح علاجاً نفسياً لطائفة من الامراض العصبية . ولكن هذه النظرية على ما فتحت من ابواب الامل في تهديد سبل جديدة لكشف خفايا النفس ، خيبت نظر النقاد الذين يحق لهم ان يحكموا في موضوعها ، وهي اليوم معرضة للاهمال بتهمة انها افتراض نظري ليس له أساس علمي سليم يستند اليه . بل يقولون انها تجربة خطيرة كل الخطر ، وان الشفاء الذي تم بواسطة التحليل النفسي في الامراض العصبية ، لم يحقق من الوجهة الاحصائية ولا من وجهة الدليل السريري Clinical على انه قد تم حقيقة ولا ما هي نسبة ما تم منه الى ما لم يتم . يضاف الى ذلك ان متخرجي مدرسة فرويد في التحليل النفسي الذين احرزوا الشهادة التي نحوهم ممارستها يعوزهم التعليم الطبي والمرانة ، اللذان يمكنهم من فهم الاضطرابات العصبية ، دع عنك تشخيصها ومعالجتها . ثم ان السماح لرجال لم يتعلموا التعليم الطبي ، في معالجة الادواء الجسدية والعقلية ، عرضة للمساوئ والمفاسد والتدجيل ، وهو خطر على الصحة العامة . وكثير من الاطباء الذين بحثوا في حسنات التحليل النفسي وامتنحوها يرون ان ما يدعيه رجال هذه المدرسة النفسية ، مغالى فيه شديد المغالاة

ان مفتاح النظرية الفرويدية هو ان الاضطرابات النفسية — من عقلية وعاطفية — والاضطرابات الجسدية كذلك ، تنشأ في كثير الاحوال ، من اسباب نفسية لا من اسباب جسدية . فقد كشف فرويد وهو يبحث ويجرب التجارب بالتنويم المغناطيسي في عيادة الدكتور شاركو Charcot بباريس ان المرضى المصابين بالهستيريا ، اذا ناموا بفعل التنويم المغناطيسي ، كشفوا احياناً من تلقاء نفوسهم ، عن طبيعة اصابهم واسبابها . ولما كان فرويد نفسه غير بارع في شؤون التنويم المغناطيسي ، شرع يحاول ان يكشف عن طرق ووسائل اخرى ، لينفذ بها الى العقل الباطن . وكان يعتقد انه يستطيع ان يشفي مصاباً من هذا القبيل بنقل سبب العلة من العقل غير الواعي الى العقل الواعي ، لانه اذا ادرك المصاب طبيعة اصابته واسبابها ، زال اولاً خوفه وقلقه واضطرابه ، فيزول النزاع بين الذات الواعية ، والذات غير الواعية وتلتصر الاولى على الثانية فتتم لمصابنا نعمة الشفاء . وقد اطلق على مجموعة الافكار المشتركة التي تسبب الداء او الاضطراب ، بالمركب او العقدة . وهما لفظان فيهما معنى من معاني

(١) للدكتور فوكس عن السينتك اميركان بتصرف قليل

اللفظ الاصلي Complex . وبعد بحث تجريبي في مصابين بالهستيريا ، وشديدي توتر الاعصاب ، صرح ان المركبات ، الباعثة على هذه الامراض العصبية سببها ، رغائب جنسية غير تامة النضوج ، مكبوتة لا تبدو في مظهرها الطبيعي ، وان هذه الرغائب انفصلت عن تيار الوعي ، فالأفت شخصية او ذاتاً مستقلة عن ذات الانسان العامة ، وان هذه الذات المستقلة في حالة ثورة عنيفة على الذات العادية . وفرويد يعلق شأنًا خطيراً بمكانة الرغائب الجنسية ويذهب الى ان الرغبة الجنسية التي يدعوها «ليبيدو Libido» هي اساس لكل مطامح الانسان . ثم هو يدعي ان هذه الحالة — اي حالة النزاع بين الذات المستقلة والذات العامة — يمكن ان تشفى ، بربط الذات الثائرة بالذات العامة ، ثم اكفاء الرغائب غير الواعية ، بتحويلها الى ناحية جديدة . ويعرف هذا العمل بالتحويل Transference فاذا قامت عقبة ، تحول دون تحويل الرغائب ، الى ناحية جديدة كانت العقبة بمثابة المقاومة في علم الكهرباء ، وكان لا بدَّ من المثارة والمحاولة والمداورة في محاولة تخطئها او التغلب عليها

يفتح التحليل طريقين الى درس العقل الباطن او النفس غير الواعية ، طريق مجموعة الافكار المشتركة اشتراكاً حرّاً ، وطريق تفسير الاحلام

والتنفيس عن الرغائب المكبوتة بطريقة اشتراك الافكار يعرف باسم «كاتاريس» Catharis اي التطهير او التنظيف من اللفظ اليوناني كاتاروس اي نظف . والمقصود باشتراك الأفكار الحرّ ، ما يأتي : ان تداعي الافكار Association of ideas عمل من أعمال الذاكرة . فانت لا تستطيع ان تذكر شيئاً الا وتربطه بشيء آخر او تقابله به . ومعرفة كل انسان هي كل الحقائق التي يستطيع ان يذكرها مضافاً اليها الحقائق التي نسيها او لا يستطيع ان يتذكرها . فاذا حاول الانسان ان يجعل تداعي افكاره ، شعورياً اي خاضعاً لارادته ، حاول ان يتذكر حقيقة مخزونة في الذاكرة ، يربطها بحقيقة اخرى يسهل تذكرها . وفي هذا اللون من التفكير ، يكون توجيه الفكر ، شعورياً ومقصوداً ومسيطرّاً عليه

ونحن نعلم ان الأفكار والصور الذهنية واحلام اليقظة ، تطفو احياناً على تيار الوعي او الشعور ، من دون ان يبذل اي جهد خاص في ذلك . فاذا استوقفنا هذه الافكار والصور الشاردة ، لحظة من الزمان ، اكتشفنا ان كل فكر وكل صورة ذهنية ، طفت على تيار الوعي من دون قصد منا ، هو في نفسه ، او هي في نفسها ، مسلك الى مخبأ من مخبأ العقل الباطن ، فهي اذاً تلتقي ضوءاً كشافاً على النواحي المظلمة من ذهن الانسان ، المنفصلة عن الذاكرة ، او المجهولة من الذات الشاعرة . وهذا هو المقصود ، في مدرسة فرويد ، باشتراك الافكار اشتراكاً حرّاً Free association ذلك ان غرضه استكشاف العقل الباطن بواسطة سلسلة حلقاتها الافكار الطافية على تيار الشعور ، ومعرفة صلتها بمخفايا العقل الباطن

وتحليل النفس عمل لا يتعلمه الانسان تعلماً ، لانه عمل ذهني طبيعي . فيشرع الانسان في استكشاف نفسه في مراحل سهلة الاجتياز . فيدور الحقائق المتفرقة التي يكشفها ثم يربط بينها ثم ينشئ منها صورة منسجمة الاجزاء ، تبين له نشأة احواله العاطفية وتاريخها . فالافكار الشاردة والصور الذهنية الطافية من دون ارادة او قصد على تيار الوعي ، واحلام اليقظة ، هي كلها كاحلام النوم ، فيض العقل الباطن الذي يعرب عن رغبة كامنة في الباطن او شعور او اضطراب داخلي . وكل صورة منها ، ككل جزء من الاحلام ، انما هي لفظ من اللغة الرمزية التي يتكلم بها العقل الباطن . وهي تختلف عن لغة العقل الواعي . فالشعور بالبرد ، يوقظ في العقل الواعي اواناً من الفكر ، تأتلف وهذا الشعور ، مثل « فصل السنة » و « الملابس » و « الاماكن الباردة » و « الوسائل اللازمة لاتقاء البرد » . اما في الحلم — حلم النوم — فالحلم بجيء اولاً ثم يليه الشعور بالبرد . خذ مثلاً على ذلك ، رجلاً يأوي الى سريره في غرفة باردة ، وفراش غير دافئ ، فيحلم انه منقطع عن العالم على جبل من جبال الجليد . والشعور بالخطر يوقظ النائم ، فيحمله شعوره بالبرد ، على البحث عن دثار يتدثر به ليدفأ . والحل الانسان لغته الرمزية الخاصة به . ولا يتشابه اثنان . فمحاولة تفسير احلام الواحد برموز الآخر ، عمل لا بد ان يفضي الى الخطاء . من هنا نرى ان محاولة رجل ان يقوم بتحليل نفسي دقيق لرجل آخر ، عمل متعذر . فالمتخصص بالتحليل النفسي يستطيع ان يرشد لان يعلم . انه لا يستطيع ان يهضم اكل غيره ، ولا ان يحلل نفس غيره . وثمة طرائق عديدة لتحليل النفس وكلها تبدأ بترك العقل الباطن فيفيض بما يحتاج فيه من المشاعر والافكار ، وبلي ذلك توجيه محبة الشخص الجنسية الى شخص معين . وهذه الناحية من التحليل النفسي ، هي الناحية التي يندد بها رجال الدين وجماعة المدافعين عن آداب النفس ، لان المحللين النفسيين ، يوجهون هذه المحبة في الغالب الى اشخاصهم . والامر الذي لم يفهم بعد على صحته ، هو هل يتم الشفاء باستكشاف العقل الباطن ، او باشباع المحبة الجنسية في شخص المحلل النفسي ، او بكليهما ؟ !

واذن يرى القارئ ان هذه الدعاوى ، ليست على جانب من الدقة العلمية ، او الاخلاص ، او الادب . اذا كان التحليل النفسي يشفي ، فكيف يشفي ؟ اننا نعلم ان العواطف المضطربة تحدث اضطراباً وقلقاً في وظائف الجسم والعقل ، وان معظم هذه الاضطرابات ينشأ في العقل غير الواعي . والاعراض غامضة ، معظمها من نوع المخاوف الموهومة ، والنزاع الداخلي ، وكبت الشعور ، وشدة الاحساس ، والرغبات النابية ، والحب ، والحجل في الصلات الاجتماعية والعجز عن صب الفكر وتوجيهه الى موضوع واحد

والمصاب يكون في الغالب ، كثير الاضطراب والهم ، لا يستطيع ان يصمد للصدمات التي تتنابه ولا ان يحتمل ما في الحياة من اخذ ورد ، ومد وجزر . فهو كئيب دائماً ، متجه

الى نفسه ، اقل شيءٍ يُحَيِّرُهُ وَيَقْلِقُهُ . فاذا كانت الحادثة حادةً ، اصيب بالارق وضعف الشهية وانخفاض ضغط الدم وخفقان القلب واضطراب الغدد والهستيريا والعجز الجنسي والتوق الى تناول المخدرات وضعف النطق او اضطرابه وغيرها من الاعراض التي يسفر عنها اضطراب الجهاز العصبي . واسباب هذه الاضطرابات او مبعثها رغائب مكبوتة او محبوسة في العقل الباطن ، تنشئ نزاعاً او تناحراً بين اجزاء الشخصية الواحدة . اي ان الذات الباطنة تكون في حالة ثورة فتتفكك وحدة الذات العقلية والجسدية ، في آنٍ واحد

والشفاء من هذه الحالة ، الباعثة على التعس والشقاء ، مشكلة صعبة شديدة التعقيد . ويجب الاقبال على حلها في هوادة وحذر . فالغرض من كل علاج من هذا القبيل ، يجب ان يكون القضاء على التناحر الداخلي ، واطلاق العواطف المحبوسة المكبوتة ، واستنباط الوسائل لهدئة الرغبات غير المشبعة او تحويلها او تسكينها . وقد ذكرنا ان « الجرح » النفسي هو في العقل الباطن . واذاً فيجب ان يمدَّ رواق العقل الواعي الى ما وراء حدوده العادية ، حتى يضم تلك الاجزاء التي كانت مستقلة في العقل الباطن فيدمجها في وحدته الشاعرة . وهذه الخطوة هي الاولى نحو العلاج ، ويمكن خطوها بواسطة التنويم المغناطيسي ، واشتراك الافكار بالمعنى المقصود في مدرسة التحليل النفسي ، او حل رموز اللغة التي تتكلم بها النفس غير الواعية في اليقظة او في النوم . فاذا اكتشف المصاب الباعث الاسامي على حالته ، وفهم طبيعة الاضطرابات التي اصيب بها ، رَوَّحَ ذلك عنه ، وحدَّ من الشك الملازم لمخاوفه ، فيعود اليه جانبٌ من ايمانه وثقته بنفسه . ويستيقظ الامل في صدره وما يسير مع الامل من حماسةٍ تمكنه من السير نحو الشفاء التام بفضل الاستهواء الذاتي . واذا يشرع المصاب في معالجة نفسه ، يجب ان يتمرن على تحليل النفس ، بتدوين العواطف والخاوف والرغائب والنواهي والكوابح ، وما يحب وما يكره ، التي تطفو على تيار وعيه . ويفضَّل ان يختار غرفة هادئة حيث لا يقلقه مقلق ، فيدون في ورقة امامه الاعراض والخواف والرغبات . فيأخذ مثلاً رغبة من الرغبات ، ويرى ما يتصل بها من الصور الذهنية ، المتسلسلة في نفسه تسلسلاً حراً ، فيدون كل حلقة من حلقاتها . وقد يلتقي تتابع هذه الصور احياناً ما يعيقه وما يقطعُه بلفظة او صورة او فكرة . فليدون ذلك وليضع تحته خطاً احمر ، لان ما يقطع تسلسل الصور الذهنية ، يشير الى الموانع او الكوابح في الحياة العقلية ، اي ما يكبح النفس او يمنعها من الاستسلام الى رغبة من رغباتها فاذا والى المصاب ذلك ساعة كل يوم مدة ثلاثة اسابيع اجتمعت لديه الحقائق الاساسية عن اعماق تلك الذات الباطنة ، التي بينها وبين الذات العامة نزاع او تناحر هو منشأ الاضطراب . فاذا اتسعت معرفته بتلك الذات الخفية ، عادت اليه ثقته في نفسه ، الناشئة عن المعرفة ، والثقة تجر في اثرها القوة والسيطرة على النفس ، وهذه اول مرتبة من مراتب الشفاء

مصطلحات علم النفس

ومشكلة تعريبها

للدكتور محمد مظهر سعيد

استاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين

- ٢ -

استعرضت في المقال السابق^(١) بعض نماذج هامة لمصطلحات علم النفس الانكليزية تبين للقارىء باجلى وضوح مبلغ ما يجده الاساتذة المصريون من الصعوبة في نقل هذه المصطلحات الى العربية اذا اعتمدوا على الاستعمال العادي وقواميس اللغة وموسوعاتهما ، وكيف انه أصبح يتعذر وضع الفاظ لها تؤدي المعنى العلمي المقصود وتحده تحديداً لا لبس فيه ولا غموض اذا لم تتبع المعاني المختلفة التي خلعت على كل مصطلح في مختلف ادواره الفلسفية والسيكولوجية وآراء العلماء الذين وضعوها ان كانت حديثة والمذاهب التي تذهب اليها المدارس السيكولوجية المختلفة في تفسيرها واستخدامها . ولا يستطيع ان يفعل خيراً من ان اذكر ما قاله احد اساتذة علم النفس الاجلاء عند وضعه اول كتاب علمي في هذا الموضوع . « والله وحده يعلم ما كابدته من المشاق والاعباب في تأليف هذا الكتاب وتحصيل معانيه . تارة من اللغة الاجنبية وتارات من الاسفار العربية والتقاط الفاظه كلمة كلمة من كتب شتى . وما بذلته من الجهد في وضع عباراته وسبكها بقدر ما في الامكان على ابسط صورة الخ » (كتاب علم النفس للمرحوم الشيخ محمد شريف سليم سنة ١٩١١ : ص مقدمة) وفي ص ١٠ « هذا وقد اعتبرنا في توضيح معاني هذه الكلمات مفاهيمها العامة الجارية على السنة العالم » وتواضع الاستاذان علي الجارم ومصطفى امين فقالا في مقدمة كتابهما (علم النفس وآثاره في التربية والتعليم) « وقد حافظنا على ما وضعه رجال العربية قبلنا من اصطلاحات العلم واوضاعه . اعترافاً بسبقهم وحباً في اتصال عملنا باعمالهم . ولكيلا يضيع الخلاف اللفظي شيئاً من وقت الباحث او يكون سبباً في اختلاط الامر عليه » . وعلى الرغم من ضيق دائرة علم النفس الذي يدرس في مصر واقتصراره على علم النفس التعليمي لطلبة المعلمين والمعلمات وسهولة مصطلحات هذا الفرع وانتشارها فقد شعر الاساتذة الاجلاء المرحوم الشيخ شريف والاستاذ علي الجارم ومصطفى امين وامين مرسي فنديل الذين يرجع اليهم كل الفضل في ادخال علم النفس في مصر ونقله الى العربية وبذل الجهود

لجسارة في سبيل كشف مغلقه ونشره بين الناس ومن قفى على أثرهم امثال الاساتذة حسنين عبد رازق وحامد عبد القادر وعطية الابراشي وكاتب هذه السطور في مصر وغيرهم في الشام والعراق كل هؤلاء لا اخالهم الا شاعرين بشدة حاجة المشتغلين بهذا العمل الى ضبط مصطلحاته وتعميمها قبل ان يترى سيل فروع علم النفس الاخرى عن طريق معهد التربية وكلية الحقوق وتتشعب المصطلحات ويتعذر الاتفاق

وسأذكر للقارئ بعض نماذج الترجمات العربية لأهم مصطلحات علم النفس التعليمي واكثرها استعمالاً تخيرتها من الكتب العربية الآتية التي ما زالت تستخدم كمراجع وكتب مدرسية في مدارس المعلمين والمعلمات وكليات الازهر ومعهد التربية

- (١) علم النفس للمرحوم الشيخ محمد شريف سليم
 - (٢) علم النفس وأثره في التربية والتعليم للاستاذين علي الجارم ومصطفى امين
 - (٣) اصول علم النفس للاستاذ امين مرسي قنديل — جزءان
 - (٤) في علم النفس — الجزء الاول — للاستاذة حامد عبد القادر وعطية الابراشي ومظهر سعيد
 - (٥) » — » — الثاني — للاستاذين » » » » »
- وسأتناول علم النفس موضوعاً موضوعاً متدرجاً من الشعور ومظاهره الى الاحساس فالادراك وانواعه فالعمليات العقلية والغرائز

موضوع الشعور

أول مظهر من مظاهر الحياة العقلية وأقوى دليل على وجودها شعور الكائن بذاته ونفسه وما حواليه من اشياء وما يقوم به من افعال او على حد قول فلاسفة المسامين « شعور الانسان بذاته وما يصدر عن هذه الذات وما هو خارج عنها » وبعبارة اخرى ادراكه لنفسه وما يظهر في ذهنه وما يشعر به في داخله وما يحيط به وافعاله التي يرمي بها الى غرض خاص وغير ذلك مما يحقق قول الفيلسوف ديكارت الماثور (أنا ادرك او افكر فأنا موجود Cogito ergo sum) وقد يتدرج هذا الشعور من مجرد شعور الانسان بشيء يؤثر في حاسة من حواسه شعوراً خامساً غير محدود يدرك به ان هناك شيئاً ولكن لا يستطيع ان يميزه ، الى شعور كامل بذلك الشيء وادراك لمميزاته وظروفه وأحواله يصل الى ما يسميه الفيلسوف الالماني (كانت) بالمعرفة . واللفظ الذي يتضمن كل هذا المعنى هو بالانكليزية Consciousness ومثله بالفرنسية Conscience . وقد اتفق المؤلفون على ترجمته بالشعور ولم يشذ عن هذا غير الاستاذ الابراشي فقد سماه في بعض الاحوال بالوعي (ص ٣١ . حالة الوعي واليقظة اي الشعور) ولكنهم اختلفوا في تعريفهم له فقد عرفه المرحوم الشيخ شريف (ص ٨١) بتعرف النفس على نفسها وهي متلبسة بحال من أحوالها فهو الادراك العام للنفس وهو بذلك اخرج ادراك النفس

لغيرها وما تقوم به من افعال ليست في ذاتها من حالات النفس وقال الاستاذ الجارم (ص ٤١) معرفة الانسان ما يجري في نفسه من الوجدان والفكر والارادة واتفقوا كذلك على ترجمة Focus (النقطة التي يتجمع او يتركز فيها الشعور) بالبوثة و Margin (ما يخرج عن المركز ولكنه في مجال الشعور على كل حال) بالهامش نقلاً عن علم الضوء والشعور الناقص او الهامش Subconsciousness يشبه الشعور ما عدا الاستاذ عبد الرازق (ص ٢) فقد سماه الشعور الضعيف وهذه الترجمة في الواقع لا غبار عليها لولا انها تختلط بمعنى Anoetic consciousness وهي كلمة جديدة لم ترد بعد في الكتب العربية وضعها العلامة الانكليزي ستاوت للدلالة على الشعور الغامض الضعيف غير المحدود وترجموا الشعور الباطن (Unconsciousness) الذي هو مظهر الحياة العقلية للعقل الباطن في النوم والسرطان بالاشعور وكنا نرجو ان لا تترجم هذه الكلمة حرفياً حتى نصلح عيب الكلمة الاوروبية التي يفهم منها الطلاب والمبتدئون حالة عدم الشعور او فقدانه (non-consciousness) في حالة الموت والتخدير والانعماء. اما الابراشي فقد ترجمها باللاوعي قياساً على ترجمته الشعور بالوعي

وللشعور مظاهر سماها الاقدمون volition, affection, knowing او Will فترجمها من نقل عنهم بالمعرفة او الفكر والوجدان والارادة (الجارم ٤١) ورأى المحدثون ما في التسمية من خطأ فظيع اذ ليس كل ادراك معرفة او فكر وليس كل عمل يقوم به الانسان بأرادة فسموها cognition و affection و conation فترجمها من نقل عنهم الادراك والوجدان والنزوع (ما عدا عبد الرازق فقد احتفظ للادراك بلفظه القديم وهو المعرفة وذكره كذلك هكذا ص ٢٨ - مظهر المعرفة Cognition) وترجمها الشيخ شريف تارة معرفة وادراكاً وتارة علماً. ففي ص ٤٢ مثلاً يقول (الغرائز يندفع اليها الطفل بطبيعته من غير علم ولا شعور فهي غير مشعور بها) والعلم فوق الادراك والمعرفة بمراحل وفي حين ان بعضهم اخذ باللفظة الحديثة Affection الا أنهم ادخلوا تحت مظهر الوجدان ما لم يقل به المحدثون فأدخل الجارم (ص ٤٧) الجوع والعطش وهما أمران عضويان فسيولوجيان وعرف الاستاذ قنديل الوجدان (ص ٥٠) بما تجده في نفسك من لذة وألم. من غير ان يفرق بين اللذة والألم المعنويين وهما آخر مراتب الارتياح وعدم الارتياح واللذة والألم الماديين وهما عضويان

موضوع الاحساس

كلمة Sensation الانكليزية والفرنسية بالمعنى السيكولوجي المحدود ومشتقاتها يقصد بها العملية الفيزيائية الفسيولوجية التي تستقبل بها الحواس آثار المؤثرات الخارجية كما هي وترسلها

عن طريق الاعصاب المرسلة او المصدرة الى المناطق الخاصة بالتصرف فيها في مراكز الجهاز العصبي. ولا شيء غير هذا المعنى مطلقاً. وقد اتفقوا على ترجمتها بالاحساس ولكنهم عند تفسير معناها ادخلوا تحتها عمليات عقلية ومظاهر شعورية ليست من الاحساس في شيء حتى انه ليصعب على الطالب والقارىء ان يفهم المعنى المحدود والفارق بين الاحساس وبين العمليات العقلية والحالات النفسية الاخرى. فالشيخ شريف يقول (ص ٤٦) الاحساس قوة طبيعية اودعها الله في النفس تجدها بالذات والمآ في اشياء (وهذا هو الوجدان) وفي (ص ٤٩) الاحساسات أثرية تظهر آثارها على وجه الانسان (وهذه ايضاً وجدانات) وفي (ص ٥٠) القوة الحسية هي الاحساس الذي تسبب من حصول ظاهرة من ظواهر القوة الطبيعية كآلم الجوع - وفي (ص ٣٣) الظواهر الانفعالية تدخل تحت القوة الاحساسية. والسرور والخوف المعنويان القوة الوجدانية وهي ارقى قوى الاحساس. فكأنه فرّق بين الاحساس والوجدان ولكنه اعتبرهما مراتب للاحساس. وسبب هذا الخلط ما وقع فيه علماء الغرب انفسهم في القرن الماضي من الخلط بين كلمتي Feeling و Sensation. اما الاستاذ نذير فقد ادخل في الاحساس عناصر الادراك الحسي ووضع كلمة الحس (ولا نعرف لها مقابلاً في الافرنحية للدلالة على كتلة مدركاتنا الحسية وخبراتنا السابقة) (Apperceiving mass) فيقول فيه (ص ٧ الجزء الثاني) الاحساس والادراك الحسي يكونان معاً كل خبراتنا الحسية او الحس

ونظرة واحدة الى تقسيم الاستاذ Watt لمظاهر الشعور في كتابه^(١) وهو حجة في موضوع الاحساس تبين لنا وجوب فصل الاحساس والمظاهر الادراكية الحسية عن المظاهر الوجدانية

I Sensory - Cognitive System includes all Sensations

II Emotive System includes all non - sensory feelings, pleasure, displeasure & all emotions.

اما في تقسيم الحواس والاحساسات وترجمتها فقد اتبعوا اساساً لا يتفق الى حد ما مع الاساس المعمول به الآن في علم النفس الحديث والذي يجب ان يكون في ذاته دليلاً للترجمة فالاحاساس تنقسم الى اربعة اقسام رئيسية هي

I Exteroceptive (outer)

وتشمل الالم العضوي والحرارة كمؤثر خارجي

II Preperceptive (inner)

كالنطق والاحساس العضلي

III Interoceptive (inner)

كالاحساس بالجوع والعطش

IV Exteroceptive complex

كالسمع والبصر

(1) H. J. Watt "The Sensory Basis or Structure of Knowledge"

(2) Sir Percival "The Psychology of Perception"

(3) Haliburton "A Handbook of Physiology"

المراجع

وقد اقتصر معظم المؤلفين على ذكر الحواس الخمس الرئيسية السمع والبصر الخ و اضاف الاستاذ حامد عبد القادر (ص ٤٩ الجزء الثاني) المعدة فقال (عدد الحواس عند القدماء خمسة ... و اضاف المحدثون المعدة) وذكر (ص ٤٨) الحس الخارجي (للاحساسات الجلدية) والباطني (للالم والسرور) والموضعي والحركي وذكرها الاستاذ قنديل (ص ١٢ الجزء الثاني) كما يأتي

احساسات عضوية كالتنفس والدورة الدموية (ومنها الحشوية كالقلب والرئتين) ثم الحركية فالجلدية فالشمية والسمعية الخ

اما الاشياء المحسوسة ذاتها فقد سميت تارة بالمحسوسات (شريف ص ٢٧) وتارة بالمحسات (شريف ص ٥٥) وهذه على كل حال ليس لها مقابل بالانكليزية يكمل مجموعة Percept (المدرک الحسي) و Concept (المدرک الكلبي) ولذلك اقترحنا ان تضاف كلمة Sencept (للمحسوس) اما كلمة Stout الجديدة Sensum التي تدل على تجميع الآثار الحسية التي تحمل في العقل محل المؤثر الاصلي فيدرکه العقل على مقتضاه، فلم ترد بعد في المؤلفات العربية

موضوع الادراك الحسي

ذكرنا ان العقل في مرتبة الاحساس يستقبل الآثار الصادرة عن المؤثرات الخارجية ولكن لا يكون لهذه الآثار قيمة عقلية او شأن في الحياة العقلية الا اذا اعطاها العقل معنى محدوداً يربط هذا الموقف الحاضر بمواقف سابقة عن طريق التداعي والتذكر والاسترجاع والتعرف وغير ذلك من العمليات التي تساعدنا على ادراك المواقف الخارجية اي انه (كما يقول سانديفورد) يقوم بعملية التعبير عن الاحساسات وترجمتها بطريقة تشعرنا بوجود المحسوسات التي هي مصدر هذه الاحساسات (راجع كتاب علم النفس - النظري والتعليمي لكتاب هذه السطور). وهذه العملية تعرف في الافرنجية بكلمة Perception وجمهرة الاساتذة تميل الى ترجمة هذا المصطلح بـ «الادراك الحسي» ولكنهم في مواطن كثيرة استخدموا له مرادفات تجعل المعنى غامضاً بعض الغموض. فالشيخ شريف سماه الادراك الذهني (ص ٣) والحسي (ص ٢٥) والانساني (ص ٦٩) وكذلك ذكر له مراتب لا نجد لها مثيلاً في الافرنجية الحديثة الى ادراك اولي (ص ٧٥) وهو ادراك الموجودات الخارجية والتمييز بينها وهذا بدوره ينقسم الى ادراك اولي حسي (ص ٩٣) وهو معرفة الاشياء بمجرد الحس بها وادراك اولي وجداني (ص ٩٣) وهو معرفة الاشياء بمجرد وجدانها (كذا) ثم ادراك اولي عقلي (ص ١١١) وهو معرفة المعاني العامة الضرورية البالغة الغاية في الوضوح ومن ناحية اخرى قسمه (ص ٩٨) الى ادراك طبيعي من طبيعة الحواس نفسها وكسي بعد تمرين الحواس واشراك بعضها مع بعض. وفي بعض المواضع اعتبر الادراك من عمل الحواس

فقال (ص ٢٥) للنظر ان يدرك كنه الاشياء . واشياء يستحيل ادراكها بالحواس . والجارم (ص ٧٩) ذكر ولوع الطفل باحساس الشيء (اي ادراكه ادراكاً حسيّاً)

ولا يتعين في الادراك الحسي ان يعرف الانسان حقيقة ما يحس به ولو أنه يدركه ومن باب اولي لا يعلم به علماً تاماً فكثيراً ما يخطئ الادراك وتخدع الحواس ومع هذا يقول الاستاذ حامد (ص ٧٠ جزء ٢) الادراك الحسي يتضمن العلم بوجود شيء وفي (ص ٧٩) وظيفة الادراك الحسي هي ان تكون على علم تام بما هو واقع فهو العلم بالواقع وفي موضع آخر يشير الى بعض الادراكات الحسية (ص ١٣٦ جزء ٢) بأننا لا نشعر بهذه الاحساسات شعوراً محدوداً واضحاً وفي (ص ١٣٧) ومهما يكن من أمر هذه الاحساسات فانها غامضة يشعر بها عنصر وجداني يتغلب على العنصر الادراكي وهذا مناقض للتعريف الذي ينص على تمام العلم بالواقع عند الادراك الحسي . وأنا أرى ان ترجمة Perception بالادراك الحسي يجعل الحس صفة للادراك في حين ان القصور هو ادراك العقل لما يحس به فالحواس صفة للمدركات وليس للادراك ولذلك ارتاح الى ترجمتها «بادراك المحسوسات» . أما المدركات ذاتها Percepts فأفضل ترجمة لها المدركات الحسية تمييزاً لها عن المحسوسات التي لم تدرك بعد وسماها حامد (ص ١٣٦ - ٢) بالادراكات الحسية ولعله يقصد انواع الادراك من حيث تعدد المدركات ففي (ص ١٠٠ - ٢) يقول تنقسم الادراكات الى عليا ودنيا . فالعليا هي الابصار والسمع الخ والمعنى غامض على كل حال لان السمع والابصار ليسا ادراكات ولا مدركات وانما هما احساس وبعد ادراك المحسوسات ترتبط هذه المعلومات الجديدة بما يماثلها في كتلة معلوماتنا القديمة حتى تصير منها وتسمى هذه العملية Apperception ولم يشر اليها واحد من المؤلفين الا الاستاذ حامد (ص ١٩٨ - ٢) فقد ترجمها الترابط وترجم Correlation وهي عملية ادراك العلاقات بين المواقف (على حد رأي العلامة الانكليزي Spearman) بالرابط وهما عمليتان مختلفان ولكنه عاد فترجم Apperceiving mass بالكتل الربطية (يقصد الترابطية) وأنا أميل الى ترجمة عملية Apperception بتثبيت المدركات الحسية للاسباب التي ذكرتها في المقال السابق فاذا ازدادت المدركات الحسية المتشابهة في الذهن عمد العقل الى الاقتصاد في عملياته الادراكية فيجرد هذه المدركات من صفاتها العرضية ومميزاتها الحسية وينتزع الصفات الجوهرية ويضع منها معنى كلياً يعممه على كل انواع هذه المدركات المتشابهة او المترابطة وتعرف هذه العملية في علم النفس والمنطق بكلمة Conception والمدرك الكلي Concept وقد ترجموها بادراك الكلليات وتارة المعقولات والمفهوميات واطاف حامد (ص ٢٥ - ٢) ادراك الكلي المعنوي وكذلك اضاف الى عمليات الادراك الثلاث السابقة او مستويات الادراك ما سماه (ص ٢٥ - ٢) المستوى الفلسفي

الكتب والكتّاب والقراء

في جمهوريات روسيا

ما تنشره المطابع وما يطلعه القراء

هل تصدق ايها القارئ الكريم انه طبع في روسيا في سنة ١٩٣١ ترجمة كل مؤلفات العلامة دارون فيبيع منها في خلال سنة واحدة عشرة آلاف مجموعة وان خمسة آلاف نسخة من منطق هجل نفدت في خمسة ايام . وان مجموع النسخ التي بيعت في سنة ١٩٣٢ في جمهورية روسيا وحدها من الكتب والرسائل الجديدة بلغ ستائة مليون نسخة ؟ اقرأ اذن ما يقوله اللورد باسفيلد (سدي وب) وهو من احرص الكتاب على توخي الحقيقة وايرادها

كان لنين يرى ان الكتب والرسائل والمجلات ، ناحية خطيرة الشأن ، من بيئة الانسان الاجتماعية . فيجب ان لا تترك للصدفة تنصرف فيها ، ولا لشركات الممولين يستغلونها لفائدتهم الخاصة ، ويضللون بما ينشرونه من المؤلفات اذهان الشعوب السوفيتية . لذلك جعل الحكومة السوفيتية المشرفة العليا على كل ما يطبع وينشر في روسيا من الكتب والرسائل وجعل دور النشر ماسكاً للامة كغيرها من المرافق العامة ، يضاف ما تمنحه من الربح في تجارتها الى ريع الدولة وقد خطت الحكومة في هذه الناحية خطوات الجبارة ، في خلال ١٣ سنة من يوم انشئت دار النشر الخاصة بالدولة في موسكو (وتعرف بالاوجيس Ogis) سنة ١٩١٩ الى آخر السنة الماضية . ففي سنة ١٩١٤ كان مجموع النسخ التي تباع في روسيا من الكتب والرسائل الجديدة لا يزيد على ١٣٠ مليون نسخة . وظل التقدم بطيئاً خلال السنوات العشر الاولى بعد الانقلاب (١٩١٧ - ١٩٢٨) ولكنه زاد زيادة كبيرة جداً في خلال السنوات الاربع الاخيرة ففي سنة ١٩٣٢ بيع من هذه النسخ ثلاثة اضعاف ما بيع سنة ١٩٢٨ ويقدر ما ينتظر بيعه هذه السنة بثمانية اضعاف ما بيع سنة ١٩٢٨ وقد ذكر اللورد باسفيلد في مقالة له في مجلة التاريخ الجاري (مارس ١٩٣٣ ص ٧٩٧) ان دور الطبع والنشر في جمهورية روسيا (دون غيرها من الجمهوريات السوفيتية كاوكرانيا ، التي يتألف منها اتحاد الجمهوريات السوفيتية) اخرجت وباعت في سنة ١٩٣٢ اكثر من ٦٠٠ مليون نسخة من الكتب والرسائل الجديدة البالغ عددها نحو ٤٠ ألفاً وان متوسط عدد الملازم (المزومة ١٦ صفحة) في كل نسخة منها بلغ خمس ملازم

اي ان مجموع الصفحات التي اشتملت عليها الكتب والرسائل الجديدة بلغ ٤٨٠٠٠٠٠٠٠٠ صفحة . وان مجموع الكتب والرسائل الجديدة التي نشرت في اتحاد الجمهوريات السوفيتية بلغ ٥٠ ألفاً وعدد ما بيع منها من النسخ ٩٠٠ مليون . يضاف الى ذلك ان في هذا الاتحاد نحو ستة آلاف جريدة ومجلة ومجموع النسخ التي توزع منها (يومياً او اسبوعياً او شهرياً) اربعين مليون نسخة . خركة النشر في اتحاد الجمهوريات السوفيتية تعدل بحسب تقدير الورد باسفيلد ما يقابلها في الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا والمانيا معاً

والحكومة الروسية تبني من عملها هذا ربحاً جزيلاً . فقد بلغ دخل دار النشر في موسكو (اوجيس) سنة ١٩٣٢ اكثر من ٢٥٠ مليون روبل (٢٥ مليون جنيه ذهب) ولكن هذا المبلغ يشمل ما بيع في فروع الدار من الورق وادوات الكتابة ومطبوعات الدور الاخرى كذلك . وأما ثمن ما بيع من مطبوعات الدار نفسها فنحو نصف ذلك . وبلغ الربح الصافي الذي جنته الحكومة الروسية من هذه الدار في السنة الماضية نحو ثلاثة ملايين جنيه

على ان سعة انتشار الكتب ، ووفرة ربح الحكومة ، لايهمنا في هذا المقام ، بقدر ما تهتمنا معرفة الموضوعات التي تعالجها هذه الكتب ، وكيف يعامل كتّابها ، ووسائل طبعها ونشرها ومراقبتها فاذا صرفنا النظر عن الصحف الدورية ، وجدنا ان الكتب والرسائل التي تخرجها مطابع السوفيت تتباين من كراس صغير ، لا يزيد على اربع صفحات ، ويحتوي على خطبة للرفيق ستالين (يطبع من كراس كهذا عادة نحو مليوني نسخة) الى ترجمة كاملة لكل مؤلفات دارون التي طبعت ونشرت سنة ١٩٣١ في ثمانية مجلدات . وقد طبع منها ١٠ آلاف نسخة كاملة فنقدت كلها قبل مايو سنة ١٩٣٢ . ثم اعيد طبعها في عشرة مجلدات وعشرة آلاف نسخة ولا يبعد ان تنفذ قريباً . ولا ريب في ان الجانب الاكبر من المطبوعات الجديدة مؤلف من رسائل صغيرة ، ليس لها رونق خاص . ولكنك تجد كذلك مجلدات ضخمة مطبوعة على ورق من اجود اصناف الورق تحتوي على صور ملونة لاشهر الآثار المتعلقة في دور السوفيت الفنية ، بل ان كثيراً من المطبوعات في المقام الاول من ناحية الفن والصناعة . والكتب تطبع في نحو خمسين لغة مختلفة من اللغات المستعملة في طول الاتحاد الروسي وعرضه من لبلندا على شواطئ المحيط المتجمد الشمالي الى مضيق بيرنج الفاصل بين آسيا واميركا الشمالية

وتجد الى جنب مؤلفات الكتّاب الروسين والاورانيين ، مؤلفات الالمان والانكليز والفرنسيين والايطاليين والاسبان والسويديين والتشكيين ، ومؤلفات الاجانب في الغالب علمية او صناعية . ولا تخلو من روايات وشعر وتاريخ . اما المطبوعات الموسيقية فكثيرة جداً ولا تقتصر على مؤلفات امة دون اخرى

وليس بالامر اليسير معرفة مقام المؤلفات الادبية معرفة مضبوطة ولكنها اذا قيست بسائر

المطبوعات لا تقل نسبتها الآن عنها في أيام الحكومات القيصرية . فهي ثمانية اضعاف ما كانت عليه قبل الثورة . فتجد في قائمة المطبوعات الادبية آثار الروائيين الروس القدماء والمحدثين على السواء محاذية لآثار الروائيين الانكليز والاميركيين والالمان والفرنسيين وقد ترجمت كلها وطبع منها الوف بل عشرات الالوف من النسخ . وقد أعلن عن اخراج جميع مؤلفات فلوير وبلزاك الفرنسيين في سنة ١٩٣٣ فليس من الصواب ان يقال ان الادب الروسي او الادب المطبوع في روسيا كله ادب دعاية للنظام السوفيتي

ولعل الامر الذي يدهش له الزائر عدد النسخ التي تطبع من كل كتاب . فيستعري نظره أولاً عدد الرسائل الصغيرة التي يطبع منها عشرات الالوف فيحسب ان الرقم ٦٠٠ ألف نسخة — وهو عدد النسخ التي بيعت من الكتب والرسائل الجديدة من دار موسكو — رقم مضلل لان معظم ما يباع انما هو هذه الرسائل القصيرة . ولكن اذا حسبت ان عدد النسخ التي بيعت ٦٠٠ مليون نسخة فيها نحو ٣٠٠٠ مليون ملزمة — وان الرسائل الصغيرة تتراوح بين نصف ملزمة او ربع ملزمة وملزمتين — ادركت ان لا بد ان يكون بين هذه الكتب مجلدات ضخمة . والواقع ان مؤلفات ماركس وجوته ودارون ولنين ، تطبع وتنشر في مجموعات كل مجموعة منها تختلف من ثمانية مجلدات او عشرة الى عشرين مجلداً . ومتوسط الطبعة الاولى من كل المطبوعات الجديدة في سنة ١٩٢٩ سواء اكانت كتباً او رسائل او مجموعات كتب ، كان ١٠٧٠٠ نسخة فبلغ سنة ١٩٣١ خمسة وعشرين ألف نسخة . فاذا فرقنا بين مؤلفات العامة — كالرسائل والموجزات وكتب الاطفال — ومؤلفات الخاصة ، وجدنا ان متوسط الطبعة الاولى من الطائفة الاولى كانت ١٦٥٠٠ نسخة سنة ١٩٢٩ فبلغت ٥٤٠٠٠ نسخة سنة ١٩٣١ اما مؤلفات الخاصة فكان متوسط طبعتها الاولى سنة ١٩٢٩ نحو ٤٠٠٠ نسخة فبلغت ١١٦٠٠ نسخة سنة ١٩٣١ واما كتب الاطفال فليس من النادر ان تكون الطبعة الاولى ٢٠٠ ألف نسخة

وكل كتاب ، كتبه ماركس او لنين ، قديماً كان او جديداً ، مطبوعاً من قبل او مخطوطاً يطبع منه ١٠٠ ألف نسخة في البدء . وقد يهم علماء الاقتصاد في مصر ، بل في دول الغرب ، ان يعلموا ان كتاباً في الاقتصاد لعالم اقتصادي روسي غير مشهور في اوربا واميركا ، طبع منه في سنة ١٩٣٢ مائة ألف نسخة وان رسالة علمية عويصة اخرجت في طبعة من خمسة آلاف نسخة ، وان العالم بافلوف لما اخرج كتابه الجديد في « الافعال العكسية المحوّلة » طبع منه في دار موسكو عشرين ألف نسخة وجعل ثمنه نحو ٧٠ قرشاً فنفدت الطبعة كلها في الحال

بل هناك ما هو اغرب من ذلك وابعث على الدهشة . ففي سنة ١٩٣٢ اخرج اول جزء من دائرة معارف الفيلسوف هجل ، وهو كتاب عويص في المنطق وكان المطبوع منه ٥٠٠٠ نسخة فنفدت في خلال خمسة أيام ، فطبع منه ثمانية عشرة آلاف نسخة نفدت في شهر فطبع

منه ثلاثة ١٥ ألف نسخة وبعد ثلاثة اشهر من صدورهما جاءت الانباء بأن الطلب عليهما ما يزال متوالياً . والراجح انها تنفذ قبل نهاية السنة

والظاهر مما تقدّم ان ما يطبع من هذه الكتب على كثرته لا يكفي لسدّ الطلب فلما قيل لدار «الاجيس» في ذلك قال مديرها انه لا يستطيع الحصول على المقدار الكافي من الورق مع ان المصانع الروسية تخرج مقادير كبيرة منه . فلما طلب الى اللجنة التي تدير مشروع السنوات الخمس ان تزيد مقدار الورق المصنوع قالت انها لا تستطيع الآن ان تزيد عدد العمال في مصانع الورق لانها تحتاج اليهم في الأعمال الأخرى التي لا بدّ من انتاجها للتصدير تسديداً لثمن واردات لاندحة لروسيا عنها

اما توزيع هذا العدد الكبير من الكتب والرسائل فقد اصبحت عملاً دقيقاً واسع النطاق ودار النشر في موسكو التي تخرج نحو ثلاثة ارباع الكتب التي تنشر وتباع في جمهورية روسيا لها الآن نحو سبعة آلاف فرع في طول البلاد وعرضها ، يديرها رجال ونساء يتناولون مرتباً معيناً مع مبلغ اضافي يختلف باختلاف الكميات التي يبيعونها من الكتب . وتكاد الدار لا تنشر اي اعلان عن كتبها مكتفية بالمراجعات التي تنشرها الصحف . ولكنها تنشر قوائم تحتوي على عناوين المطبوعات وتفصيلات عن حجمها وثمنها وترسلها الى المكتبات والاندية في موسكو وجوارها . ثم ان كتاب « تجارة الكتب السوفيتية » وهو عبارة عن كاتالوج وبيان للمطبوعات الجديدة يصدر مرة كل ١٥ يوماً ويطبع منه نحو ١٥ ألف نسخة ترسل الى الذين تعرف عنهم رغبتهم في شراء الكتب . وهذا هو النظام الذي تجري عليه دور النشر في الجمهوريات السوفيتية الأخرى . ومما يبعث على الدهشة سرعة نقاد الكتب الغالية والعويصة من دون اعلان عنها . وتعليل ذلك اقبال الجماعات المنظمة على شرائها ، كالمكتبات والمعاهد العلمية والاندية والنقابات . فكل من هذه المنشآت تملك مجموعة من الكتب ولا تغفل إضافة المؤلفات الحديثة اليها . فلا يكاد يظهر ذكر كتاب في القائمة التي توزعها دار النشر حتى تنهال الطلبات عليه من هذه الجماعات المنظمة . وهذا يعجل لك سرعة نقاد مجموعات الكتب العويصة او الغالية ، كمجموعة مؤلفات دارون ، او مجموعة مؤلفات بلزاك . ويشكو الاساتذة في جامعة كيف انهم اذا تأخروا اياماً في طلب كتاب جديد ، في موضوعهم الخاص ، تعذّر عليهم اقتناؤه . يضاف الى ذلك نحو ١٠ آلاف استاذ ومحاضر في الجامعات ومعاهد التعليم العالي ، ونحو ٥٠٠ ألف من المدرسين وملايين من الطلاب ، كلهم عطاش ظمأ للمطالعة . ومن وراء هؤلاء الصناع والعمال والفلاحون المنتظمون في دروس ليلية يقبلون على الكتب الجديدة التي تصلهم اقبال الظاء على عذب الماء والاقتصاد في توزيع الكتب يفسر لك كثرة الطلب عليها ورخص ثمنها . يضاف الى ذلك

انفجار الرغبة في المطالعة في نفوس الروسيين. فان الجانب الاكبر من خمسين او ستين مليوناً من السكان، الذين تتباين اعمارهم من ۱۰ سنوات الى خمسين سنة قد احسوا حاجة برغبة شديدة في المطالعة ولست تجد في التاريخ ما هو شبيه بذلك

وقديهم المشتغلين بصناعة القلم، ان يعلموا ان صناعة المؤلف في روسيا، هي احدى الاعمال من الناحية المالية. ويقال ان مؤلفاً في روسيا يجني من مؤلفاته نحو سبعة آلاف جنيه كل سنة. والغالب ان يتعاقد المؤلف مع دار النشر على مبلغ معين يدفع لقاء طبع عدد معين من النسخ من كتاب له. ويعين هذا المبلغ بالاتفاق مع المؤلف بعد النظر في مقامه وشهرته، ومقدار العمل الذي اقتضاه تأليف الكتاب، وعدد النسخ التي يتفق على طبعها منه. فاذا زادت النسخ المطبوعة عن العدد المقرر في العقد، او اذا ارادت دار النشر اخراج طبعة جديدة منه، زادت المكافأة التي ينالها المؤلف. فاذا اقتضت الطبعة الجديدة جانباً كبيراً من التعديل والتنقيح، عومل المؤلف كأنه يقدم كتاباً جديداً للطبع. واقل ما يدفع لمؤلف، على ما قيل للورد پاسفيلد ۳۰ جنيهاً للملزمة الواحدة من رواية او كتاب مدرسي ابتدائي، وسبعة جنيهات الى عشرة جنيهات عن كل ملزمة من كتاب اجنبي ترجمة وتصحيحاً وثلاثين جنيهاً الى ۴۰ جنيهاً عن كل ملزمة من كتاب علمي

اما مؤلفو الروايات التمثيلية فدخلهم اكبر من دخل المؤلفين لانهم يتقاضون نصيبهم من دار النشر ومن المسارح التي تمثل فيها رواياتهم

تُقدّم الكتب الجديدة على اختلاف موضوعاتها الى دور النشر فيقبل بعضها ويهمل البعض الآخر، فاذا قبل احدها دعي المؤلف الى التعاقد مع الدار. وغالباً ما تختار الدار بعض الكتّاب المجهولين، فتشجعهم على العمل وتعهد اليهم في وضع كتب معينة، وتدفع لهم مقدماً ۲۵ في المائة من الاتعاب، وعند تقديم الكتاب يدفع للمؤلف ۴۰ في المائة من المبلغ المتفق عليه انما يشترط عليه ان يصحح الكتاب وينقحه في خلال الطبع وعند نشره يدفع له الباقي

والمطبوعات كلها خاضعة لرقابة الحكومة. فليجئة المراقبة في موسكو (جلاتشي) لها ممثل في دار من دور النشر، هو في الغالب مدير الدار. وعليه ان يمنع طبع اي كتاب او رسالة قبل ان تنال الفوز بموافقة لجنة المراقبة. فاذا سألت عن الكتب التي تحظرها لجنة المراقبة قيل لك الكتب الفاسدة، والتي تحتوي على قذف في الناس، او تدعو الى اضطهاد الاقليات الشعبية او الدينية، او ما تشتم منه رأحة المقاومة لنظام السوفييت. فاذا رفض طبع الكتاب مرة كان ذلك في الغالب قاضياً عليه، ولكن قد يستطيع المؤلف ان يسترعى العناية له لاعادة النظر فيه بواسطة نقابته او بطلب يقدم الى ولاة الامر. ولا يندر ان تسفر اعادة النظر عن اقرار الكتاب وطبعه

تخطيط القسطاط (١)

بزوغ نجم العمارة الاسلامية بمصر

كان عمرو بن العاص ادارياً حازماً وسياسياً محنكاً بقدر ما كان قائداً مجرباً . وكانت له بمصر صلة تجارية مكنته من درس احوالها درساً سياسياً وحربياً واقتصادياً قبل قدومه اليها بجيشه لغزوها وانتزاعها من ايدي « الاغريق او البيزنطيين » الذين يقال لهم « الرومان » خطأ هذا ولا يعرف بالتحقيق اين باحث الامير عمرو بن العاص امير المؤمنين « الفاروق » في امر اعداد حملة على مصر بل ولا تاريخ هذه المفاوضات . غير ان المظنون ان هذه المباحثة حدثت في فترة حصار « قيسارية » حيث كان الامير عمرو مشتركاً في هذا الحصار بينما كان امير المؤمنين « الفاروق » مقيماً في معسكره بالقرب من دمشق وكيفما كانت الحال فقد اسفرت المفاوضات بينهما عن الاتفاق مبدئياً على فتح مصر بعد ما بسط ذلك الامير الداهية لسيدته اسباب الحاجة الى هذا الفتح وضرورة الاستيلاء على مصر اعلاء لشوكة الاسلام ونشراً لرايته

وقد كان من اكبر الاسباب التي حملت عمرو على الاسراع في العمل والزحف على مصر ان « ارطابيون » حاكم اورشليم الاغريقي الذي ترك بيت المقدس قبل ان يضيق المسامحون الحصار عليه هرب الى مصر فأخذ يلم شعث جيشها وينظمه حتى يستطيع الثبات في وجه الجيش العربي ان حدثته بنفسه بالزحف على مصر

سار عمرو على رأس جيش مكون من ٤٠٠٠ جندي حتى بلغ رفح وبجملته المعروفة طاول رسول امير المؤمنين حتى بلغ العريش واجتاز حدود مصر الى ان بلغ « الفرما » ومنها سار الى اقنطرة وواصل السير حتى بلغ الصالحية فبلبس فاحتلها

شخص عمرو ببصره فلاحته له (هليوبوليس) او (عين شمس) بعد مسيرة يوم كامل وسط المزارع والحقول لكنه كان ينو الى نقطة اخرى على النيل هي قرية (ام دين) التي كانت شمالي مدينة بالميون عاصمة مصر في ذلك العهد والتي يكاد يكون موقعها اليوم على التقريب محصوراً بين شارع كلوت بك شرقاً وجنوباً وبين شارع قنطرة الدكة غرباً وشارع اولاد عنان

ونوبار باشا شمالاً . فقد كانت (ام دين) ميناءً نهرياً هاماً وموقعاً حربيّاً حصيناً وخط دفاع قوي عن ذلك الحصن المنيع المعروف بحصن (طريانوس) والذي نسميه اليوم (قصر الشمع) القائمة فوقه الآن (الكنيسة المعلقة) الغنية عن الذكر

لذلك كان لا بد للجيش العربي لكي يستولي على عاصمة مصر حينذاك وعلى حصنها — من الاستيلاء أولاً على (ام دين) وكان لا بدّ للاروام لكي يحافظوا على العاصمة وحصنها من الاحتفاظ بام دين وعدم تمكين العرب من الاستيلاء عليها . فدافعوا عنها دفاعاً شديداً اوقف جيش عمرو عن التقدم نحو بابليون فترة غير قصيرة . وجعل مصير المعركة معلقاً في ميزان القدر لا يعلم اي الفريقين يكون النصر في جانبه يدلّ على ذلك قول المقرزي : —
ان القتال اشتدّ عند ام دين حتى تأخر النصر وقول ابني المحاسن حمي وطيس الحرب الى

درجة جعلت معرفة اي الفريقين ينتصر مشكوكاً فيها

واخيراً وبمخدعة حربية قامت بها القيادة العربية بعد ما وصلتها امداد كافية تحت قيادة الامير الزبير بن العوام ثم بجعل (تيودور) قائد الجيش الرومي بمخدعة عمرو الحربية ، انهزم الروم هزيمة تحوّلت الى كارثة حيث ابعد جيشهم عن بكرة ابيه الا ٣٠٠ جندي تقهقروا الى حصن بابليون فوجدوا ابوابه مغلقة استعداداً من حاميته للدفاع عنه

لكن الاخبار التي تسرّبت الى حامية الحصن خاصة بشدة هول النضال وبسدة بأس العرب خلعت قلوب جانب من حماة الحصن فلجأوا الى الفرار بطريق النيل الى مختلف الجهات وكذلك اذنت نتيجة معركة ام دين بقرب زوال الحكم البيزنطي ووضع اول حجر في أساس الحكم العربي

تحصن الاروام داخل حصن بابليون واحاطوه بمخندق عميق نشروا في قاعه حسك الحديد (الحديد الشائك) . لكن القدر كان قد بتّ في مصير هذا الحصن فان انتصار العرب في ام دين كان له تأثير عظيم ومزايا لا تقدّر . فان بابليون او (مصر) التي كان يحميها الجيش الرومي الم رابط في هذه العاصمة . اصبحت تحت رحمة عمرو الذي ملكها بغير قتال ثم سيطر على شاطئ النيل شمالي الحصن وجنوبيه بعد ما نقل معسكره من هليوبوليس وحشد جيشه شمالي الحصن في فضاء من الارض ممتد على التقريب اليوم من جامع عمرو جنوباً الى مجرى العيون بقم الخليج شمالاً اطلق عليه الاروام اسم (فساطوم) اي (المضرب) وسماه العرب بعد ذلك (الفسطاط) وفيه انشأ العرب بعد سقوط حصن بابليون في ايديهم تلك البنايات الساذجة التي كان قوامها الطين والابن والتي تكوّن من مجموعها حيّ من احياء العاصمة كان على بساطته مقرّ الحكم

ودار الامارة . اما ما ذكره المؤرخون غير ذلك من اسباب تسمية القسطنطينية فلا سند له ولا يصح الركون اليه

تمت القسطنطينية واتسعت عاماً بعد عام وادخلت فيها بابليون العاصمة القديمة فتنازلت لها هذه عن السيادة الى الآن ورضيت مرغمة بمحو اسم (بابليون) من عالم الوجود الا انها احتفظت باسمها الثاني اسمها الخالد وهو (مصر) فان القسطنطينية مع سطوتها لم تستطع محوه بل ولا اخفاءه فرضيت بمشاركته وصارت قسطنطينية عمرو تعرف (بالقسطنطينية وبقسطنطينية مصر) و(مصر) فقط فلما انشئت القاهرة ونقل مركز الحكم اليها تغلب اسم (مصر) على القسطنطينية فتوارت القسطنطينية كثيراً وها نحن اليوم نناديها باسم (مصر العتيقة) وذلك على الرغم من ان هذا الحي الذي نناديه الآن بذلك الاسم كانت ارضه وقت انشاء القسطنطينية جزءاً من مجرى النيل مغموراً بمائه لم ينحسر عنها الا في اواخر القرن الرابع الهجري ولم تنشأ فيها ابنية الا بعد ذلك التاريخ وهنا نرى الفرصة سانحة للجهر بحقيقة يتعين علينا اثباتها خدمة للحق والتاريخ وهي ان القسطنطينية دثرت ودرست معالمها من نحو خمسة قرون ودفنت انقاضها وآثارها واسمها تحت تلك الاطلال الممتدة من عين الصيرة جنوباً الى حي البغالة وابن طولون شمالاً الى ان كانت سنة ١٩١٨ حيث بعث اسمها من مرقده الاثري المؤرخ المرحوم « علي بك بهجت » مدير الآثار العربية الاسبق وبذل جهد الجبارة حتى رفع التلال عن جزء من موقعها ثم عهد الي في اعادة تخطيطه على اصله واصلاح ما امكن من بيوته ومصانمه التي ابقي الدهر على كثير من معالمها . وقد تفضل بعد ذلك جلالة وليكننا المعظم فشرّفها بزيارته الكريمة وها هي اليوم يؤمها الفضلاء والعظماء من رجال الآثار ولا تزال تنادي ابناءها المهندسين المصريين ان تعالوا وابحثوا ونقبوا في آثاري من مواد البناء ومونه وطرق تخطيطه ما انتم بحاجة شديدة الى درسه وتفهمه والوقوف على مكنون سره مما يساعدكم على النهوض باعباء أعمالكم الحاضرة وفي بيوتكم من النظام والترتيب ما يهديكم الى الطراز الملائم لمناخ بلادكم وعاداتها وما يجعلكم توفنون حقاً ان تلك المدارس الاسلامية المتعامدة انما اختطّها المماليك على مثال ذلك البيت القديم المصري البديع

نعود الى حصن بابليون فنراه على الرغم من هروب بعض حاميته قوياً منيعاً يعزّ على المهاجم اقتحامه خصوصاً بعد ما تعزّزت حاميته بالنجدات القوية التي جمعها قواد الروم من انحاء الوجه البحري ووضعوها تحت تصرف (سيروس) الذي سماه العرب (المقوقس) حاكم مصر ونائب الامبراطور (هرقل) كذلك نرى جيش عمرو محققاً بالحصن من جهتيه البحرية والشرقية فقط بخلاف الجهتين

الغربية والجنوبية فقد كانتا مشرفتين على النيل ثم نرى القتال يستأنف بين الطرفين من آن الى آن بغير جدوى للعرب لوفرة معدات الحرب عند الروم وقتلها عند اعدائهم، ودامت الحال على هذا المنوال نحو ثمانية شهور ساور القلق امير المؤمنين (الفاروق) في خلالها على جيوش المسلمين التي رأى قواؤها ان الحيلة اجدى من القوة فعمدوا اليها، وكان الامير « الزبير بن العوام » رئيس اركان حرب عمرو هو المنفذ لها. فأنه خدع الحامية وغافلها وتركها في احدى الليالي تنام هادئة مطمئنة الى ان ادبر النصف الأول من الليل ثم أتى بسلم صعد عليه حتى بلغ قمة سور الحصن وخلق به البعض من اتباعه ومن القمة انحدروا الى احد ابواب الحصن (١) فقتلوا حراسه ثم فتحوه فتدفقت منه بقية الجيش وتغلغل في داخل الحصن واعملت سيوفها في رقاب الحامية التي اخذت على غرة فتسابق رجالها الى الفرار ووطد العرب اقدامهم فلم تكن الا هنيئة حتى علا التكبير والنهليل ونادى بشير العرب (نصر من الله وفتح قريب) لم يكن المقوقس حاضراً تلك المفاجأة التي اعقبها الهزيمة الساحقة. بل كان قبلها قد نقل مركزه الى جزيرة الروضة هرباً من تلك الكارثة التي كان قد توقع حدوثها فاستعد من قبل لها فركب سفينة اقلته من داخل الحصن الى الجزيرة مجتازة ذلك الباب التاريخي المعروف بالباب الحديد والذي تعلو برجيه الكنيسة المعلقة حالياً (٢)

ودارت مناظرة ظريفة بين المقوقس وبين رئيس الوفد العربي الذي ارسله عمرو بن العاص الى الاول اجابة لطلبه للمفاوضة في الصلح وذلك قبل سقوط الحصن وقد دلّ اختيار اعضاء الوفد ورئيسه على علو كعب في السياسة من جانب عمرو بقدر ما دلت لهجة « عبادة بن الصامت » رئيس الوفد في مخاطبة المقوقس على مبلغ علو النفس والاعتداد بها ركب عبادة — وكان طوله عشرة اشبار — السفن الى المقوقس ودخل عليه مع اصحابه فهابه المقوقس لسواده فقال « نَحْشُوا عني هذا الأسود وقدّموا غيره يكلمني » فقالوا « ان هذا

(١) عدد (ابن دقاق) و (المقرئ) وغيرها من المؤرخين على اختلاف اجناسهم ابواب الحصن وقرر بعضهم ان العرب دخلوا الحصن من بابه الجنوبي الذي هرب المقوقس منه والذي تقوم الآن على برجيه الكنيسة المعلقة وذلك رغباً عن ان موقعه من النيل يحول دون الدخول منه والمريح المعقول جداً ان العرب دخلوا الحصن من باب رئيسي مفتوح في جداره الشرقي كشفت آثاره لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٩٢٥ م وهذا الباب لم يعد احد من المؤرخين من ابواب الحصن المعروفة مع انهم ذكروا امثاله فهل لنا ان نستنتج من هذا ان ابن دقاق والمقرئ كانا يعتمدان في تدوين مؤلفاتهما على النقل دون المعاينة. هذا ما تدل قرائن الحال عليه لان هذا الباب الشرقي الضخم كان كثيره من ابواب الحصن ظاهراً للعيان في عهد المقرئ (٢) هذا ما اجمع عليه المؤرخون غير اني ارجح ان خروج المقوقس كان من الباب الغربي للحصن الباقي هيكل برجيه الجنوبي الى الآن. اما برج الشمالي فتعلوه الآن كنيسة مار جرجس

الاسود افضلنا رأياً وعلماً وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا نرجع جميعاً الى رأيه وقوله وقد رأسه الامير علينا وامرنا ان لا نخالف رأيه وقوله « فقال المقوقس لعبادة » تقدم يا اسود كلني برفق » فتقدم نحوه عبادة فقال ما ملخصه : —

قد سمعت مقالتك وان فيمن تركت من أصحابي الف رجل اسود كلهم اشد سواداً مني وافطع منظرأ ولو رأيتهم لكنت اربهم لهم منك لي وانا وقد وليت وادبر شبابي ومع ذلك فاني بحمد الله ما اهاب مائة رجل من اعدائي لو استقبلوني جميعاً وكذلك اصحابي وذلك لأن رغبتنا في الجهاد في سبيل الله لا رغبة في الدنيا وما يبالي احدنا اكان له قنطار من ذهب ام كان لا يملك الا درهماً لان غاية احدنا من الدنيا اكلة يسد بها جوعه ليله ونهاره وشملة يلتحفها لان نعيم الدنيا ليس بنعيم وانما النعيم والرخاء بالآخرة

فلما سمع المقوقس ذلك قال لاصحابه « هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد هبت منظره وان قوله لا هيب عندي من منظره » ثم اقبل المقوقس على عبادة بن الصامت فقال له

« ايها الرجل الصالح قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن اصحابك واخبرك انه قادم الينا لقتالكم جيش من الروم لا يحصى عدد رجاله معروفون بالنجدة والشدة لا يبالي أحدكم من لقي ومن يقاتل وانا لنعلم انكم لن تقدرُوا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقتلكم وقد اقم بين اظهروا شهوراً وانتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نعطف عليكم لقلة ما بأيديكم وتطيب انفسنا ان نصالحكم على ان نعطي كل رجل منكم دينارين واميركم مائة دينار وخليفتكم الف دينار فتقبضونها وتنصرفون الى بلادكم قبل ان يغشاكم ما لا طاقة لكم به »

فقال عبادة بن الصامت : — « يا هذا لا تغرن نفسك ولا اصحابك. اما ما تخوفنا به من كثرة عدد الروم وشدتهم وانا لا نقوي عليهم فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به ولا بالذي يثنيها عما نحن فيه . وان كان ما قلتم حقاً فذلك والله ارغب ما يكون لنا في قتالكم لان ذلك اعذر لنا عند ربنا اذا اقدمنا عليه فان قتلنا عن آخرنا كان ذلك امكناً لنا في رضوانه وجنته ونكون منكم حينئذ على احدى الحسينين اما ان تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا ان ظفروا بكم ، او غنيمة الآخرة ان ظفرت بنا ، وانها لا حب الخصلتين اليها بعد الاجتهاد منا وان الله عز وجل قال لنا في كتابه : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) . وما منا رجل الا وهو يدعو ربه صباحاً ومساءً ان يرزق الشهادة وان لا يرده الى بلده ولا الى ارضه ولا الى اهله وليس لأحد منا هم فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه اهله وولده وما همنا الا ما امامنا

« وأما قولك اننا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في اوسع السعة . ولو كانت الدنيا كلها لنا ما اردنا منها لانفسنا اكثر مما نحن عليه فانظر فيما تريد فليس بيننا وبينك

الأخضلة من ثلاث فاختر ايها شئت . ولا تطمع نفسك في الباطل . بذلك امرني الامير وبها امره امير المؤمنين وهو عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم من قبل الينا . اما ان اجبتم فالاسلام او الجزية فان ايتم فليس بيننا وبينكم الا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا او نصيب ما نريد منكم فانظروا لانفسكم »

وبعد حوار طويل بين عبادة بن الصامت وبين المقوقس من ناحية ثم بين هذا الاخير وبين اتباعه من ناحية اخرى قطعت المفاوضات واستؤنف القتال الذي انتهى بسقوط الحصن كما اسلفنا . وما كان صفر من سنة ٢٠ للهجرة (٢٠ يناير سنة ٦٤١ م) حتى اعلن الامير عمرو ابن العاص فتح مصر فكان هذا الاعلان ايذاناً بضياح آخر وأتمن درة في جبين الامبراطورية البيزنطية . واذا كان امبراطورهم عند ما طرده العرب من سوريا قال وهو ينظر اليها من فوق ظهر سفينته السلام عليك يا سوريا سلاماً لا اجتماع بعده فانا لا ندرى ماذا قال قواده عند ما فارقوا الحصن نادمين على ملك افراطوا في التفریط فيه

كان اول ما عني به عمرو لما اصبح امير مصر ان شيد جامعة ثم وزع ما حوله من الارض على الجماعات من القبائل المتنوعة التي تألف منها جيشه فاخترت كل قبيلة فيما اختصت به خططاً تألف من مجموعها اول عاصمة اسلامية للديار المصرية وأول نواة للعمارة الاسلامية بها وفي الجهة البحرية من الجامع بنى عمرو داراً له وأخرى غربيها لابنه عبد الله عرفت « بالدار الصغرى » تميزاً لها عن دار ابيه التي عرفت بالدار الكبرى . كذلك بنى الزبير بن العوام داراً له بجوار دار عبد الله وظل عمرو حاكماً لمصر الى ان عزل عنها سنة ٢٣ هـ (٦٤٤ م) ثم عاد اليها سنة ٣٨ هـ (٦٥٨ م) وبقي حاكماً عليها الى ان توفي سنة ٤٣ هـ (٦٦٣ م)

اتسعت هذه المدينة رويداً رويداً وارتقت على عهد الخلفاء من بني امية وصارت مقراً للولاة من قبلهم وفيها ابتنى عبد العزيز بن مروان امير مصر من قبل اخيه الخليفة عبد الملك الاموي (دار الامارة) تعلوها قبة مذهبة شأن الامويين في تفخيم بناياتهم حتى تبرز البنايات البيزنطية التي خلفها الروم وراءهم في الاقطار التي انتزعها العرب منهم ولعل دار الامارة هذه كانت اول بناية اسلامية كبيرة في مصر وصل الينا نبأ زخرفتها . وفي آخر لحظة من حياة الدولة الاموية قدم مصر مروان آخر خلفائها فاراً امام جيوش العباسيين التي كانت تتعقبه حتى وصلت مصر فنزل القائدان صالح بن علي وأبو عون بعسكرهما في الشمال

الشرقي من القسطنطينية وهناك شيدوا المساكن والدور وتكوّن من مجموعها ضاحية جديدة للقسطنطينية سميت (العسكر) وفي وسطها بنى صالح بن علي «دار اماره» جديدة صارت مقرّاً للأمراء بدلاً من دار عبد العزيز بالقسطنطينية. ثم بنى الفضل بن صالح جامعاً جديداً بجوارها سمي جامع «العسكر». وبذلك انتقل مقر الحكم من قسطنطينية عمرو الى «العسكر». ولما قدم احمد بن طولون والياً على مصر نزل بدار الامارة والعسكر. ولكن لما ضاقت بعسكره وحاشيته بنى له قصرأ خاصاً في الميدان الذي تحت قلعة الجبل الآن. وانشأ ميदानاً بين هذا القصر وبين الجبل القائم عليه حي طولون الآن. وحول هذا الميدان بنى قواده وعساكره اخطاطاً كاملة لكل قائد بعساكره خطة خاصة ومن مجموع هذه الاخطاط تكوّنّت مدينة ثلاثة شمالي العسكر سميت «بالقطائع» وان تكن في الواقع ضاحية ثانية او امتداداً لمدينة القسطنطينية. والى هذه المدينة الجديدة انتقل مركز الحكم والامارة

وقد همّ بنو طولون بالاستقلال بمصر عن دولة العباسيين ببغداد الا أن دولتهم دالت سنة ٢٩٢ هـ (٩٠٤ م) فأمر الخليفة المعتضد بالله العباسي عماله الذين جاءوا بعد الطولونيين بهدم القطائع وقصور بني طولون كراهة فيهم وانتقاماً منهم. فاكثى هؤلاء العمال بهدم القصور وتركوا القطائع والجامع على حالهما فبقيت عامرة زاهرة اكثر من قرن بعد زوال حكم مؤسسيها

ولما زال حكم الاخشيديين وامتلك الفاطميون مصر انشأوا القاهرة شمالي القسطنطينية. واتخذوها خلفاءهم عاصمة جديدة لملكهم ومقرّاً لهم وحاشيتهم دون سواهم. اما طوائف العسكر والتجار والعمال فكانوا يسكنون القسطنطينية. ثم اخذ الناس يفتدون على القاهرة آناً بعد آناً حتى كسفت القسطنطينية. وفي الواقع ان قيام القاهرة اقعده هذه العاصمة القديمة وقضى عليها تدريجاً فكانت القاهرة كلما تقدمت خطوة في سبيل الاتساع وال عمران تتهقرت القسطنطينية بجانبها خطوة الى الوراء في طريق التدهور والانحطاط حتى قال ابن سعيد (ومنذ بنيت القاهرة ضعفت مدينة القسطنطينية وفرط في الاغتياب بها بعض الافراط)

ومما عجل في خراب القسطنطينية امران (اولهما) الشدة العظمى التي كانت في خلافة المستنصر ابتداء من سنة ٤٤٦ هـ (١٠٥٤ م) حيث ارتفعت اسعار الحاجيات واشتد الغلاء وكثر الوباء بالقاهرة والقسطنطينية والاقاليم مما سبب الفتنة الكبيرة التي خرب بسببها القطر بأكله ومهاجرة جانب عظيم من سكان القسطنطينية التي تخلى عنها اصحابها. فأخذوا كل ما وصلت اليه ايديهم من مواد البناء ونقلوه الى القاهرة حتى خرب معظم القسطنطينية والعسكر والقطائع

والثاني - حريقها في وزارة شاور بن مجبر السعدي لسبب التنافس على الوزارة بينه وبين ضرغام ثم تدخل اموري دي لوزيان منتصراً لشاور سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م) واعتزاه بعد ذلك

بسنتين غزو القسطنطينية فصار إليها حتى بلغ بركة الحبش بعد ما استولى على بلبيس
وفي ذلك الوقت كان أكثر العسكر والقطائع خاليًا من السكان بخلاف القسطنطينية فإنها وإن لم
تكن على عهد الأول من القوة إلا أن سكانها كانوا غير قليلين . ولما لم يسع شاور الدفاع
عنها أمر باخلائها وحرقها . وهنا ندع المقرضي يتكلم فيقول : —

(فنأدى شاور بمصر ألاّ يقيم بها أحد وأزعج الناس في النقل منها فتركوا أموالهم ونجوا
بانفسهم وأولادهم وقد ماج الناس واضطربوا كأنهم خرجوا من قبورهم إلى المحشر لا يعبأ والد
بولده . ولا يلتفت أخ إلى أخيه . وبلغ كراء الدابة من مصر إلى القاهرة بضعة عشر ديناراً . وكراء الجمل
إلى ثلاثين ديناراً . ونزلوا بالقاهرة في المساجد والحمامات والأزقة وعلى الطرقات فصاروا مطروحين
بعيالهم وأولادهم وقد ساموا سائر أموالهم . (إلى أن قال) وبعث شاور إلى مصر بعشرين
الف قارورة نقط وعشرة آلاف مشعل نار فرق ذلك فيها فارتفع لهب النار ودخان الحريق إلى
السماء فصار منظرًا مهولاً فاستمرت النار تأتي على مساكن مصر من اليوم التاسع والعشرين
من صفر لتمام أربعة وخمسين يوماً . ومن ثمّ تحوأت مصر القسطنطينية إلى تلك الاطلال المعروفة
الآن بكيمان مصر

وبعد أن أوقد شاور النار في القسطنطينية التجأ إلى القاهرة . ولم يتمكن أموري من الاستيلاء
على مصر لأن صلاح الدين كان قد ظهر في عالم الوجود وأضحى سيد مصر واستولى على الشام

وفي القرن التاسع الهجري خلص القلقشندي الحن التي نزلت بالقسطنطينية (إلى أن قال) : —
(وبعد حريق شاور تزايد الخراب وكثر الخلو ولم يزل الأمر على ذلك في تهقر أمره
(القسطنطينية) إلى أن كانت دولة الظاهر بيبرس أحد ملوك الترك بالديار المصرية فصرف الناس
همتهم إلى هدم ما خلا من أخطائه والبناء بانقاضه بساحل النيل بالقسطنطينية والقاهرة وتزايد
الهدم فيه (القسطنطينية) واستمر إلى الآن حتى لم يبق من عماراته إلا ما بساحل النيل وما جاوره
إلى ما يلي الجامع العتيق (جامع عمرو) وما داني ذلك ودرت أكثر الخطط القديمة وعفي رسمها
واضمحل ما بقي منها وتغيرت معالمه

واليوم ونحن في منتصف القرن الرابع عشر الهجري . لم يبق من القسطنطينية الأصلية إلا
كبانها القائم فيما بين النيل والمقطم وما نسميه اليوم مصر القديمة لا يمكن اعتباره من بقاياها
فإن المنطقة المحصورة بين خط سكة حديد حلوان شرقاً و الضفة النيل الشرقية غرباً لم تظهر
إلى عالم الوجود إلا في أواخر القرن الرابع الهجري بعد ما تحول النيل من مجراه الأصلي
شرقاً إلى مجراه الحالي غرباً . وسبحان من لا يتحوّل !!

أدب الصومعة وأدب الحياة

مقدمة الصنّاجة (١)

بين داليّة أبي العلاء (غير مجد) ، و (رباعيات) الزهاوي ، و (مواكب) جبران ، و (صنّاجة) الرياشي نسب وعرق متين. فهي على الجملة قنوط من العيش، وملل من السعي، وتضاحك بالناس. فكان هذا الفرع من الأدب العربي شيء على حدة ، لا صلة بينه وبين الآخرين ! ويتلاقى على الفرع الجديد شعراء من كل صوب فسرب من ضفاف (دجلة) وسرب من مشارف (المهجر) يضاف إليهم شعراء ما برحوا زغب الحواصل. فلم يعتلوا الجو بعد ، ولا تجاوبت الجهات بأصواتهم. بل تسمع لهم بين الفترة والفترة هتافات تجمي بها الريح وتذهب وإنك لتعجب حين تدري ان ذلك الفرع العربي الذي نبت - او كأنه نبت - على جوانب (اللزوميات) لم يستقم ساقه في البناء ، ولا خرج شطؤه على عادة الشجر ، فهو غراس عجيب ، طلع في (المعرة) ، واورق في (نيسابور) . فكانما نبت في (دهليز) أبي العلاء ، ومال على (بساط) الخيام بالظل والزهر ! فقل في ذلك الفرع الاعوج: غراس نسقيه الماء عربياً، فيخرج الزهر فارسياً. كاحدى الشجرات في حقلك ، على الحد ، همها عليك ، وظلها على جارك ...

وذلك الفرع لم يتبدّل على الازمنة. فهو منذ ما مدّ الخيام بساطه الى يومك الحاضر شيمة واحدة. فقت للناس كما رأيت ، وهزؤ بالحياة ، واطلاق النفس على الهوى ، وتباعد عن المعترك حتى لتحسب ان الدنيا خلقت لواحد ! فبينما أنت من يومك حيث تعجّ الدنيا العريضة بالغادين على العيش ، وتزحم المناكب المناكب ، اذ الواحد من الجماعة يناديك من بعيد وهو في مثل كوة الصومعة. فتدهش لذلك المتخلف عن ركب الحياة ، تسائل نفسك ما شأنه ، وما تحلفه في آخر الخلائق ، وما يصنع بعمره ، ويُسْتَفْع به !!

فتجد صاحبنا قعيد الصومعة ، محلول العزيمة . همّه من الدنيا بساط عشب ، وكأس خمر ، وساعة من حبيب - وعلى كل شيء بعد ذلك العفاء !

ولعمرك كيف يتبدّل (أدب الصومعة) هذا ، ويمد ساقيه على بمحوجة ، ومجاله اضيق من قيد الشبر !! فهو أشبه ما يكون بمخيلة (مانه) على قول (زولا) :

— (مانه) عصفور صغير ، على غصن صغير ، في ربيع عمره خمس دقائق ...

وهكذا (أدب الصومعة) لفّ ودوران على غرض أيسر من ان يحسب في الهموم فلا غوص على النفس ، ولا تطلع الى محجّب من وجوه الحياة ، ولا كدح في صعيد الفكر وراء الحق والجمال . فاذا جاد حبيب بساعة ، وامتلات كأس برّاح ، واخضر مطرح بعشب ، قامت الدنيا في نظر الجماعة ، واستراحوا حيث تتعب العقول !

ولقد أشرفت الدنيا على آخرها . و (أدب الصومعة) في موضعه لا يتحوّل . فلا مدّ اذاً بعد (الخيام) ، ولا اطرّح عيناً ، ولا سرح اصبعاً ، فالقصة ان شاعر الفرس بعد ان جاب فكره الأرض والسموات ، وأوفى على الامر ، برّح به الكد ، فاطلق في وجه الحياة رباعية حري ، عذره بها عذر الغمرة التي تغم النفس بعض الاحياء ثم تنجلي . فتعلق اولئك على الرباعية (السوداء) . وحسبوا ان تلك النفثة غاية الرجل من الفلسفة ، وجماع رأيه . ومعاذ (ابي الفتح) عمر ، وهو نادرة فارس في الحكمة والطبيعيات والفقه والتكليف والتاريخ وعلوم النجوم ان يقصر العيش على هبوط الطبع ، وانتكاس الدهن !

نأعجب لأدب مُسمّر عليه بتلك النفثة الفانية . تتحوّل العقائد ، وتترامى الأغراض ، وتنفسح شقة الفكر البشري ، وهو المعلق في مكانه !

و (أدب الصومعة) أدب الحب والطبيعة ، في زعم أهله . فاذا جئتهم تسأل لساناً واحداً يبحث الحب والطبيعة ، كأنّ يذكر لك مثلاً علاقة الطبع بالحساسة ، او رابطة النفس بالطبيعة في شيمة من شيم الخلقة فانك تطلب ريشة العنقاء !

فالجماعة كندامى (المجوس) يحترسون الحمر بالنظر ، وينشقون الزهر باطراف الاصابع !

ان الادب الحق غير ذلك !

هذا (شكسبير) وهو نادرة الازمان ، تكاد العيون اليوم تتغامز على اوجه . ويكاد المتشددون يهمون بالقول ان «الشكسبيرية» على شفا . فسقوطها اقرب مما في الحسبان . ذلك ان الادب «المطّرب» الذي لا ينغمس في معمعان الحياة حتى الركبتين ، اصبح مززل القدم في جيل «التبسط» من هذا ! . وبوادر «الشعوبية» الادبية الجديدة ما ترى في الادب الفرنسي مثلاً من تنكب عن الدرب ، حتى ليستطيع امس كاتب ناشئ «كلورين» ان يضحك على انف «كورنايل» فيقول فيه «صنم الفضائل الالكه» ، ولا تقوم القيامة ...

وكما يقال في الادب يقال في الموسيقى ، وفي التصوير ، وفي التمثيل ، وفي مختلف الفنون «فونه» آية الجليل المولي عند الفرنسيين ، لا يكاد يذكر بشفة في فجر «الكيبيزم» الطالع . ويكاد «وغر» يخفت صيته في ضجة «الانطلاق» التي يثيرها «فان دونغن»

و «رينالدوهن» فلقد اعقب نسق الدقائق في الرسم نسق الجملة ، واعقب التبسط في الموسيقى التماسك . وبكلمة أخرى ، فالقنون اليوم تتنزل من رفرف التأله الى مستوى الناس ...
 فاذا جاز ان يقال هكذا في «شكسبير» و«كورنايل» واضرابهما من اصحاب الممتعات في فهرس الفكر البشري فكم يحاز - بالله عليك - ان يقال في زمرة «الخيّامين» المساكين !!

قال «بول فاليري» يوم رفعت القبة على قبر الجندي المجهول في باريس .
 «على اصحابنا - يعني اهل الادب - ان يستيقظوا ! فقبر الجندي المجهول قصيدة تخرجها الحياة على اتم ما يكون ، دون ان تفترق الينا فتتلاقى تحت القبة قلوب الفرنسيين من كل حدب . ترف على البلاطة ، وتحوّم بملايين الاغراض المتفرقة ، من الف المشاعر الى يأها ...
 فاذا انطلقت الحياة تخرج للناس في غيبة الادب وتقصيره امثال هذه القصائد الوافية ، فما حاجتهم الى الشعراء !!»
 فعلى الادب ان ينزل الميدان . عليه ان يغشى الحياة ، ويدخل من الابواب ومن النوافذ ومن شقوق الحائط !

ان الادب مرآة الحياة . مجالها مجاله . واطارها اطاره . فكل ادب لا يترأى فيه وجه الحياة على تمامه ، فهو مرآة ناقصة ، طرحها اخلق من الابقاء عليها . وكما ان الحياة قسوة واعناء وتصعيد وتصويب ، كذلك يجب للادب . فيكون عليه غبار الكد . فمن المحصل ان الضحولة لا تقذف اللؤلؤ ، ولا تشق الاصبع عباب اليم . ومن العبث ان لا يجعل الادب في تقليد الحياة ، حذوك الشيء بالشيء . فعظام «اوسكار وولد» بليت في ترابه ، وبلي معه قوله «الحياة تقلد الادب ، والادب لا يقلد الحياة»

والادب تأدية رسالة . عهده في الله : الحق والجمال . ففي العهد ان تؤدي الرسالة وهي تقطر بدم القلب ! كد على الحق ، حتى يشعشع بياض الصحيفة من البرهان . وهوى للجمال حتى تتفتق قصبة القلم من الوله !!

هذا هو الادب . وذلك شأنه في الميدان . اما أن يظل المتمشي على الحافة ، في رباعيات (الخيّامين) وخماسياتهم وسداسياتهم الى آخر الحساب ، ينظر من بعيد ولا يلقي قدماً ، فالحياة براء منه

ذلك ، فضلاً عن ان «ادب الصومعة» غريب في عقر داره . فهو يتهاك في التباعد عنا ، تقرّباً الى ذوق الفرس القدماء من جيل الخيّام . تراهم يطبعون اذواقهم على الفارسية العتيقة . يتخذون لها المقاطع مقطّعة من كل وزن ، وبياض الصحيفة صحراوات رحيبة بين البيت

والبيت . حتى لقد كاد باعة الورق يدعون انهم انصاف ادباء ، محتجّين بذلك علينا ...
 و تراهم يخرجون الدواوين في طائفة من الصور ، تقليداً « لانجيل الخياميين » فقد اجمع
 مترجمو « الرباعيات » على انها وجدت في صور ترمز اليها . و تراهم يزرون بالاوضاع ، ويعبثون
 بالتقليد الكريم ، شأن الخيام ، وقد ازرى بالفارسية وعبث بتقاليدها يوم الرباعيات
 إن شرط الادب قبل اي شيء ، ان يكون ، في الاقل ، من نصيب الامة . تفي اليه
 بكلفة مرفوعة وسبيل ممد . وان يغدو صورة صحيحة في تاريخها ومشاعرها وعقائدها
 و شرط الصدق في الادب ان يصدر واحداً عن ذات نفسه ، وعن بيئته ، فلا يكون
 منّا ، ولسانه مثلاً يلعلع علينا من خلل (الرباعيات) الاجنبية !
 و شرط التلاقي بين الادب والفن على صنيع واحد ، ان تكون الريشة في دورها والقلم في
 دوره . لا ان تطف الريشة على القلم . فيقصر الادب ، ويقوم الفن بالدورين . اذ الادب ادب
 لا يزيده الفن شيئاً على المحك ، ولو تولاه (ليوناردو فنسي) . نفسه بالف (جوكوندا) ؟
 و شرط الاجادة ان ترضي الاوضاع عن النتائج . فلا يقطع الواحد حبل الابد ، وينطلق
 على رأسه . ففي الادب سياق هو الحسن على كل جيل . شرط المضمار فيه ان تذهب الجياد في
 شوط واحد . لا ان يند الجواد عن فوجه ، وينفرط التسابق !

هذا من جهة الغرض . واما من جهة الصناعة ، فبيننا وبين الخياميين ، خلاف ننادي به
 على السطوح ! فنقول نحن بالخطر الشائع ، في الصنيع الفني ، من المستهل الى المقطع . حتى
 تغدو القصيدة « قطعة » واحدة مملومة الاطراف . لا افراط بها ولا تفريط . وبالمعنى الذي
 يسكن المبنى . فينصب الماء في ذوقنا ملء الاناء . معنى واحد في مبنى واحد ، لا الف انا
 لقطرة ماء ...

ونقول بالاداء السري . فالديباجة شرط مقدم . اذ ان الصنيع الفني ينهض بجناحين
 المعنى من جانب ، والمبنى من جانب . والادب بيان . فكيف يصلح الاصبحاً ظاهر البهجة
 مدقق الرنق . حتى لقد تشدد نفر من اصحابنا « فاحسوا » انتفاضة الحياة في اللفظة الواحدة
 - ونعم التشدد !

ونقول بالميسم المطبوع . فيكون على الصنيع الفني نفس صاحبه يكاد القارئ يتبينه
 من الرائحة . . . فتسلم الاعراض في الادب ، ويصبح لكل بنت من بنات الافكار والد !
 ذلك رأينا في الصناعة . واما رأي الخياميين ، فتقطيع الاوصال في « الوحدة » الفنية .
 وكيل الالفاظ في المعنى . والعبث بالمبنى . والتقليد في اللهجة حتى ليقبل واحد منهم ، على رشاش
 من ريق الف قائل . . . وعفا الله عن الباقي !

الزراعة المصرية القديمة

نظرة اجمالية

للكنوز حسن كمال

توطن قدماء المصريين وادي النيل منذ آلاف السنين . ومن ذلك الوقت والبلاد كانت عرضة لغزو الاجانب وفتح الفاتحين . ولما توثقت عرى التعامل مع البلدان المجاورة زاد الاختلاط وكثرت الهجرة بين الاقطار المتاخمة والمملكة المصرية على توالي الاجيال . لكن بالرغم من ذلك حافظ المصري على خصاله وعاداته واخلاقه . ولما كانت مصر « هدية النيل » جاز لنا ان نستنتج ان تأثير هذا النهر العظيم والمعيشة في واديه كانا عنصرين قويين في محافظة سكان تلك البقعة على طباعهم بل وفي صبغ كل من يقطنها بنفس الصبغة من حيث المعيشة والطباع والمعاملة او بعبارة اوجز من حيث « التمسّر » . ولسنا نعرف قطراً في هذا العالم يعتمد في معيشتة على نهر واحد الا القطر المصري . كذلك لا يوجد نهر في العالم له خواص وادوار طبيعية منتظمة مثل النيل . فاذا علمت ذلك ثم زدته خصاً وتمحيصاً اتضح لك ان سكان القطر المصري لا بد ان يكونوا محافظين على مصريتهم جداً المحافظة كما حافظ نيلهم على نظامه وحافظت تربتهم على طبيعتها لذلك كان هذا الثبات في طباع القوم واخلاقهم ومعاملاتهم ثمرة وادي النيل وتربيته . والمعروف ان كل عنصر اجني استوطن القطر المصري في الازمنة الغابرة تأثر تدريجاً بالمؤثرات المصرية حتى تمسّر الى حد بعيد . وليس هذا الامر بالمستغرب لان المعروف في اقطار العالم ان الطبائع الخاصة بسكان المعمورة هي وليدة الاقليم والتربة . وان سحر تمثل هذه الحقيقة اوضح تمثيل . فهي بعزلتها شمالاً بواسطة البحر الابيض المتوسط وشرقاً وغرباً وجنوباً بالصحارى جاءت برهاناً ساطعاً على صدق هذا الرأي

ومن الطبائع المصرية الغريزية ولع المصريين بالزراعة وفروعها المتباينة حتى جرى ذلك في نفوسهم جريان الدم في الجسد . فيجد الباحث في تاريخ مصر القديم ان اهلها كانوا مزارعين من اقدم الازمنة وان خبرتهم في الفلاحة ذاعت وصيتهم في طرق الري والمساحة علا وارتفع . فتمكنوا بمرور الزمن من التغلب على العقبات الناجمة من فيضان النيل وطبيعة الارض . وحصر القوم زراعتهم في حاجاتهم الاقتصادية . فابتكروا اولاً طريقة لقياس الزمن وتجزئته بما يتفق مع زراعتهم فأدخلوا السنة الشمسية ذات الثلاثمائة والخمسة والستين يوماً في حسابهم



البقرة المقدسة « حاتحور » من العهد الصاوي
دار تحف القاهرة تصوير الدكتور حسن كمال

وكان ذلك عام ٤٢٤١ قبل الميلاد . ثم قسموا السنة الى ثلاثة فصول زراعية هي فصل البذر وفصل الحصاد وفصل الفيضان النيل . ثم جزّأوا كل فصل بعد ذلك الى اربعة اشهر فصارت سنتهم مقسّمة الى اثني عشر شهراً كما هي الحال عندنا الآن . ثم تغلبوا على صعوبة اختلاف ارتفاع الاراضي بأن قسّموها الى عدة حياض وذلك باقامة الجسور وحفر الترع . ثم فرضوا الضرائب قياساً الى المساحة المزروعة وذلك بمعرفة الحد الأقصى لفيضان النيل السنوي . لان هذا الاخير يعطيهم فكرة عامة عما يمكن ان يكون عليه مقدار المحصول السنوي وقتئذ . وتفننوا في طرق الري فشادوا خزاناً بالفيوم وذلك في عهد الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ - ١٧٩٠ ق. م .) وكان هذا الخزان يحجز مقداراً من الماء يكفي لري الدلتا بعد هبوط النيل ووردت روايات كثيرة من المؤرخين عن مجرى النيل اهمها حكاية هيردوتس الذي قال ان مينا اول ملك حكم مصر مجتمعة (حوالي عام ٢٢٠٠ ق. م .) حفر مجرى آخر للنيل قبالة منف وحوّل هذا النهر العظيم الى مجراه الجديد (وهو الحالي) فربح بذلك منطقة كبيرة شاد عليها مدينة منف عاصمته الجديدة وقتئذ .

ومنذ ما بدأ اهتمام المصريين بالشؤون الزراعية ينمو ويكبر (وهذا الاهتمام يرجع تاريخه الى اقدم العصور المعروفة) اخذت مصر تتقدم في فروع الزراعة على اختلاف انواعها بنفس الخطوات التي خطتها في مدنها وابتكاراتها حتى صارت في النهاية مملكة زراعية صناعية من الطبقة الاولى واشتهرت بضائعها بين الامم فصار للكتان المصري المرتبة الاولى في الاسواق . كذلك مصنوعات الخزفية والزجاجية والخشبية

ولا ينحصر السبب في تقدم الزراعة المصرية في خصب التربة وحسب وما احدثه ذلك في نفوس الاهالي بل يشتمل ايضاً على اثر هذا الخصب في اخلاق القوم ومعلوماتهم الفنية بشكل لا يقل وضوحاً عن الحالة الاولى . كذا خصائص النيل الطبيعية ونتائج فيضانه السنوي يرجع اليها كثير من الفضل في معرفة المصريين لعلمي الهندسة والمساحة . فقد نسب كل من هيردوتس وافلاطون وديودوروس واسترابون اصل علم الهندسة الى التغيرات الطبيعية التي تقع اثر الفيضان النيل . والى ضرورة ارجاع حدود الاراضي الى نصابها بعد الفيضان كما كانت عليه قبله . وهذا كله مما يعزّز القول بان علم الهندسة ولد بالقطر المصري وترعرع فيه . وليس هذا الامر بالمستغرب فان زوال الفيضان كان تصحبه منازعات ومشاجرات بين اصحاب الاراضي لسببين . اولهما : ان حدود الاراضي لم تكن ثابتة ثبوتاً كافياً في كل الاحوال . وثانيهما : ان جسور النيل كانت عرضة في بعض الاحيان للتلف نتيجة ارتفاع النيل فيتغير كثير من معالم الارض الواقعة على شاطئ النيل . لذلك أصبح ضرورياً وضع نظام ثابت لمساحة الاراضي لمنع هذه المشاحنات وايضاً لجمع الاموال الاميرية . ولا نعلم بالضبط تاريخ ظهور

علم المساحة بالقطر المصري والغالب أنه قديم العهد جداً
يمثل هذه الطرق وسواها تمكنت الحكومة وقتئذٍ من الاشراف على كل زراعة القطر
وتقدمها فنجح عن ذلك زيادة عدد السكان . لكن هناك عوامل أخرى ساعدت على تقدم
الزراعة في وادي النيل خلاف خصب التربة هي عظم فيضان النيل ونشاط العنصر المصري وعدم
تغير الطقس وقلة المطر وعزلة الوادي . هذه الاحوال كلها هيأت مصر لان تكون مزرعة العالم
القديم تصدر حاصلاتها الى سوريا وجنوب اوربا في مقادير كالتي كانت تغذي بها روما في
العصور الاخيرة

والرسوم الزراعية العديدة المنقوشة على الآثار المصرية تظهر بوضوح عظيم اهتمام
المصريين بالفلاحة . ويستدل منها ان محاصيل القطر وقتذاك لم تختلف كثيراً عن محاصيله
الحالية . اما خبزهم فكان يصنع غالباً من القمح . وقد عثر في المقابر على مقادير كبيرة من القمح
الفرعوني كما عثر أيضاً على مقادير لا بأس بها من الخبز ويجد الباحث الآن كثيراً من هذه
الاخزرة في جميع متاحف العالم تقريباً . ولا حاجة بنا الى ان نذكر هنا ان القمح المذكور لا يمكن
انباته الآن لان جنين الحبة لا يعيش طويلاً ، وعلى ذلك فكل ما قيل عن امكان انباته لا يدل
الا على ان بعضاً من القمح الحديث تسرب الى القديم وان ما نبت هو الحديث

وصنع القوم الجعة العذبة (البوظة) من الشعير والنبيد من العنب الذي كان كثير النمو
في القطر . واشهر اقليم مربوط والواحات بالعنب والنبيد . اما العرق فكانوا يصنعون منه مقادير
وافرة . واما اشجار النخيل فكانت كثيرة . واهتم القوم بتربية النحل حتى لقبوا بملكهم
بالنحلة . وعلى ذلك فكان الشهد كثير الاستعمال . اما قصب السكر فلم يكن معروفاً

اما الحيوانات الداجنة والوحشية فكانت وافرة بالقطر . فمن الفريق الأول الحمير والثيران
والغنم والماعز والخنازير والكلاب والهرر والاوز والبط . وكان هناك نوع من الغنم له
قرون حلزونية افقية انقرض منذ عهد الاسرة الثامنة عشرة (١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق . م .)
لكنه بقي في الديانة القديمة يرمز به الى المعبود (خنوم) . اما الكباش ذو القرنين الهلالين فكان
يرمز به الى المعبود أمون . واستأنس القوم الكلاب منذ اقدم العصور وتولد منها لديهم عدة
اصناف . واما الهرم فخيوان مصري قديم اعتبره القوم وقتئذٍ رمزاً للمعبودة (باستت) وادخلت
الخليل القطر المصري مع الهيكسوس او ملوك الرعاة الذين حكموا مصر من سنة ١٧٨٨ الى سنة
١٥٥٥ ق . م . تقريباً وحضرت معها وقتئذٍ العجلات الحربية . اما الدجاج فلم يدخل مصر
الا في زمن الاسرة الثامنة عشرة (١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق . م .) ولم يقدر المصريون الخيل
ولا الدجاج . وامتازت الخيل المصرية بجودة نوعها حتى ورد ذكرها في التوراة وذلك في الاصحاح
العاشر في الملوك الاول آية ٢٨ وهي « وكان مخرج الخيل التي لسليمان من مصر » . ولم يمتط



المعبود ازوريس من العهد الصاوي
دار تحف القاهرة تصوير الدكتور حسن كمال

القوم الجواد الآ في العهد الصاوي (٦٦٣ - ٥٢٥ ق. م.) ولم يستعملوا الجمل في فلاحهم بل بقي استعماله مقتصرًا في الصحراء. ولم يدرسه على الآثار الآ في العصور الأخيرة بالرغم من أن بعضهم يدعي أنه وجد منقوشًا على آثار يرجع تاريخها إلى ما قبل حكم الأسر المصرية. وكان الفيل معروفًا قبل عهد الفراعنة بالقطر المصري (أي قبل حوالي سنة ٣٢٠٠ ق. م.). ثم انقرض تدريجًا إلى أن أصبح وجوده بمصر ضمن جزية البلاد الآسيوية وولع القوم بالصيد والقتص في المستنقعات والصحاري والمستعمرات الآسيوية فكانوا يصطادون الثيران الوحشية والوعول والقطاط الكبيرة بالقوس والرمح أو بعصاة الصيد المتوية. وهذه الأخيرة كانت تستعمل بكثرة في صيد الطيور في المستنقعات واستعمل القوم العجلات في صيد الصحاري والشباك في صيد الأسماك

وكان لشدة ولعهم بالزراعة أثر كبير في أحوالهم المعاشية. فعبدوا النيل منذ أقدم العصور. وآلهوا الثور (إيس) (شكل ١) والبقرة حاتحور (شكل ٢) والظائر (إيس) واعتقدوا أن (ازوريس) (شكل ٣) هو الذي علمهم الفلاحة ونقشوا اسمه داخل طغراء ملكية. أما الكهنة فعلموا الإلهي أن (ازوريس) هو رمز الماء وهو أيضاً رمز للحياة التي تفنى لتعود بعد ذلك في شكل أزلي. ومثله بالنبات الذي ينمو بعد قطعه. قال (فلوخرخوس) أن الآلهة لما زارت مصر أوجدت المعبودة (ازيس) (شكل ٤) القمح وخلق (ازوريس) أدوات الزراعة وكان أول من ربط الثور إلى المحراث وعلم الخلق أنواع النبات. ولما اعتلى (ازوريس) العرش انقذ الخلق من النفاقة وعلمهم الفلاحة وسن لهم القوانين

وعبد القوم عدة أشجار مثل اللبخ والجيز والسنت، كما أنهم قدسوا بعض الأسماك مثل سمك (العبيدي) (Oxyrhynchus) و (ثعبان الماء Phagrus) و (البني) (Lepidotus) ثم خصصوا للقمح معبوداً سموه (نبرو) ولفيضان النيل في الصعيد معبودة سموها (مرتي قمح) ولفيضان الوجه البحري معبودة سموها (مرتي ممت). وهناك معبودة يقال لها (رننت) رمزوا بها إلى الحصاد ومعبود سموه (من) كنوا به عن الخصب. ولم يقتصر الحال على ذلك فتخيلوا أن في الآخرة حقولاً كثيرة القمح وأن قمحها يفوق قمح النيل طولاً وسياًتي ذكرها

وتأثرت الصناعات والفنون الجميلة بأحوالهم الزراعية. فصنعوا عمدهم على شكل النخيل وزهر اللوطس (البشنيين) وسيقان البردي. وجعلوا أرجل مقاعدهم بهيئة أرجل الحيوانات. حتى أدوات الزينة صنعوها على شكل حيوانات وحشرات كالجراد مثلاً. وأثرت الزراعة أيضاً في معلوماتهم ومعارفهم فكوّنت عدداً كبيراً من أحرف الخط الهيروغليفية يحد بالئات منها الطيور والحيوانات الوحشية والداجنة والحشرات والنباتات وأجزاء النباتات مما هو معلوم عند علماء تلك اللغة

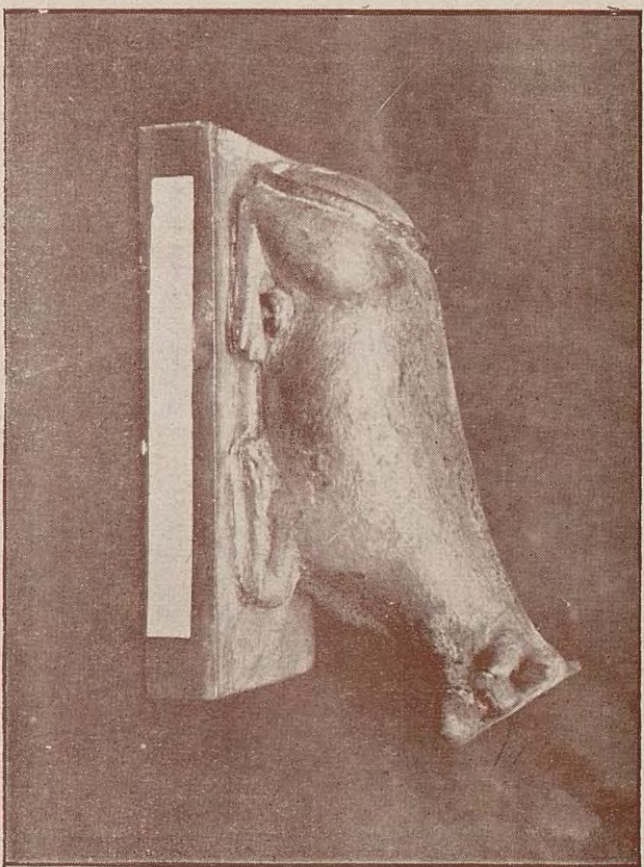
وتأصلت المعيشة الزراعية في حكومة البلاد فسبقوا اسم الملك برسم فرع البردي (وهو رمز الوجه القبلي) وبرسم النحلة (وهو رمز الوجه البحري) إشارة الى ان هذين القطرين قد خضعا له. ويصحب هذه الرسوم غالباً رمز ان آخران هما العقاب (وهو رمز «نخبت» معبودة مدينة الكاب عاصمة الوجه القبلي) والصل (وهو رمز «بتو» معبودة عاصمة الوجه البحري المسماة بتو ايضاً). ويشاهد النسر على رؤوس التماثيل الملكية ليحميهم من الاذى كما هو الحال في تمثال الملك (خفرع) المحفوظ بدار تحف القاهرة

كل هذه المعلومات تظهر للقارئ شأن الزراعة المصرية القديمة وكيف تدرجت من اقدم العصور الى زمننا هذا. ولاستقصاء ذلك يجب الرجوع الى ما كتبه المؤرخون مثل هيردوتوس وبلينيوس والى الرسوم الزراعية الواردة على الآثار والى الاوراق البردية والى النباتات والزهور التي وصلت الينا محفوظة مع ادوات الموتى وموميائهم والى الحيوانات المحنطة

اما أهم النقوش الزراعية القديمة فهي الواردة في مقابر اكابر القوم. وهذه توجد عادة في مختلف جهات القطر بحسب عصرها. فمقابر المملكة القديمة (٢٩٠٠ - ٢٤٧٥ ق. م.) تكثر في منطقة الاهرام كأبي صير وسقارة وميدوم والجيزة. ونقوش هذه المقابر متقنة الصنع عادة وتحوي مناظر هامة لطرق المعيشة الزراعية وقتئذ. وكان رائد الحفار حينذاك اثبات الحقائق فجاءت رسومه قريبة جداً من الحقيقة. ولما دخلت مصر في عهد الاقطاع (٢٤٧٥ - ٢٠٠٠ ق. م.) تفرقت المراجع الزراعية الى عدة جهات بالقطر مثل بني حسن ودير الجبراوي واسيوط ومبر. لكن يلاحظ ان الحفار في تلك العصور كان رائده اثبات ما يمكن ان يؤثر في نفوس الزائرين دون توخي الحقيقة بقدر الامكان. اما مقابر اسوان التي يرجع تاريخها الى هذا العهد فتسكاد تكون معدومة النقوش اللهم الا القليل منها وذلك حول مدخلها الخارجي. ومقابر عصر المملكة الوسطى (٢٠٠٠ - ١٧٨٨ ق. م.) ليست دائماً كاملة بالنقوش. ولما جاء عهد الامبراطورية (١٥٨٠ - ١٢٠٠ ق. م.) كان هم القوم اثبات ما كان يهم المملكة القديمة اثباته وذلك بقصد الزخرفة والزينة في معظم الاحوال

ولقد ساعدتنا رسوم المقابر المذكورة على تفهم الشيء الكثير من الحياة الزراعية والريفية بالقطر المصري لان الغرض من اثباتها في المقابر كان يقصد به انقلابها بصورة حقيقية في الدار الآخرة كي يجرد الميت في اخراه ما كان يتمناه في دنياه. وكثيراً ما يشاهد منقوشاً على الواح المقابر القديمة دعوات حارة «لاعطاء المتوفي آلافاً من ارغفة الخبز وقوارير الجمعة والنيران والاوز واقشة الكتان وكل الاشياء الجميلة النقية بكميات لا تحصى ...»

وزيادة في اثبات رغبتهم في الحصول على الغذاء في الدار الآخرة اهتم القوم بنقش كل الاجراءات التي تعمل في الدنيا للحصول على الخبز وذلك على جدران مقابرهم. فنقشوا طرق



الثور المقدّس أبيس
دار تحف القاهرة تصوير الدكتور حسن كمال

٥٥٧
امام صفحة

١٩٢٣
مقتطف ديسمبر

الحرث والبذر وحفر الاراضي وضم المحاصيل وذرّ الحبوب ودرسها وخزنها في الاهراءات بل وحتى طريقة طحن القمح وعمل الخبز . وكان من اثر الزراعة في اذهانهم انهم تخيلوا ثم رسموا الجنة التي كانوا يمتنون انفسهم بالمعيشة فيها بعد الممات . واهم هذه المناظر هي الخاصة بالزراعة والزهرة في الحقول والمستنقعات واعتبروا ان قيام الميت بأعمال الزراعة في آخرته من الامور المسلية المشوقة ومن القصص القديمة التي يرجع تاريخها الى عصر رمسيس الثاني ما تناولت امور الفلاحة وهي تعرف بقصة الاخوين تتلخص في ان اخوين عاشا معاً في كوخ في أحد الحقول وكان اكبرهما متزوجاً وقابضاً على زمام البيت . اما الاصغر فكان عائشاً معه كابن له . فصبت نفس زوجة الكبير الى الصغير فردّها . عندئذ ارادت ان تكيد له فوشت في حقه عند اخيه الكبير فصمم على الاقتصاص من اخيه واراد قتله خلسة فتحفر له وراء الباب . وفي مساء اليوم عاد الاخ الصغير بالبهائم ليدخلها اصطبلاتها فلحظت احدي هذه الحيوانات الامر وأسرّت الى راعيها بما يضر له اخوه الكبير . فلما علم ذلك فرّ هارباً خوفاً من القتل . ثم حصلت بين الاثنين حوادث خرافية لا تتمشى مع ما جاء اولاً من مطابقتها للواقع . وبالتأمل في هذه الحكاية يجد القارئ في جزئها الاول شبهاً بقصة سيدنا يوسف الغرامية التي رواها لنا بنو اسرائيل وجاء شرحها في الذكر الحكيم

وسنذكر للقارئ هنا بياناً موجزاً للنباتات المصرية القديمة بعضها مصري الاصل والبعض الآخر اجني دخل القطر المصري من البلدان المجاورة . وتنقسم هذه النباتات الى قسمين : —
القسم الاول : وهو النباتات الكثيرة الانتشار في القطر قديماً حتى لم يهتم المصريون كثيراً بزراعتها لوفرّتها وهذه اما (نباتات خشبية) اي التي استعملوا خشبها في الادوات المعاشية مثل النخيل والدوم والجميز واللبخ والسنط او (نباتات ذات فاكهة) مثل التين او (نباتات ليفية) مثل البردي والاعشاب والقنب او (نباتات برية) مثل البشنين الازرق والابيض او (نباتات طبية) مثل الينسون والشبث والنعناع والحصلبان وابو النوم والكمون والعرعر
القسم الثاني : ويشمل النباتات التي اعتنى القوم بزراعتها وهذه تتلخص في (الحبوب) مثل القمح والشعير و (الخضراوات) مثل الفول والعدس والبسلة والبامية والملوخية والخيار والبطيخ والثوم والكرفس والخس والكرنب والجرجير والفجل والبصل و (التوابل) مثل السمسم والكزبرة و (النباتات الزاحفة) كالعنب و (النباتات الصناعية) كالكتّان و (نباتات الصباغة) كالقرطم والنييلة والحنا و (النباتات الزيتية) كالزيتون و (نباتات الزينة والعطريات) كالورد والارولة والرنجس وقبل الفراغ من هذا البحث يجدر بنا ان نذكر بالايجاز شيئاً عن جغرافية مصر القديمة وطريقة تقسيمها لخطر ذلك من الوجهة الزراعية . والمعروف ان جغرافية الجزء الواقع بين منطقة الشلالات والقاهرة لم تتغير تغيراً يذكر منذ أقدم العصور التاريخية . اما الجزء المعروف

الآن بالدلتا فكان عرضة لكثير من التغير . ففروع النيل بلغ عددها في أكثر الأزمنة سبعة وكانت تعرف وقتئذٍ بالأشاتيـم وهذه كانت تسمى بالأقاليم التي كانت تمر بها فكان يطلق عليها مثلاً « البلوزي والتفيسي والمنديسي والسمنودي والكانوبي الخ » . أما الآن فلم يبق منها إلا فرعاً دميـاط ورشيد

وكانت مصر مقسمة قديماً إلى قسمين الوجه القبلي وابتدأوه من اسوان إلى دهشور وتاج ملكه ابيض والوجه البحري وابتدئ من دهشور إلى البحر الابيض المتوسط وتاج ملكه احمر . فلما ضم هذان القسمان للملك واحد نعت هذا الملك بسيد القطرين . ومن مجموع هذين القسمين تكونت مملكة الفراعنة . فتم حكم ملك على مصر قاطبة جاز له ان يجلس على كرسي مرسوم عليه البردي واللوطس حول اشارة دالة على اجتماع الوجه البحري والقبلي معاً ثم انقسمت مصر بعد ذلك إلى ثلاثة أقسام . الاول مصر العليا اي الصعيد الأعلى وهو المحصور بين سلسلتين من الجبال غير مرتفعتين يمتد من اسوان جنوباً إلى العرابة المدفونة (قرب البليـنا) شمالاً . والثاني مصر الوسطى ويسمى عند اليونان تباييد يمتد من العرابة المدفونة إلى القاهرة . والثالث الوجه البحري ويقال له باليونانية الدلتا لشبهه بهذا الحرف عندئذٍ ويمتد من القاهرة جنوباً إلى البحر الابيض المتوسط شمالاً . وكان هذا القسم منذ حوالي سبعة آلاف سنة بحيرة من الماء تمتد إلى بحيرة موريـس جهة الفيوم خوفاً لها النيل إلى ارض خصبة اما اقسام مصر القديمة (وهي اشبه كثيراً بمديـراتنا) فكان عددها يختلف باختلاف الدول وكانت اعمالها تارة في الزيادة وتارة في النقص في العهد الفرعوني والبطالسي والروماني والاسلامي حتى انتهى الأمر بتقسيمها الحالي . فالآثار ومؤرخو اليونان أثبتوا انقسامها تارة إلى ٣٦ قسمًا وتارة إلى ٤٠ او إلى ٤٤ وطوراً إلى خمسين قسمًا . والسبب في ذلك ما كان من التنازع بين الأسر والأمراء المالكين للأقسام او من الحروب الأهلية او الزواج او الفتوحات او غيرها مما يستوجب انتقال الملكية من يد إلى أخرى وقد نقشـت أسماء الاقسام في معبد كلاشـة والكرنك وذنـدة والعرابة المدفونة ورسمت لها صور على حيطان المعابد بهيئة صور النيل تقدم للملك الحاكم محصولات الأرض . ثم حددت هذه الاقسام (وكان يقال لكل منها حسبـة) باحجار مكتوبة وكان كل قسم يحوي قاعدة (وتسمى نويت) وبندر ومركز المدينة ومركز الديانة وراضي الزراعة وراضي المستنقعات التي كانت تستعمل مرعى ولزراعة البردي واللوطس وصيد الطيور ثم الترع الخارجة من النيل لري الأراضي وللملاحة . وكان يعين لكل قسم حاكم من بيت الملك يقال له (حق) وعلى سكان كل قسم ان يدفعوا للملك الاتاوات المقررة عليهم من محصول الارض حسب الاراد كما كان عليهم ان يوردوا رجال العسكرية والسخرة لأجـاز الاعمال اللازمة للمنافع العمومية مثل اصلاح معبد او بناء قلعة او جسر او مد طريق او شق ترعة

نافذة

احبُّ ان يكون لي نافذة تطلُّ على البحر
حيث تمخر السفن متجهة الى اقاصي الارض او عائدة منها
حيث الأشرعة المنتفخة ودخان البواخر تشير اليّ
بأن أترك غرفتي للبحث في تيه الاشكال الدائمة التغيُّر
تبدعها الشمس والغيوم والرياح والامواج
وتدعوني الاجواء القصية الى المغامرة في بلدان اجهلها

احبُّ ان يكون لي نافذة تطلُّ على البحر
حيث استطيع ان اقف : فأراقب العاصفة المحتاحة
واشعر برعد الموج مصطدماً باليابسة
واحسُّ في الليلة الهادئة بالمدِّ مرتفعاً تحت النجوم
واسمع في همس الماء للرمل ، الصوت الضئيل الهادي
صوتَ مَنْ في كفه المحيطات

يا ليت لي نافذة تطلُّ منها نقسي على البحر
فتتعرّف معنى الاشياء التي من وراء البصر الانساني
تلك العجائب التي قد تغريني بالخروج من غرفتي الارضية
للبحث في تيه الله الخافل بالاسرار
فأذهب مغامراً في عوالم لا يعرفها انسان
احبُّ ان يكون لي نافذة تطلُّ على البحر

٢ - استدراك على معجم الحيوان

للفريق الدكتور امين باشا المعلوف

اوردت في الجزء الماضي من المقتطف بعض انواع السمك التي ذكرها المسيو غريفيل وفي ما يلي انواع غيرها ذكرها في كتابه

Sphyrénidés. E. Shyraenidae

فصيلة الاصفري

قال ليس منها في سواحل الشام الا النوع الآتي

Le Spet ou Sphyrène Spet. E. Spet or Barracuda. (Sphyaena Spet, Lacep. =

S. vulgaris, C. V.)

الاصفري

قال هو كثير في سواحل الشام والاهلون^(١) يسمونه الاصفري . قلت ذكرته في ص ٢٩ وص ٢٣٣ من معجم الحيوان وانما لم اذكر اسمه النوعي وهو على ما اورده المسيو غريفيل كما تقدم

فصيلة الصير او المانون Menidés. Les Menides ou Mendoles ou Picarels. E. Maenidae

سمك صغار دقائق لا تزيد الواحدة منها على ١٥ او ٢٠ سنتيمتراً قال ميّزنا نوعين منها

سماريس المعروف Picarel vulgaire (Smaris vulgaris, C. V.)

سماريس القيرلي او صياد السمك Picarel martin-pecheur (Smaris alcedo, C. V.)

لم يذكر المسيو غريفيل اسماً عربياً لفصيلة المتقدمة ولا لهذين النوعين وانما ذكرت السماريس في المقتطف ٣٩ : ٣٤٢ وفاتني ذكره في معجم الحيوان . اما المانون فذكره لكثير في المادة ٢٠٧٥ من مفردات ابن البيطار واللفظة لاتينية من اصل يوناني . واما الصير فعن ده سامي كما ذكرت في المقتطف وفي معجم الحيوان ص ١٠

Sparidés. E. Sparidae

فصيلة الاسبور او الاسبوريات

قال هي كثيرة في سواحل الشام وذكر انواعاً منها ما يأتي

Sar ou Sargue. E. Sargo (Sargus Rondeletti, C. V.)

سرغوس

قال هو كثير في البحر المتوسط لاسيما في اسواق الاسكندرية وبورت سعيد ويبروت

والاهلون يسمونه السرغوس . قلت ذكرت هذا النوع من السمك في المقتطف ٣٨ : ٤٥٩

وفي معجم الحيوان ص ٨٤ وص ٢١٢ اما الاسم العلمي الذي اعتمدته المسيو غريفيل فكما تقدم

Le Bogue saupe ou Saupe. E. Bogue or Bogue

or Bogue salpa (Box Salpa, Cuv.)

السرب

لم يذكر له المسيو غريفيل اسماً عربياً وانما ذكرته في المقتطف ٣٨ : ٤٥٩ وفي معجم

الحيوان ص ٦٣ وكلاهما باسم علمي غير هذا والصواب ما ذكره المسيو غريفيل

(١) ترجمت اللفظة التي استعمالها المسيو غريفيل اي Indigènes باللفظة المتقدمة اي الاهلون ولم أقل « الوطنيين » وكنت اود لو اجتنب المسيو غريفيل ما يجرح عواطف السوريين باستعمال هذه اللفظة وعسى انه اذا عاد الى سورية وكتب عنها وعن السوريين يقول « السوريون » كما امتنع الانكليز ان يقولوا عن العراقيين Natives وانما البحث هنا بحث علمي لا بحث سياسي وربما كتبت في ذلك مقالة في جريدة يومية

Le Bogue Commun. E. Common boce or Bogue
(Box vulgaris, C. V. = Box boops, L.)

السرب المعروف

اما في شركة المصايف فهو سمك موسى ولكن سمك موسى سمك مشهور هو غير هذا ولعل السرب الذي ذكره ده ساسي على ما قلت في المقتطف هو هذا والذي قبله فانه سمع لفظة سَرَب بالمعجمة عن جفروى وكلاهما ثقة يعول عليه . اما لفظة شرب التي قال جفروى انها اسم هذا السمك في الاسكندرية ولفظة السرب على ما جاء في كتاب الافادة والاعتبار واللفظة اللاتينية المتقدمة من اصل واحد قديم في البحر المتوسط

Le Pagre vulgaire. E. Red porgy, Braize
or Becker. (Pagrus vulgaris, Cuv.)

قَجَاج . نجار . دجاج البحر

ذكرته في المقتطف ٣٨ : ٤٥٩ وفي معجم الحيوان ص ١٨١ و٣٣٢ وقلت من اسمائه ماتقدم . وذكر المسيو غريفيل الفجاج اي ان اهل بيروت يقولون كما يقول اهل دمياط . ثم ان ارسطو ذكر هذا النوع من السمك وقال مترجم كتاب ارسطو في حاشية له انه نقل عن ابستوليدس ان اسمه مرجان في استانبول اي يسمونه باسم الفريدي المعروف بالمرجان في الاسكندرية وسيأتي ذكره اي ان المرجان يطلق على هذا النوع من السمك وعلى الفريدي

Le Pageau ou Pagel Commun. (Pagellus erythrinus, L.)

فريدي في سواحل الشام

مرجان في الاسكندرية . فالفريدي عن المسيو غريفيل والمرجان مما اعرفه في مصر والاسكندرية جريدي في سواحل الشام .

Le Rousseau (Pagellus centrodonatus, Delar)

كحلاء في الاسكندرية . الجريدي عن المسيو غريفيل والكحلاء مما اعرفه في الاسكندرية حفار . مُرْمَر

Le Mormyre (Pagellus mormyrus, L.)

ذكرته في ص ٦٣ من معجم الحيوان باسم علمي آخر والصواب هو هذا . ولم يذكر المسيو غريفيل الحفار وقد اخذته عن فورسكال وكلوزنجر . واما المرمار فعن جفروى

ثم ان اسم الجنس في هذه الانواع الثلاثة يوناني الاصل اي تصغير Pagros وهو اسم القجاج الذي تقدم ذكره . اما الاسم النوعي للفريدي او المرجان فعناه الاحمر . ثم ان هذا الجنس اي Pagellus متحجر في سواحل لبنان وهو كثير في المعاملتين من اعمال كسروان ولكنني لا اعلم اي نوع منه هل هو الفريدي اي الاول او الجريدي اي الثاني او الحفار اي الثالث وارجح انه الثالث اي الحفار

La Daurade vulgaire ou Dorée. E. Gilthead (Chrysophris aurata, C.V.)

مرجان

او مرجان ذهبي الرأس : لم يذكر له اسماً عربياً ولا اعرف له اسماً غير المرجان ولعل اصلح اسم له هو المرجان المذهب او المرجان الذهبي الرأس . اما اسمه الجنسي فعناه الذهبي الحجاب

Le Denté (Dentex vulgaris, Cuv.)

نفسار . قمر

لم يذكر له اسماً عربياً اما النفسار والقسمر فعن كلوزنجر فقد ذكر انواعاً كثيرة من هذا الجنس وسماها بهذين الاسمين وهما معروفان في البحر الاحمر

ابن خلدون والنقد الحديث

للمؤلف محمد عبد الله عثمان

عن كتابه « ابن خلدون : حياته و تراثه الفكري »



ابن خلدون كما تصوره ورسمه جبران خليل جبران

يرتفع النقد الغربي بتراث ابن خلدون الى اسمى مكانة . وقد عرف التفكير الغربي قبل ابن خلدون طائفة كبيرة من المفكرين المسلمين لم يرتفع كثير منهم الى مكانته ، وعرف قبله كثيراً من المؤرخين المسلمين ، لا لأنهم اجدر بالبحث والتعريف ، ولكن لانهم ظهروا في عصور الاسلام الفقية الزاهرة او لأنهم تناولوا نواحي عني بها التفكير الغربي ^(١) . ولكن ابن خلدون ظهر في عصر سري فيه الانحلال الى صولة الاسلام وسيادته ، واضمحلال التفكير الاسلامي ، فلم يكن اجدر العصور بالتعريف والبحث . ولبت تراث ابن خلدون مغموراً في

(١) عرف الغرب مؤرخين مثل المسعودي وابي الفدا وابن العبري وابن خلكان وابن عربشاه قبل ابن خلدون بعصور طويلة ، وترجمت بعض مؤلفاتهم الى اللاتينية . ونشر تاريخ ابن العبري وتاريخ ابن عربشاه (تاريخ تيمور) في انكلترا بنصهما العربي منذ منتصف القرن السابع عشر

الشرق والغرب مدى قرون ، يكاد الشرق يجهله ، ولا يعرف الغرب شيئاً عنه . وفي سنة ١٦٩٧ م ظهرت عنه في موسوعة « دربلو » الشرقية اول ترجمة غربية . وهي ترجمة موجزة فياضة بالخطأ . ومضى بعد ذلك اكثر من قرن قبل ان يعنى التفكير الغربي بشأنه ، حتى نشر المستشرق الفرنسي سلقستردى ساسي سنة ١٨٠٦ ترجمة ابن خلدون مع ترجمة فرنسية لفقرات من المقدمة في قاموسه Chrestomathie Arabe ثم نشر بعد ذلك باعوام ترجمة لمقتطفات اخرى من المقدمة . وعاد فنشر سنة ١٨١٦ ترجمة اوفى لابن خلدون في قاموس التراجم العام Biographie Universelle مع وصف مسهب لمقدمة ابن خلدون . وفي نفس الوقت نشر المستشرق النموي فون هامار رسالة بالالمانية عن « اضمحلال الاسلام بعد القرون الثلاثة الاولى للهجرة » ، تعرض فيها لبعض نظريات ابن خلدون في انحلال الدول ، ووصفه بأنه « مونتسكيو العرب » . ونشر بعد ذلك ترجمة المانية لبعض مقتطفات من المقدمة ، ثم نشر وصفاً لبعض اجزاء المقدمة في « المجلة الاسيوية ^(١) » . واستمر دي ساسي وبعض زملائه المستشرقين على نشر مقتطفات مترجمة من مقدمة ابن خلدون او تاريخه ، والبحث الغربي فيما بين ذلك يزداد اهتماماً بابن خلدون وتراثه ، وإعجاباً بقوة تفكيره وطرافته ، حتى نشر كاترمير مقدمة ابن خلدون كاملة بنصها العربي سنة ١٨٥٨ ، ونشر دي سلان بعد ذلك ببضعة أعوام ترجمة فرنسية كاملة للمقدمة ، وعندئذ ظهر ابن خلدون للتفكير الغربي في روعة ابتكاره ، وظهرت قيمة ذلك التراث الباهر الذي غمره النسيان مدى عصوره

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر يعنى النقد الغربي بابن خلدون ونظرياته الاجتماعية عناية خاصة . كان وقوف الغرب على تراث ابن خلدون اكتشافاً علمياً حقاً ، وكان اعجب ما في هذا الاكتشاف أن يظفر الغرب في تراث المفكر المسلم ، بكثير من النظريات الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية التي لم يطرقها البحث الغربي الا بعد ابن خلدون بعصور طويلة . اجل اكتشاف النقد الغربي لدهشته واعجابه في تراث ابن خلدون كثيراً مما رددته مكيا فيللى بعده بقرن ، وما رددته فيكو ومونتسكيو ، وآدم سميث ، واوجست كونت ^(٢) بعده بقرون . وكان المعتقد ان البحث الغربي اول من اهتمدى الى فلسفه التاريخ ، ومبادئ الاجتماع ، واصول الاقتصاد السياسي ، فاذا بابن خلدون يسبقه بعصور ويغزو في مقدمته هذه الميادين ويعرض كثيراً

(١) « المقتطف » — على من شاء معرفة المراجع التي اعتمد عليها المؤلف ان يراجعها في كتابه

(٢) مكيا فيللى مؤرخ وسياسي ايطالي (١٤٦٩ — ١٥٢٧) . وفيكو مؤرخ وفيلسوف ايطالي

(١٦٦٨ — ١٧٤٤) ومونتسكيو مشرع وفيلسوف واجتماعي فرنسي (١٦٦٩ — ١٧٥٥) وآدم سميث

اقتصادي انكليزي (١٧٢٣ — ١٧٩٠) واوجست كونت فيلسوف فرنسي وهو واضع اصول الفلسفة

الوضعية (١٧٩٨ — ١٨٥٧)

من نواحيها ونظرياتها بقوة وبراعة. ومن ثم فانا نرى النقد الغربي ، بعد ان اكتشفه ودرسه ، يرتفع بترائه الى اسمى مكانة ، وينظمه في سلك الفلاسفة ومؤرخي الحضارة وعلماء الاجتماع والاقتصاد السياسي ، بل ويعترف له بفضل السبق في هذه الميادين

- ١ -

كانت الناحية التاريخية الفلسفية في تفكير ابن خلدون اول ما عنى النقد الغربي بدرسه ، ولكن الناحية الاجتماعية ما لبثت ان لفتت انظار طائفة من علماء الاجتماع ، واخذت تتفوق على ما عداها من نواحي تفكيره . ومنذ أواخر القرن التاسع عشر نرى نظريات ابن خلدون الاجتماعية تشغل فراغاً كبيراً في النقد المعاصر ، ويتناولها حتى يومنا طائفة من النقدة الاجتماعيين بالدرس والتحليل المقارن

وكان في مقدمة من درس تراث ابن خلدون من الناحية التاريخية الفلسفية المستشرق النمساوي الكبير البارون فون كرىمر ، فكتب عنه بالالمانية رسالته الشهيرة « ابن خلدون وتاريخه لحضارة الدول الاسلامية » وقدمها لأكاديمية العلوم بفيينا سنة ١٨٧٩ . ويعتبر فون كرىمر ابن خلدون مؤرخاً للحضارة Kulturhistoriker يؤرخ حضارة الشعوب الاسلامية ، لانه من بين المؤرخين المسلمين اول من خصص فصلاً اضافياً للتحديث عن النظم السياسية وانواع الحكم ، والمخطط العامة كالقضاء والشرطة والادارة وتطورها في الدول الاسلامية ، وعن النظم الاقتصادية والتجارة والمكوس والضرائب ، وعن المهن والحرف والصنائع ووجوه الكسب والمعاش ، ثم عن العلوم والفنون والآداب واصنافها واحوالها وتطورها في العالم الاسلامي وهو اعتبار صادق من بعض الوجوه فقط لان ابن خلدون لا يعالج هذه المسائل مستقلة او لذاتها وانما يعالجها كصور فقط من هذا العمران الذي هو موضوع بحثه ودرسه . ومراحل الحضارة مقياس لمراحل العمران

.....

ويعتبر دي بوير (الهولندي) ابن خلدون فيلسوفاً ، ويضعه في ثبت الفلاسفة المسلمين الى جانب ابن سينا والغزالي وابن رشد وابن الطفيل ، وينوه بقيمة المنطق في صوغ نظرياته ويصفه بانه مفكر متزن ، فهو ينكر ثمره الكيمياء والعرافة بحق ، وكثيراً ما يعارض مبادئ الفلسفة العقلية ، بمبادئ الاسلام البسيطة سواء عن اعتقاد شخصي او لاعتبار سياسي . بيد ان الدين لم يؤثر في آرائه العلمية بقدر ما اثرت الارسطوطالية الافلاطونية . وقد اثرت في تكوين ذهنيته جمهورية افلاطون وفلسفة فيثاغورس الافلاطونية ، وكذلك المؤلفات التاريخية لاسلافه المشاركة ولا سيما المسعودي ، ايما تأثير . وقد حاول ابن خلدون ان يؤسس نظاماً سنفاً جديداً لم يحل بذهن ارسطو ، وان يجعل من التاريخ نظاماً فلسفياً ، وهو يقول لنا

ان هذا النظام انما هو الحياة الاجتماعية ، ومادة المجتمع كلها وثقافته الفكرية . ومهمة التاريخ هي أن يبين كيف يعمل الناس وكيف يحصلون اقواتهم ، ولماذا يقاتلون بعضهم بعضاً ، وكيف يجتمعون في جماعات كبيرة في ظل بعض الزعماء ، وكيف يُسلمون اخيراً في ظل حياة الحضرة رغبة العناية بالفنون والعلوم الرفيعة ، وكيف تتقدم الحضارة من البداية الخشنة الى الترف الناعم وتزدهر ، ثم تضمحل وتموت . ثم يقول دي بوير ان ابن خلدون هو بلا ريب اول من حاول ان يشرح بافاضة تطور المجتمع وتقدمه لاسباب وعلل معينة ، وان يعرض ظروف الجنس والاقليم ووسائل الانتاج وما اليها ، وأثرها في تكوين ذهن الانسان وعاطفته وفي تكوين المجتمع . وهو يرى في سير الحضارة تناسقاً داخلياً منظماً . ويختتم دي بوير حديثه عن ابن خلدون بما يأتي : « لقد سار امل ابن خلدون في ان يخلفه من يتم بحثه في سبيل التحقيق ، ولكن في غير الاسلام ، فكما انه كان دون سلف ، فكذلك بقي دون خلف »

— ٢ —

بعد ان النقد الغربي كان اكثر اهتماماً بفلسفة ابن خلدون الاجتماعية . ولقد لقي ابن خلدون من هذه الناحية ذروة الإعجاب والتقدير ، وعني كثير من علماء الاجتماع المعاصرين بتحليل نظرياته الاجتماعية ومقارنتها بنظريات اقطاب المحدثين

ومن هؤلاء النقدة العلامة الاجتماعي لدفيج جبولوفتش ، فهو يخصص لابن خلدون في مباحثه الاجتماعية فصلاً كبيراً ، ويصفه بأنه اجتماعي او من علماء الاجتماع . ويتناول طائفة من آرائه الاجتماعية بالتحليل والمقارنة ، ويبين انه قد سبق في كثير من هذه الآراء اقطاب الاجتماع المحدثين ، فهو مثلاً قد اهتمدى الى نظرية الاجيال الثلاثة الخاصة بنهوض الاسر وانحلالها قبل ان يعرضها اوتو كار لورنتس في اواخر القرن التاسع عشر . ويقول جبولوفتش ان ابن خلدون يرتفع الى ذروة البحث الاجتماعي حينما يعرض ملاحظاته عن تفاعل الجماعات الاجتماعية ، وكيف ان هذه الجماعات نفسها انما هي ثمرة الوسط . وآراؤه في هذا المقام عن الاجناس الغالبة في منتهى الخطر . وفي اقواله عن الوسط ومؤثراته ما يدل على انه عرف « قانون التشبه بالوسط » قبل ان يعرفه داروين بمخمة قرون ، وفيما يقوله عن تشبيه الانسان بالحيوان في الخضوع للقوانين الاجتماعية العامة ما يدل على انه عرف مبدأ « وحدة المادة » قبل ان يعرفه هيكيل (١) . ومن المدهش ان نرى كم تتفق الاجراءات التي ينصح ابن خلدون باتخاذها للفاحين الظافرين لكي يؤيدوا سلطانهم ، مع النظم الحربية التي اثبتت البحث التاريخي الحديث ان مؤسسي الدول الاوربية في العصور الوسطى قد اتخذوها ، بل ان فضل سبق يرجع بحق الى العلامة الاجتماعي العربي (ابن خلدون) فيما يتعلق بهذه النصائح التي

(١) ارنست هيكيل علامة بيولوجي وطبيعي الماني (١٨٣٤ — ١٩١٩)

أسداها مكيا فيلالي بعد ذلك بقرن الى الحكماء في كتابه « الامير » . وحتى في هذه الطريقة الجافة لبحث المسائل وفي صبغتها الواقعية الخشنة ، كان من المستطاع ان يكون ابن خلدون نموذجاً للايطالي البارع الذي لم يعرفه بلا ريب . هذا وقد استطاع ابن خلدون ان يقرر منذ خمسة قرون اصل السلطتين الروحية والزمنية ، كما يقررها اساذة القانون السياسي والقانون الكنسي واخيراً يقول جبيلو فنتش : « لقد أردنا ان ندلل على انه قبل اوجست كونت ، بل قبل فيكو الذي اراد الايطاليون ان يجعلوا منه اول اجتماعي اوربي ، جاء مسلم تقي فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن ، وآتى في هذا الموضوع بآراء عميقة ، وما كتبه هو ما نسميه اليوم : علم الاجتماع »

وفي نفس الوقت الذي أدلى فيه جبيلو فنتش بهذه الآراء تناول تفكير ابن خلدون باحث اجتماعي ايطالي هو فريرو فايد وصف جبيلو فنتش لابن خلدون بأنه « اجتماعي » ونوه بطرافة ابن خلدون وسبقه في هذا الميدان . ويوافقهما في ذلك الكاتب الاجتماعي الروسي ليثين فيعتبر ابن خلدون فيلسوفاً « اجتماعياً »

ودرس مسيو مونييه استاذنا السابق بكلية الحقوق ، ابن خلدون من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية في بحثين قويين ، يتناول في اولهما آراء ابن خلدون الاقتصادية وفي الثاني آراءه الاجتماعية ، ويعتبره فيلسوفاً واقتصاديًا واجتماعيًا معاً . ويصف مقدمته وتفكيره بما يأتي : « انها مزيج عظيم من القوانين الكونية ، وموسوعة لعلوم العصر ، وتحتوي على اجزاء متفرقة لبحث كامل في علم الاجتماع . وطريقها بالاخص بديعة تدل على ذهن علمي حق . واذا كانت آراء ابن خلدون لاتعبر عن مثل وضعي أعلى ، فهي مع ذلك تقوم على الملاحظة التحليلية للحوادث ، وهي مرآة الواقع . وليست فلسفته سوى شرح وتعليل لتاريخه ، وشروحه تشهد بذهنية وضعية كان فيلسوفنا يسبق بها عصره » ثم يحلل مسيو مونييه نظريات ابن خلدون الاجتماعية ويقسمها الى قسمين هما : القوانين العامة للحياة الاجتماعية ، وقوانين التطور الاجتماعية ، ويصفها بقوله : « واذا فان فلسفة ابن خلدون الاجتماعية يغشاها على ما يظهر استنتاج بالغ التشاؤم . فالجتماع ليس الا لحظة في مجرى الاشياء الكوني ، وهو يفنى كما يفنى كل شيء . والحياة كالرؤي ، وكل تغيير يقتضي عكسه ، وكل ارتفاع يعقبه سقوط . . . ولكن تشاؤم ابن خلدون تشاؤم مستسلم غير مكترث ، فهو لا يحكم وانما يشاهد . وهو بذلك يدل على ذهنية عامية حققة ، وبذا يجب ان يفسح له مكان في تاريخ الاجتماع الوضعي »

وينوه معظم نقدة ابن خلدون بهذا التشاؤم الذي يطبع فلسفته . ويقول لنا فون كيرمر ان ابن خلدون يذهب في تشاؤمه الى حدود بعيدة ، ويقارنه في ذلك بأبي العلاء المعري . ويعتقد ان مصدر هذه العاطفة هو انحطاط الدول والحضارة الاسلامية في العصر الذي كتب فيه ابن

خلدون . ولكن فريرو يرجعها الى ظروف الحياة السياسية العاصفة التي تقلب فيها ابن خلدون وما بثت في نفسه من مرارة وخيبة امل . على ان كثيراً من الناحية الواقعية لفلسفة ابن خلدون رجع الى هذه العاطفة ، ولم يكن تشاؤمه نزعة شخصية كامنة في اخلاقه ، ولكنه صفة لتفكيره فقط . ونتيجة للبحث والدرس . اما ابن خلدون نفسه ، فكان كما تدلُّ حوادث حياته اكثر ميلاً الى الثقة والابتهاج والتفاؤل

ويدرس الكاتب الالماني فون فيسندنك نظريات ابن خلدون في نشوء الدول وانحلالها ويرى فيه ذهنًا وافر الابتكار ، ومثلاً أعلى في التفكير العربي وآخر نجم سطع في أفق التفكير الاسلامي الحر . ويعتبره مثل فون كريمر مؤرخاً للحضارة Kulturhistoriker ، ويرى فيه بحق إماماً لمدرستي مكيافيلي وفيكو ، ويحاول ان يطبق نظرياته في سقوط الدول والاسر على الامبراطورية الالمانية والدول الاوربية فيقول : « وقد يلوح للالماني في الوقت الحاضر ان هذه الآراء الفياضة بالتشاؤم ليست من ابتكار مفكر اجنبي ، فان الامبراطورية الالمانية لم تعمر طويلاً ثم ذوى غضنها غضاً الى عالم الفناء بسرعة خارقة ، فهل يجب ان نبحت لتلك المأساة عن اسباب غير تلك التي اوردها الكاتب العربي عن سقوط المرابطين والموحدين ؟ ان نظريات ابن خلدون تقدم الى المتأمل فرصة صادقة ، يقف مؤرخ الحضارة المسلم الكبير وحيداً في المشرق ، لم يعقبه خلف ولم ينسج على منواله ناسج ويطبق ما كان يشعر به او يدعو اليه على اوربا في القرن التاسع عشر أصبح تطبيق وأتمه . وتدوي ميول المفكر والسياسي الافريقي في معتك الحوادث مهما كانت وجهتها دويماً يتردد صداه في عالم افكار عصرنا »

— ٣ —

درس الاستاذ استفانو كلوزيو ابن خلدون من ناحية اخرى هي الناحية الاقتصادية . ويرى كلوزيو بادی بدء « ان ابن خلدون من حيث الجنس الذي انحدر منه ، والبلد الذي ولد فيه ، والحضارة التي ينتمي اليها ، يمكن ان يوضع في صف عظماء الرجال الذين يتبوأون في التاريخ اسمى مكانة » . وقد اكتشف ابن خلدون آفاقاً جديدة في ميدان العلوم الاجتماعية . ولكنه لا يجاري مكيافيلي كمؤرخ ، لانه لم يعرف او لم يرد ان يطبق المبادئ التي عرضها في مقدمته ليشرح اسباب الحوادث التي يقصها في تاريخه . ومع ذلك فقد سبق مكيافيلي ومونتسكيو وفيكو ، الى وضع اصول علم جديد هو الدرس النقدي للتاريخ . وتلك حقيقة نوه بها أمارى المستشرق والمؤرخ الايطالي الكبير قبل كلوزيو فوصف ابن خلدون بأنه أول كاتب في العالم حالج موضوع « فلسفة التاريخ » ثم يحلل كلوزيو نظرية ابن خلدون في « الجبر الاجتماعي » ويرى انها موجودة في تلك العبارة التي يستهل بها ابن خلدون حديثه عن احيال البدو والحضر وهي : « ان اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف نحلتهن من المعاش »

على ان كلوزيو ينوه بالاخص بنظريات ابن خلدون الاقتصادية ، فيقول لنا « ان المؤرخ البربري العظيم استطاع في العصور الوسطى ان يكتشف مبادئ العدالة الاجتماعية والاقتصاد السياسي قبل كونسيديران وماركس وباكونين » (١) ثم يحلل آراء ابن خلدون عن عمل الدولة من الناحية الاقتصادية وآثاره السيئة ، وعن القوى السياسية والطوائف الاجتماعية ، وعن طرق الملك وانواع الملكية ، وعن مهمة العمل الاجتماعية ، وتقسيم العمل الى حر ومأجور ، وكون العمل الحر مصدراً للرزق (المعاش) ثم عن قانون العرض والطلب . ويرى كلوزيو في ذلك كله ان ابن خلدون كان اقتصادياً مبتكراً يعرف مبادئ الاقتصاد السياسي ويطبقها بذكاء وبراعة قبل ان يعرفها البحث الغربي بعصور طويلة ، ويختتم بحثه بما يأتي : « اذا كانت نظريات ابن خلدون عن حياة المجتمع المعقدة تضعه في مقدمة فلاسفة التاريخ ، فان فهمه للدور الذي يؤديه العمل والملكية والاجور يضعه في مقدمة علماء الاقتصاد المحدثين

- ٤ -

ومن احدث البحوث النقدية في دراسة ابن خلدون رسالة للاستاذ ناثانيل شميت الاستاذ بجامعة كورنل بأمريكا ، درس فيها ابن خلدون كمؤرخ وفيلسوف واجتماعي . ويرى الاستاذ شميت ان ابن خلدون كمؤرخ يمكن ان يوضع في صف مؤرخين عالميين مثل ديودور الصقلي ، وثقولاوس الدمشقي او تروجوس پومبيوس ممن كتبوا في القرن الاول الميلادي ، او مؤلفين من كتاب القرن الثامن عشر مثل جاتير وشليستر ، وهذا مع كونه يتفوق عليهم سواء في الانتفاع بالمصادر القديمة او في الرواية الاصلية ، ولو ان ابن خلدون لم يخلف لنا سوى تاريخه السياسي ، لكان أثره انبيء عن همة لانتقد ، وغزارة في المصادر ، وحكم سديد ، ولكان بالنسبة لبعض العصور مصدراً نفيساً للرجوع ، بل لكان في عدوله عن طريقة الحوليات ما يرفعه بكثير عن مستوى رجال مثل البخاري والمسعودي والطبري وابن الاثير . على ان حق ابن خلدون في الشهرة الخالدة لا يرجع الى تاريخه بل يرجع الى ذلك الاثر المدهش الذي كتبه مقدمة لتاريخه ، فهنا تبدو عبقريته في روعة بهاها ، وههنا ينثر بيدتين نديتين ثمرات تأملاته الناضجة عن سير التاريخ البشري وأما من حيث فلسفة التاريخ فيرى الاستاذ شميت ان ابن خلدون هو الذي اكتشف ميدان التاريخ الحقيقي وطبيعته ، وهو بلا ريب صادق حين يقول ان احداً من المفكرين المسلمين قبله لم يطرق موضوعه ، واذا كانت معرفتنا بعلوم القدماء اعظم وأغزر ، فإننا مع ذلك نستطيع اليوم ان نقول ان ابن خلدون كان بحق اول كاتب استطاع ان يعرف موضوع التاريخ

(١) كونسيديرال اشتراكي فرنسي له عدة مؤلفات في الاشتراكية (١٨٠٨ — ١٨٩٣) . وكارل ماركس اقتصادي واشتراكي ألماني كبير ومؤسس الاشتراكية المتطرفة ، ومؤلف اعظم كتاب في الاشتراكية (رأس المال) ، (١٨١٨ — ١٨٨٣) . وباكونين اجتماعي واقتصادي روسي ومؤسس مبدأ اللاعكومية (١٨١٤ — ١٨٧٦)

بهذه الصورة ، وان ينظر الى التاريخ كعلم خاص يبحث في الحقائق التي تقع في دائرته . بل لم يقل احد غير ابن خلدون ان التاريخ علم خاص موضوعه بحث جميع الظواهر الاجتماعية في حياة الانسان . فاذا كان يجدر بنا ان نتوسع في فهم التاريخ الى هذا الحد ، واذا كان التاريخ علماً ، فان التونسي العظيم الذي ابتكر هذا الرأي ودافع عنه ليس له سلف فيما يظهر . ومن حقه ان يعتبر انه المكتشف . وهنا بلا ريب اروع ابتكاراته واكثرها طرافة ، وان كان ذهنه النافذ قد شقَّ طرقاً جديدة في نواح كثيرة . وقد لاحظ ابن خلدون في دراسة الدول وقيامها وسقوطها ان اسباب هذه التطورات لا ترجع فقط الى البواعث والاطاع ، والى الاغراض والغايات ، والى قوة الارادة ، وقوة الذهن لدى الافراد ، ولا حظ ان تأثير هذه العوامل لا يخضع فقط لخواص الجماعات التي تنتمي اليها ، ولكنها تخضع ايضاً للظروف الاجتماعية العامة وقد حمله ذلك على ان يبحث العوامل التي تؤثر في هذه الظروف الاجتماعية وتكيفها ، وانتهى الى انها ترجع الى خواص قومية وجنسية . ولكنه لاحظ ايضاً ان هذه الخواص نفسها ترجع الى مؤثرات الوسط الطبيعية كالقليم ، والماء ، والارض ، والموقع ، والغذاء . واذا فن الضروري لكي نفهم التطور السياسي ، ان ندرس كل مظاهر الحياة الاجتماعية ، ولكي نفهم هذه يجب ان نحسب حساباً للعوامل الطبيعية ، ومن ثم كان اتساع نطاق التاريخ ، واتساع مهمة المؤرخ اذ يغدو التاريخ علم المجتمع الانساني ، واذا فهو علم الاجتماع . ثم يقول الاستاذ شमित ان ابن خلدون رغم طابعه الاسلامي انما هو فيلسوف مثل اوجست كونت ، وتوماس بـكل ، وهربرت سبنسر . وفلسفته التاريخية ليست كفلسفة هـيـل^(١) تحايلاً للقضاء والقدر . واذا كان يذكر خلال بحثه كثيراً من آيات القرآن ، فليس لذكرها علاقة جوهرية بتدليله ، ولعله يذكرها فقط ليحمل قارئه على الاعتقاد بأنه في بحثه متفق مع نصوص القرآن

وأما عن الناحية الاجتماعية ، فان الاستاذ شमित يرى مع معظم النقاد ان ابن خلدون هو مؤسس علم الاجتماع ، ويرى بالاختصاص مع جيلوفتش ان الاجتماع وجد قبل اوجست كونت بعصور طويلة ، وان ابن خلدون ذهب في تفكيره الى حدود لم يذهب اليها كونت ، وانه فيما ملج من خواص العادة والاقليم ، والارض ، والغذاء ، قد سبق مونتيكيو وبكل وسبنسر وغيرهم وينقل الاستاذ شमित اليينا هذه الكلمة عن العلامة الاسباني التاميرا : « كفى انه في القرن الرابع عشر ، حينما كانت دراسة التاريخ الاوربية في منتهى النقص ومنتهى البعد عن آراء كالتى يعرضها ابن خلدون ويدافع عنها ، قد كتب كتاب كالمقدمة ، درست فيه وعرضت كل المسائل ، التي غدت فيما بعد ، أهم مهام المؤرخين المحدثين »

(١) توماس بـكل كاتب ومؤرخ اجتماعي انكليزي ، وله مؤلف شهير في تاريخ الحضارة الانكليزية (١٨٢١ — ١٨٦٢) وسبنسر فيلسوف انكليزي ومؤسس فلسفة التطور (١٨٢٠ — ١٩٠٣) .
وهـيـل فيلسوف الماني كبير . درس فلسفة الدين والروحيات والالهيات (١٧٧٠ — ١٨٣١) —

المعجم المحرر

في حاجة الى المباني والتخريج

حَقَّقَ اللهُ الأمل المنشود . فأصدر صاحب الجلالة احمد فؤاد ملك مصر المعظم أيده الله امره المطاع بتأليف « مجمع اللغة العربية الملكي » لبلي إنشاء معجم صحيح الوضع يأتي على مافي مواد اللغة من المباني والمعاني معيداً الفروع الى اصولها فلا يأتي بصيغ الجموع ولا مفرد لها كما ورد في القاموس والمعاجم التي تقلت عنه ولا بصيغ المفرد ولا جموع لها او بغير استيفاء صيغ جموعها ويزيل ما في المعاجم من الخلل ويكشف النقاب عن وجوه لا يهتدى اليها لغموضها ويقف موقف الحكم العدل في القضايا التي جاءت نصوص المعاجم فيها متعارضة . فهذا العمل الشاق لا غنى له عن الاستعانة بعلم المباني والتخريج . فاما المباني . وما التخريج

المباني

يورد التصريف للفعل الثلاثي ستة اوزان عن تحريك عين الفعل بالفتح والضم والكسر ماضياً معلوماً ومضارعاً ثم ينصرف الى الامر فالصادر فالاشتقات فالزيدات فاشتقاتها فالاعلال فالادغام فاما الى هنالك من نسبة وتصغير ومثنى وجمع فيأتي المباني وينظر في الاوزان الستة ثم يوزع كل وزن طوائف وهذه الطوائف منها اصول ومنها ملحقات ولكل طائفة مصادر ومشتقاتها . فلكل طائفة مبنى خاص له معنى خاص فاذا اختلفت المباني اختلفت المعاني واذا تعددت المعاني تعددت الطوائف . فيكون للمبنى الواحد معاني متعددة فيأتي كل معنى من طائفة وكل طائفة تعود الى وزن وهذا كلامٌ مجمل لا يخلو من غموض فأوضحه بالتمثيل هكذا اولاً جاء في مادة « ك م ل » في احد المعاجم « كَمَل يَكْمُل و كَمِل يَكْمُل و كَمُل يَكْمُل كَالاً و كُمُولاً من باب نَصَر وهي أفصح ومن باب علم وهي اردأها ومن باب كَرُم او السكال اسم تم » فضمون هذا القول ان مادة « ك م ل » وردت على ثلاثة اوزان والمفاد واحد والاتفاق واقع على ان المصدر هو الكُمُول واما السكال فيختلف فيه بين انه مصدر او اسم مصدر . فلدى هذا النص لنا ما يأتي

١ — للآئمة مذهبان في المصدر والفعل الماضي فذهب بأصالة المصدر ومحيي الفعل عنه ومذهب بأصالة الفعل ومحيي المصدر عنه . فان كان الفعلُ الاصلُ فهنا ثلاثة اوزان لها مصدر على قول او مصدران على قول آخر . فهل كل وزن له المصدران اول كـمـلـ مصدر ولكـمـل مصدر وان كان المصدرُ الاصلُ فكيف جاءت الافعال الثلاثة لمصدرين او لمصدر واحد . . .

ب — ما الدليل على أن كـمـولاً اعرق من كـالٍ في المصدرية ولماذا يمتنع ان يكون كـالٌ اعرق من كـمـول ولماذا وقع الخلاف في كـال بين انه مصدر او اسم مصدر واين الدليل على انه اسم او مصدر . ولماذا تعذر البت في حقيقة كـال

ت — لم تتعدد الاوزان في « ك م ل » الا عن تعدد المعاني في هذه المادة فلـكـمـل معنى لا يؤدبه كـمـل ولا كـمـل . وكـمـل في معناها الخاص بها هي القصحة وما سواها ليس فصيحاً فالقول عنها انها « ارداها » ليس له مستند ولا دليل بل الدليل ينقضه

ث — لتمييز بين معاني كـمـل وكـمـل وكـمـل اورد قول الشاعر

فتى كملت أخلاقه غير انه جواد فلا يُبقي على المالِ باقيا

واسأل هكذا ما الفرق بين ضبط كل بالفتح او بالكسر او بالضم وأي منها يظهر ان الشاعر اراده . ثانياً « حرص على الشيء حرصاً (بكسر وسكون في المصدر) من بابي علم وضرب بمعنى جشع » فكيف جاء للوزنين مصدر واحد . وكيف لضبط قول الشاعر

إحرص على الشيسم التي كرمت آثارها في الأعصر الأول

وقول الآخر

إحرص على نسب تجمعه بالجهد او ما أورث الولد

أمن وزن واحد ها او من وزنين وأين الضبط بكسر الراء لا بالفتح او بالفتح لا بالكسر فان الصرف ومتن اللغة يوردان حرص وحرص معاً

ثالثاً — جاءت الآية « ويأبى الله الا ان يتم نوره » فما الفرق في المعنى بين ضبط يأبى كيرمي مضارع رمى ويأبى كيرضى مضارع رضى وأي المعنيين اولى بالآية

هذه الدقائق لعلم المباني ولا يقتصر عليها فهو يبحث المصادر والمشتقات والجموع . فقد ورد في جمع فاعل فـعـل وفـعـل وفـعـل كصحب لصاحب وحج حاج وولد لوالد فعلم جاء صـحـب بالفتح لا بالضم وحـج بالضم لا بالكسر وولد بالكسر لا بالفتح وجاء في غاز غازون وغزو وغازية وغزاة وغزي (بفتح فكسر) وغزي (بضم فكسر)

وَعُزِّي (بضم فشدّة فألف مقصورة) فجزّاء (بضم فشدّة فألف ممدودة فهمزة) ولم تأت هذه الصيغة إلا عن تفاوت في معانيها وليس في التصريف ولا متن اللغة جلاء عن هذا التفاوت وذكر المعاجم شاب فهو اشيب ج شيب وشيب وشيب وروى معجم البلدان في مادة مسكن قتلت به من حي فهد بن مالك . ثمانين منهم ناشئون وأشيب فما ضبط اشيب . أفتتح الياء على أنه مفرد أو بالضم على أنه جمع أو هو تحريف عن شيب وما شأن الشيب لو ثبت أنه جمع . وما الفرق بين شيب وشيب وشيب . وهل من جموع القبيل صيغة فعّل فتأتي لفاعل ولغيره أو لفاعل دون سواه كجعد وزور وعود وان خرداً لخاردة لا لخريدة هذه شؤون يبحثها علم المباني فهو من التصريف كالمعاني من النحو وقد اهتدى إليه المرحوم ظاهر خير الله والذي ولم يتسن له نشره فهو مطوي في اوراقه

التخريج

هو من المباني كالاعراب من النحو وكما يصح لك ان تعرب برز زيد فجاء فهو نائب مناب مفعول مطلق تقول في صحاب انه جمع صاحب كقيام جمع قائم او جمع صحيب مثل رفاق جمع رفيق وكما يرجح في النحو مذهب على مذهب يرجح في المباني ايضاً فمن التخريج الفرق بين جُدد بضمين وجُدد بضم ففتح في جمع جديد وكيف جاء شجاع بكسر الاول في جموع شجاع بضم الاول وسري في جمع سري وكيف يحل الخلاف في كآة أجمع كالم هو او جمع كي وان سرة جمع لسا لا اسم جمع لسري . وقد اوردت في كتابي الرأي الحاسم نقد صيغ جمع سوار بمعنى قلب وهي أسورة وأساور وصيغ جمع واقول ان فعلاً لا يجمع على أفعال بل على فعائل مثل شمائل وشمائل وإقال وإقال وعيائل وعيائل (وقيل عيائل) وفعال يجمع على أفعّل كألسن وأذرع وأشهب في لسان وذراع وشهاب ويجمع أفعّل على أفاعيل كأرھط (جمع رھط) على أراھط وأطرق (جمع طريق) على اطارق اذن سوار يجمع على أسور (لم ترد في القاموس) وجمع أساور فقد اهل القاموس صيغة جمع فلم يحسن الضبط وأخل بالقياس فهذه الكلمة الوجيزة يبدو بها ما للمباني والتخريج من الفائدة في إنشاء المعجم فاذا رأت وزارة المعارف المصرية الجليلة الاستعانة بمن اتفق من عمره فسحة في استقرارهما ضمته الى ذلك المجمع الجليل واخذت الدرة من حيث وجدت دمشق : البطريكية الارثوذكسية امين ظاهر خير الله

اصل الحياة

لمصطفى جواد

ما لسرّ الحياة ظلّ مُعَمَّى بين هذي العلوم ذات الضياء؟
أترانا من الطبيعة أمّ ما ذا ترانا من نسل هذا الهباء؟
ما الذي كان للطبيعة أمّا كيف صار الهباء ذا إحياء؟

قال لي بلبل على الغصن يشدو في جمال الربيع سرّ الحياة
بسمّة الزهر للملاحظ تبدو بنشوء الحياة قبل المات^(١)
إنّ هذا الربيع جاءك يعدو فتمتّع فأنّت مثل النبات

بلبل الروض، انت سكران من ألوان زهر أريجّه فوّاح
انني ما عرفت الحائل أسأل: لا ولا شاقني بها القدّاح^(٢)
انت ترجو دفع الشتاء ودرأ الـ حزن منه فحسبك الافراح

قال هلاً شغلت عن بحث سرّ بعناء الحياة يا انسان!
تتعب العقل بين درّس وخبر واضطراب يثيره البرهان!
يا بني آدم شغفتم بأمر كل ما فيه انه خسران

قلت للزهرة المفيضة حسناً من أسأل الحياة في الاشجار؟
من كسا هذه الوريقات لوناً مستعداً من ريعك السيار؟
ولماذا تصوّحين أحزناً ام بحكم من دهرك القهار؟

قالت الزهرة الخجول: حياتي ومماتي سرّان مكنونات
أنغذي من الثرى والرفات وبنشق الهواء أقضي زماني

(١) هذه هي الفكرة الفلسفية (٢) القداح نور النبات قبل تفتحته ويطلق في العراق على نور الليمون والتاريخ ونوعهما

أرتوي مثلكم بماء فآتي بجمال بحبيب فتتأني

قلت يا زهرة الحديقة طيبي ان عمر الزهور جد قصير
وأطلبي من فوق غصن رطيب وامنحينا الأريج قبل المصير
ان سر الحياة جد غريب فاهني واركي غريب الامور

ضاعت بي الحال حتى صرت مبتدعا
هي الحقيقة تحييني فتبعثني
اريد بالنفس خيراً غير ان لها
يغور فكري ببحر الشك مضطرباً
قد أعجز العالم الاذهان فابتدعت
كل الامور على عبث تدل فلا
فالموت والفقر والافساد بأرهة
وحاجة الحي للاغذاء معربة
«عند العذول اعتراضات ولائمة»^(١)
وقد تشعبت الاديان واختلفت
كل يقول أنا الماشي على سنن

وسألت المياه في الروض تجري
قلت يا ماء انت كاشف أمري
بنشوء الحياة هل أنت تدري

قال لي الماء: كل حي وليدي
نستشير الحياة بالتوحيد
هل وجدت الحياة دون وجودي

مر شيخ مقوس ذو أناة
تخذ الدهر ظهره قوس وعظ

قلتُ يا شيخُ ممَّ أصلُ الحياةِ فلقد كدتُ في الضلالة أمضي
أنت ذو خبرةٍ قريبُ المات كيف فكّرتُ؟ قال اني لأقضي

قد حيرَ الكونُ اذهانَ الورى جَمعا
مُعَقَّدٌ مذرأى الانسانَ صورتهُ
شمسٌ ونارٌ وسيّارٌ على دأبٍ
ما الجذبُ ما الدفعُ ما الدنيا وخالقها
هذا يقول وهذا منكرٌ أبداً
أما الدليلُ فلا عينٌ ولا أثرٌ
إن قلتُ ماذا يُرى الانسانَ منهجهُ
ما الدينُ يا قومُ ان الدينَ مكتسبٌ
والعلمُ والدينُ في التحليل ما اتفقا
ليس الحياةُ سوى سِرٍّ تكتنفهُ
والدينُ يعجزُ عن تبیان منشأها

فان تفكّر ذو عقلٍ به جزعاً
من ذارأى القمرَ السيّار اذ طلعا
النار تحرق والسيّارُ قد دُفعا
أضحى الجوابُ على الانسانِ ممتنعاً
حرنا فلسنا نرى إلاّ امرأً فزعاً
وكل حزب بما قد ناله قنعاً
من الهدى قيل: ان الدينَ قد وزعاً
وطالما من جدالات الحجي ارتدعا
والنفس والعقل في المقصود ما اجتمعا
مغالقُ الغيب لم يكشف ولا سُمِععا
والعقلُ ساعٍ الى التبيان ما رجعا

قلتُ يا شيخُ قد كفّرت فكفّر
إنما الدينُ عن حياتك يُخبر
ذاك شيءُ تَعالموه فذكر

عن خطاياك واتبع الرحمانا
كلُّ حيٍّ من الميام استباننا
ان ذكراك تنفعُ الأديانا

قال ما زلتُ في الضلال أهيمُ
ان ارضاً قد ظلّ فيها الجحيمُ
ان كونَ الحياة فيها قديمُ

كيف صار «الاميب» حيّاً سويّاً؟
كيف تحيا الحياة فيها مليّاً
وكذا النارُ أشتّت كيمويّاً

قلتُ: يا شيخُ ذاك فكري فمن لي
هذه الارضُ حيّةٌ قبل كلِّ
كيف هذي الحياةُ كانت فقل لي

بنصيرٍ يذيعُ هذا المقالا
ذي اشتعال فهل تجيب سؤالاً؟
فلقد صار كلُّ أمرٍ ضلالاً؟

القوى الروحية في الصين

من محاضرة لـكلود فارير

لا أجد بدءاً من الاعتراف بما أشعر به من التردد في معالجة مسألة لم يستطع ذكاء الغربيين سبيلاً إلى حلها حلاً أكيداً وهي : ما هي الصين ومن هم الصينيون ؟

لقد درست هذه المسألة طوال ثلاثين سنة ان لم اقل طوال حياتي كلها ، فقد عشت في الصين مدة طويلة ليس في المدن الكبيرة فحسب بل في القرى النائية التي لم يقدر لرجل من البيض ان وطئها قبلي ، فتعرفت الى الصينيين في حياتهم الخاصة ولي بينهم اصدقاء احترمهم وأعجب بهم ولا انسى ان فئة من الطلاب الصفر سألتني مرة ان اضع رواية عن بلادها ، على اني ترددت في اجابة الطلب قائلاً : « لن أجد وضع هذه الرواية فأنم شيوخ مسنون ، وما انا بالنسبة اليكم سوى ولد صغير »

فأخذوا هذا الجواب ضرباً من ضروب الأدب واللياقة فالصينيون يرتاحون كثيراً الى من يغرق في مضاعفة أعمارهم وأبلغ عبارة تستطيع ان تمدح بها سيدة صينية هي ان تقول لها انها طاعنة في السن . وبالحقيقة ان قولي للطلاب الصينيين انهم شيوخ مسنون إنما هو قول حق وصواب . فأعمارنا نحن الفرنسيين لا تتجاوز خمسة عشر قرناً او عشرين على الأكثر ، فالغاليون لم يكونوا فرنسيين ، ولم يكن للشعب الفرنسي من أثر قبل القيصر الكبير ، في حين ان الصينيين هم صينيون منذ ثمانين قرناً على الأقل

﴿ اقدم حضارة بشرية ﴾ لم تكن اسيا الوسطى ، قبل عهد البشر ، سوى قاعدة من الارض تمتد من بيقال الى بحر الهند ، فطراً عليها تغضين عظيم نشأت عنه جبال حملايا والكونيولون والتيانشان والنانشان والالتاني ، ثم انحنت القاعدة المنتفخة من الغرب الى الشرق واذا بالياه تتجمع في ذلك الوادي المزدوج المعروف بالهوانغ هو واليانغ تسي ، ثم اخذ هذان النهران يلفظان موادها واذا بالتربة الصفراء تنشأ رويداً رويداً وهي اخصب تربة أوجدتها الطبيعة قد لا تعدلها تربة اميركا الشمالية ولا تربة روسيا السوداء

وهبطت قبائل رحالة منحدرة من التركستان الى النهر الاصفر فاكشفت الارض الصفراء واستدرجها الخصب الى استغلالها فاستوطنتها ، ومنذ ذلك الحين نشأ الصينيون ولا مشاحة في أن السلالة الصينية مردودة الى مستهل التاريخ البشري ، ويكفيها لنستوثق من ذلك أن نزمي نظرة الى الاسطورة الصينية . فقد جاء في ميثولوجيا ابناء السماء أنه كان في

البداية « أسرة الجلد السامية » ثم « أسرة الارض السامية » ثم « أسرة الانسانية السامية » وأن هذه الاسر جميعها قد دامت خمسمائة واربعين قرناً . ثم جاء الامراء المنزهون عن التبويخ وعددهم سبعة وثلاثون اميراً منهم اثنان او ثلاثة اطلق عليهم هذا اللقب : « بدأوا يبنون العشاش » وهذه العشاش كانت قرى مائية اي مبنية على ضفاف البحيرات . ومنهم من اطلق عليهم : « افركوا قطعتين من الحطب لتشتعلا » ولا ريب بان هذا اللقب يرمز الى استعباد النار . وأطلق على احد هؤلاء الامراء لقب « الدائرة والوسط » وهذا اللقب يرمز الى اختراع الدولاب والعجلة . أما المحراث فلم يكن قد اخترع بعد

يتضح لنا مما تقدم أن حضارة قديمة كهذه ينبغي أن تكون كثيرة التوغل في ظلمة الماضي وأن ثمانين قرناً إنما هي عدد ضئيل إذا قيس بعمر هذه الحضارة

الصينيون يخترعون الكتابة ✽ جاء في أساطير الصين ان امبراطوراً يدعى « فوهي » كان مالكا زمام الامبراطورية السماوية في نحو القرن الخامس والاربعين قبل المسيح ، وان هذا الامبراطور كان اول من دجن الماشية وسنّ شريعة الزواج وأعطى شعبة المحراث الاصلي وتخيّل أحرف الكتابة ، وهذه الاحرف لم تكن سوى ثمانى علامات رمزية

ولكن في نحو القرن السابع والعشرين صعد العرش امبراطور آخر يدعى « هوانغ - تي » ولقبه « الاصفر المعظم » فبعد ان افنى الدباب التي كانت تتكاثر في ذلك الحين ، ورتّب امتيازات السحرة بقوانين ، ونظّم اليومية القمرية ، وأمر برفع القرابين الى كل قوة غير منظورة عمد الى إصلاح الاحرف المكتوبة فكملها

إذن فالصينيون قد عرفوا الكتابة ألفي سنة قبلنا وقبل اجدادنا الروحيين اليونان والفينيقيين ، وإذن فذهنهم قد ارتاض قبل ذهننا ببرهة ، وفي هذا ما يدعوا الى التأمل والتفكير على ان هناك ما هو اعجب من كل ذلك ، فقد قلت إن « الاصفر المعظم » كمل الاحرف المكتوبة ولم يستنبطها ، فالكتابة الصينية هي كتابة رمزية تصوّر الفكر دون الصوت ، وكل كلمة صينية يعبر عنها على الورق برسم صغير ينقل الى دماغ القارئ التأثير الموافق . اما كتابتنا نحن — وهي كتابة صوتية — فانها تنقل الى دماغ القارئ تأثيراً رناناً يستخرج منه الدماغ التأثير النهائي المتعلق بالشيء المطلوب وهذا لعمري جهد دماغي يختلف عن الاول اختلافاً يبنّا . ولا شك في أن جنسين من أجناس البشر ينتجان عن هذا الاختلاف البعيد وفي هذا دليل على ان الصينيين لا يشابهوننا في شيء ، وانهم اقدم منا بقرون عديدة . ولهذا السبب لم يكن بين ثقافتنا وثقافتهم أقل علاقة

✽ الفتيات البشعات بليّة وعالة ✽ والآن أتريدون أن نجوب معاً جيوب التاريخ الصيني منذ القرن السابع والعشرين قبل المسيح — وهو عصر الامبراطور هوانغ - تي — الى قرننا هذا ؟

إذن فيستغرق مسيرنا مدة خمسة آلاف سنة لا يصعب علينا ان نختصرها في فترة خمس دقائق بعد ان توفي الامبراطور هوانغ - تي - تعاقب على العرش ثلاثة من امبراطرة الاساطير هم ياو ، وشون ، ويو ، فالاول نظم مجاري المياه ، والثاني انشأ قانون الجنایات الاول ونظم يومية شمسية أرضى بها المزارعين ، والثالث حمل شعبه من شواطئ النهر الاصفر الى شواطئ النهر الازرق واستطاع بهذه الطريقة ان يخلق اول دولة حقيقية

على ان هؤلاء الامبراطرة لم يسودوا الا على بضعة خيم وبضعة قطعان ، فقد كانوا بطارقة بسطاء لا اكثر ولا اقل ، فالاسرة الصينية قديمة جداً يرجع تاريخها الى اربعة آلاف سنة او خمسة آلاف سنة قبل المسيح ، وهي اسرة جميلة ، صلبة ، سلسلة ، خصبة ، تقبل المضاربة بالطبع وتقبل ايضاً عدا الزوجات الشرعيات زوجات غير شرعيات ، ولكن في اشراف القانون . أما الابناء فتجوز ولادتهم بكثرة من غير ان يطوح احداً منهم خارج الحجر العائلي بشرط ان يكونوا غلماناً لان الفتيات الكثيرات بلية وعالة على اهلن لا سيما اذا لم يكن مفرطات في الجمال ، والشرعية الصينية لا تميز البليات

الفلاسفة الصينيون الثلاثة * في العام ٢٢٠٥ قبل المسيح ظهرت السلالة الصينية الوارثة الاولى وهي سلالة « هيا » التي تربعت على العرش ثم عقبها سلالة شنغ ، فسلالة إن ، فسلالة تشيو التي سادت الف سنة ، اي الى عهد هنيبال فاهيا حكموا من العام ٢٢٠٥ الى ١٧٦٧ ، والشنغ والين من العام ١٧٦٦ الى ١١٢٢ ، والتشيو من العام ١١٢٢ الى ٢٥٥ ، وفي عهد هذه السلالة الاخيرة عاش الفلاسفة الصينيون الثلاثة وهم لاوتسو الذي ولد في العام ٦٠٤ قبل المسيح ، وكونغ تسو الذي ولد في العام ٥٥١ ومات في العام ٤٧٩ (؟) ، ومانغ تسو ، تلميذ هذا الاخير (٣٧٢ - ٢٨٩) ولست بحاجة الى القول ان كونغ تسو هو نفسه الفيلسوف المعروف بكونفوشيوس . والآن من هم هؤلاء الفلاسفة الثلاثة ؟

يسهل عليّ التكلم عن كونغ تسو ومانغ تسو ، فهذان الرجلان العظيمان كانا حكيمن اكثر منهما عالمن من علماء النظريات ، فلم يحدث لاحدهما ان عالج القضايا الكبرى المتعلقة بالقضاء البشري . وقد قال كونغ تسو : « لا اعرف ما هي الحياة ، فكيف اهتم بمعرفة ما هو الموت ؟ » وكونغ تسو هذا امل حكمة اجتماعية ، منطقية وأساليب حكومية عديدة . وهذه الاساليب الحكومية المجموعة في كتيب عنوانه « الدرس الكبير » تستحق ان يتأمل فيها جميع زعماء الدول حتى الحاليون منهم

اما لاوتسو فيختلف عن هذين الفيلسوفين ، فهو عالم نظري ، ونظريته في العالم ، تلك النظرية الغائمة تقرب من نظريتي فيثاغوراس وهيراقليطوس . على ان لاوتسولم يخفق ليعيش في الشرق الاقصى ، فالشرق الاقصى لم يفهمه ، ولم يستطع الصينيون ان يستقوا من تعاليمه

الاً مزيجاً من الخرافات الغربية وهذا المزيج من الخرافات يعرف بالطاو ، وهو مفعم بالسحر ، وعبادة النار والكواكب ، وغير ذلك من الغرائب والمبهمات . الاً ان حسن الحظ شاء ان يولد كونغ تسو بعد لاوتسو بنصف قرن فأتيح له ان يضع بعض النظام في تلك الخرافات المشوشة ثم جاء مانغ تسو فضعف ما اصلحه كونغ تسو حتى اصبحت الخرافات الضعيفة مذهباً وتقاليد واليكم مثلاً من «الليكي» وهو كتاب الرتب الدينية عند الصينيين القدماء :

« في الشهر الاول من الصيف قبل ان يأتي الصيف بثلاثة ايام ، اعلنه المقوم الكبير لابن السماء ، فتطهر ابن السماء بالزهد ، وفي مستهل ايام الصيف خرج لاستقبال هذا الاخير في مركبته الحمراء التي تجرها جياذ صهب ذات اذنان سود . لقد خرج بعلمه القرمزي مرتدياً لباسه الاحمر وعلى قبعته وحزامه اليواقيت الحمر ، يتبعه ثلاثة من كبار وزراء الدولة وتسعة من الوزراء الآخرين وجميع كبار الرؤساء ، فرحب بالصيف في الجهة القبيلية من العاصمة لما قفل راجعاً وزع الحمد والنعمة بعدله الكبير » . واليكم هذا المقال الآخر :

« ان ابن السماء يرفع القرابين او التضحيات الى السماء والارض ، الى ارواح الخوافق الاربعة ، الى ارواح الجبال ومجاري المياه والى الخمسة الانواع من الالهة الانيسة »

فالمثال الاول هو ولا ريب من كونغ تسو ، والمثال الآخر من لاوتسو ، وهذان المثالان هما نموذجان من مزيج يؤلف الديانة الصينية الاولى ، او بالاحرى النظام الاجتماعي في الصين فالصين منذ خمسة وعشرين قرناً كانت ركناً من العيال يديره امير بطريقي

﴿ امبراطور يحرق الاسفار القديمة ﴾ كذلك كانت الصين في عهد التشيو بعد ان جازت عهد الائن والتشنغ والهيا ، ولكن عند ما انهارت سلالة التشيو حدث انقلاب عظيم

قلت عند ما انهارت سلالة التشيو ... ولكن كيف انهارت هذه السلالة وكيف انهارت قبلها سلالات الائن والتشنغ والهيا ؟ - لقد انهارت هذه السلالات جميعها كما ستهار السلالات التي ستعقبها ، فبعد هؤلاء الامراء المؤسسين ، الامراء الحكماء الاذكيا المتحمسين حل امرء وارثون يعلقون على العرض اكثر مما يعلقون على الجوهر ، والشعب الصيني كثير الشبه بقطيع الاغنام ، فهو سهل الانقياد على ان لا يطلب منه ما ليس في حسبانته او ما هو صعب عليه . فلقد سقطت سلالة الهيا لان حظية آخر امير من امرائها صور لها ان تضرع النار حين لم يكن من داع لاضرامها ، ولقد شاءت هذه السيدة الفتاة ان ترى ما يحدث بعد ذلك ، ولكن الذي حدث هو ان الصينيين قطعوها تقطيعاً واسقطوا عشيقها عن العرش ولنعد الآن الى الاغنام ، فلما اضمحلت سلالة التشيو وذلك في العام ٢٢٥ قبل المسيح فاست الصين ثلاثاً وثلاثين سنة من الفوضى والاضطرابات ، ثم انبثق رجل عظيم من مقاطعة شانسي وذلك قبل ان يربح شيبليون الافريقي معركة زاما بعشرين سنة ، وهذا الرجل العظيم

هو الأمير تسن المعروف بفانغ تشنغ

قلت ان فانغ تشنغ هذا نجب من مقاطعة شانسي القائمة على كتف النهر الأصفر ، فلما قبض على زمام الصين بأسرها — بعد ان أباد جميع المشاغبيين — سمي نفسه تسن شو هوانغ — تي اي الامبراطور الاول لسلالة تسن . وأول ما بدأ به هو ان انشا من الصين امة متحدة كان هذا الامبراطور يقبل نصيحة أي كان ، ولكن عند ما كان يرى النصيحة سيئة كان يحرق الناصح حيًّا او يغليه على النار . وكان الكتاب يواجهونه دائماً بالشرائع القديمة ليو قفوه عند حده ويمنعوه من العمل على هواه فخرق جميع الاسفار القديمة وأغلى أحياء جميع الذين كانوا يقرأون اي كتاب كان . فغضب الصينيون على تسن شو هوانغ — تي وأخذوا ينظرون اليه نظرتهم الى ملك دجال . على ان تسن شو هوانغ — تي كان قد شيد أمة حقيقية تدعى الصين ، وهذه الامة لم تضمحل الا بموت هذا الامبراطور في العام ٢٠٦ على انها لم تضمحل الا لتبعث فيما بعد ، والذين عملوا على بعث هذه الامة هم الهان — السلالة السماوية الحققة — الذين ساروا مدة اربعمئة سنة او اكثر ولم يسودوا طول هذه المدة الا أنهم عرفوا اختيار قوادهم الذين كثيراً ما جدّوا الوحدة الصينية . ولم تضمحل سلالة الهان الا في السنة ١٨٤ للمسيح

الصين في عهد الاستيلاء الاجنبي * كان القرن الخامس للمسيح عهد الغزوات البربرية ان في الصين وان في الغرب الاقصى ، ففي العام ٤١٠ استولى «الاريك» على روما ، وفي ذلك العهد أيضاً احتل ليوتسونغ ، ملك «الهون» Huns ، العواصم الصينية وأسرا امبراطورين جعل أحدهما خادماً له . ومنذ ذلك الحين بدأ الغرباء يحكمون الصين ، فبعد ان جلا «الهون» عن الصين خلفهم «التوبا» وقد اهتموا الى الدين البوذي ، فعالجوا سلطتهم من غير أن يتخذوا لهم لقب امبراطور ، على ان سلالتين من المغول انبعثتا من دمهم هما السوي والتانغ . ولقد بقي الغرباء يحكمون في الصين مدة خمسمئة سنة متتالية فأنشأوا أمة عظيمة أداروها بشراسة ولكن بحذق ونشاط . ولا ريب بأن احتكاك هؤلاء الامبراطرة بالصين — ذلك الاحتكاك الطويل — جعلهم صينيين . على ان الصين ، في عهد الاستيلاء الاجنبي هذا ، فتحت في أفكار لم تخطر في بال كونفوشيوس نفسه ، فبين القرن السادس والعاشر وقعت في المملكة السماوية أزمتان او ثلاث ازمتا دينية ، على ان هذه الازمات لم تلبث ان تلاشت ، فلما سقط التانغ في العام ٩٠٧ وعقبت سقوطهم فوضى دامت نحواً من ستين سنة انقسمت الصين الى دويلات مختلفة حتى ظهر فيها قائد ظافر او متشرد أحذق من سواه اذا شئتم فأسس السلالة الوطنية الوحيدة التي عرفتها الصين منذ عهد الهون والتشيو وهي سلالة سونج

سوى ان هذه السلالة الصينية لم تتصرف تصرفاً حسناً لأن مؤسسها كان جندياً حاذقاً اكثر منه محارباً ، ولقد شبهه الفرنسيون بهنري الرابع . على ان الجدير بالذكر هو ان الصينيين

كانوا سعداء في عهد السونغ الذين انهارت سلالتهم في العام ١٧٢٩ بعد ان انهار كل شيء من حولهم ، ولقد شرح لنا ماركو بولو لماذا كان الصينيون سعداء في عهد السونغ ولماذا استسلموا لاول فاتح هبط عليهم . قال ماركو بولو :

لو كان شعب مانزي (اسم ملك) من الشعوب المحاربة لافتتح العالم . ولكن شعب مانزي لم يكن شعباً محارباً بل كان تاجر أو صانعاً ولقد صرف همه على النساء . وكان ملكه اميل ما يكون الى النساء والى العطف على الفقراء والاحسان اليهم »

ولنستأنف الآن الكلام عن آخر الامبراطرة الصينيين فنقول : ان سلالة « منغ » الصينية خلفت المغول الغرباء وتوارثت الملك الى العام ١٦٤٤ ، ثم عقيبتها سلالة « تاتسنغ » فحكمت من العام ١٦٤٤ الى العام ١٩١٢ أي الى عهد الفوضى الحالية التي لم تدم الا احدى وعشرين سنة ، والاحدى والعشرون سنة ليست بالمدة الطويلة متى كان الامر متعلقاً بفوضى صينية **الصينيون عيال لا أمة** * اظنني جعلتكم اسون باصبعكم تلك الحقيقة التاريخية وهي ان الصين لم تكن صيناً حقيقية الا تحت سيطرة الفاتحين الغرباء . وهذه الحقيقة التاريخية تجعلنا نذهب الى ان الفوضى الحالية في الصين لن يوضع لها حد الا اذا تدخل الغرباء في الامر ولكن فيم لم نر الصينيين الذين هم ولا ريب اكثر تجار الكرة الارضية حذقاً وحكمة وأشد الفلاحين صبراً وصلابة ، والذين عرفوا اكثر مما عرف سواهم ان يجمعوا مزاياهم المعصي في الجهود الشاقة ويصور اليهم انهم اقرب الجنس البشري الى الكمال ، فيم لم نرهم صاروا الى تلك النتيجة البسيطة التي كثيراً ما صارت اليها سلالات هي دونهم بمراحل بعيدة وهي حكم النفس بالنفس ؟ فيم لم تكن الصين صيناً حقيقية الا تحت سيطرة فاتحين غرباء تحت سيطرة كثيراً ما كانت ظالمة شرسة ؟ . ذلك لان الصينيين الذين عرفوا في البدء ان يؤسسوا عيلة صينية متينة اضطرتهم الحاجة في الكثير الغالب الى ان يمزجوا عيالهم ببعض ويجمعوا منها قبائل لا أمة ، فالصينيون يؤمنون بالعيلة ، وبالعيلة دون سواها

لا يخلق الامة الا الزواج المختلط * لم يخلق الامة ان في آسيا وان في اوربا الا منذ الوقت الذي اختلط فيه الزواج من عيلة الى عيلة او من قبيلة الى قبيلة . والامة القوية التي أسرع بالنشوء كالامة الفرنسية والانكليزية والاسبانية والاطالية ، لم تستمد قوتها الا من امتزاجها ببعضها ببعض ، فالامة الفرنسية مثلاً هي مزيج من السلط واللاتين والفرنج والبروغونديين والنورمانديين ، والامة الانكليزية هي مزيج من البريطان والانكلو والسكسون والدانوا والنورمانديين والغائيل !

وخلاصة القول يجب ان يتزوج الشبوط والارب ليكون هناك امة حقيقية على ان

الصينيين لم يكونوا إلا صينيين، فالصينيون لا يسمحون بالتمازج، والتمازج وحده يخلق الامم يبلغ عدد سكان الصين اربعمائة وخمسين مليوناً ما يعادل ثلث سكان الكرة الارضية . سوى ان هذا العدد لم يزد منذ اكثر من مئة سنة . واذا استثنينا شعوب كندا واليابان وبولونيا رأينا انه ما من سلالة بشرية تمكث بسرعة السلالة الصينية

على ان الصينيين ، وهم شعب يحترق احتقاراً شديداً كل ما هو في نطاق الصحة ، يموتون بالملايين ، وقد لا نستطيع ان نحصى عدد هؤلاء البشريين الذين يموتون كل سنة بالاوبئة المختلفة وقد لا نخطئ ايضاً اذا قلنا انه منذ اليوم الذي تم فيه الصينيون بترية ابنائهم بحسب القوانين الصحية ليصبح عددهم تسعمائة مليون بدلاً من اربعمائة وخمسين مليوناً ويصبح الشعب الاصفر وهو يعد بالمليارات لاجمات الملايين . وعندئذ لا يبق لنا — نحن وأنسالنا — إلا أن نحتجب : الصين في الوقت الحاضر * ولكن مالنا ولهذه المسألة الخيفة ، فلنبق في الحاضر ولنحصر حديثنا في هؤلاء الصينيين المساكين من طراز ١٩٣٣ الذين يقتتلون اليوم مدجلين في القوضى العمياء التي لا يعرفون الخروج منها ...

قد تقولون لي ان رجلاً واحداً يكفي لانقاذ شعب ، وقد رأيتم حقيقة ذلك في فرنسا ، على أن فرنسا تعدّ اربعين مليوناً او أقل . اما الصين فتعدّ اربعمائة وخمسين مليوناً ، وهذا الشعب العظيم يحتاج لانقاذه الى رجل عظيم ، والعظمة لا يخلقون كل يوم

وفي الصين ، بين بكين وكانتون ، عشرون حكومة مختلفة لا تكف عن التناحر بكل ما في الوحشية من المعنى ، وهذه الحكومات لا تعبأ بعواقب تناحرها فهي تكثفي بقتل الحيايين اي بقتل الشعب ، فالصينيون يقتلون الصينيين بالسهولة التي تراها نحن في قولنا : اسعدت صباحاً ثم ان هذه الحكومات وعلى رأس كل منها زعيم متشرد او لص ، يفاوض بعضها موسكو وبعضها توكيو ، والبعض الآخر واشنطن ، ولندن أيضاً . ولكن لندع السياسة جانباً ! فنحن في الصين ولنبق فيها . نحن في بلاد تعسة ، في أشقى البلدان جميعاً . قد تقولون ان شقاء هذه البلاد يرجع الى اخطائها هي . حسناً ، ولكن افريقيا ، بين السينغال والكنغو ، ومراكش بأسرها كانت في الماضي ميادين مصبوغة بالدم ، حتى جاء فيدهرب وارشيفار وما نحن وليوتاي فأشفقوا على هذه الشعوب المتناحرة ومنحوها السلام الفرنسي . فمن تراه يشفق على الصين المسكينة فيمنحها السلام أي سلام كان ويجعل منها امة حقيقية ولو أكلت الأرض ؟ أني لا أتمني ان يحبيء أحد ، منشورياً كان ام مغولياً ام يابانياً ! فنقذ الصين لا بدله ان يصبح صينياً بما ان جميع الذين افتتحوا الصين لم يمر عليهم جيل واحد حتى اصبحوا صينيين . وهذا سر غريب نضيفه الى اسرار آسيا القصوى هذه ، الى اسرار تلك الأرض العجيبة التي اخترعت البيان — اثنى المزايا البشرية — والتي تعمل الصينيين بسرعة تدهش العقول

العطور واستخراجها

بين الطبيعة والعلم

ان حاسة الشم من الحواس التي لم ترتق بارتقاء الانسان ، بل على الضد من ذلك ضعفت . فالكلب ، يميز بين الصديق والعدو بالشم ويستطيع ان يقفوا اثر انسان اذا شم رائحة ملابسه . وهذا ما يفعله رجال الشرطة في اقتفاء آثار المجرمين احيانا . اما الانسان فقد فقد دقة حاسة الشم او كاد . انه يستطيع ان يميز الروائح الطيبة من الروائح الكريهة . ولكن اللغة نفسها اقوى دليل على ضعف هذه الحاسة فيه . فليس يحتاج احد الى بلاغة فادرة لكي يصف جسما من الاجسام وصفاً يمكنك من معرفته اذا رأيته . فالامي يستطيع ان يصف حيواناً غريباً رآه بالفاظ يمكنك من معرفة هذا الحيوان اذا رأيته انت ، فتقول هذا هو الحيوان الذي وصفه فلان . ولكن ذلك متعذر في وصف الروائح الى حد بعيد . حاول ان تصف رائحة معينة ولنقل انها رائحة الورد من دون ان تستعمل لفظ الورد في وصفها ، بطريقة تمكن صاحبك من معرفة الرائحة التي تقصدها . ان اللغة في الغالب تقصر دون مرادك ولو كنت من البلغاء والعطور محولات من زيوت معينة او مواد عطرية ، في كحول مخفف . اما عطور القدماء فكانت المواد العطرية نفسها . غير محولة في كحول او اية مادة اخرى

والزيوت العطرية تستخرج من مصادر نباتية ، من الازهار والاوراق والسوق والجذور باساليب دقيقة كل الدقة ، وقد عرفت بالزيوت ، لانها في الغالب مواد دهنية او زيتية ، اخف من الماء وتطفو على سطحه من دون ان تترج به . وهي تشبه الزيوت الاخرى ، كزيت الزيتون وزيت بزر الكتان ، في انها تحدث بقعة دهنية ، اذا وضعت قطرة منها على الورق . ولكنها تختلف عن الزيوت العادية ، في ان هذه البقعة الدهنية على الورق ، تزول بالتبخر بعد ما تمسكت قليلاً ، واما بقع الزيوت العادية على الورق فتمسك ولا تزول

فعطر التربة والقرنفل والخزامى والتسنوّم او رقيب الشمس والسنط والياسمين والنانج والورد والبنفسج يستخرج من ازهارها . وعطر الخزامى واكليل الجبل والنعناع والبنفسج يؤخذ من ازهارها واوراقها . وعطر العنبر والدارصيني يؤخذ من اوراقها وسوقها . وعطر الدارصيني والتربة يؤخذ من لحائها . وعطر العرعار والصندل من خشبهما . وعطر حشيشة الملك (angelica) والسافرس من جذورها . وعطر البرجوت والليمون والليم والبرتقال يؤخذ من اثمارها . وعطر اللوز المر واليانسون وجوز الطيب يؤخذ من

بزورها . وعطر المرّ وبلسم پيرو والمسحة يؤخذ من أصماغها

وثمة طيوب تستخرج من الحيوانات . وهي اغلى العطور واندرها . فالعنبر يستخرج من حيوان بحري ، تقذفه الحيتان المريضة وتحمله الامواج الى الشاطئ . والمسك يستخرج من احد الايائل ، الذي كاد ينقرض الآن ، لجدة الناس في صيده . والزباد طيب نادر يستخرج من سنّور الزباد باساليب كادت تقرض هذا الحيوان

اما الاساليب التي تستعمل لاستخراج العطر من الازهار فبعضها قديم كالتقطير والنقع في الأدهان والكحول ، وبعضها حديث كاستعمال بخار البترول . ويندر ان يكتفى الآن بأسلوب واحد في استخراج عطر زهر من الازهار ، بل يعتمد الى غير اسلوب واحد حتى يثبت ان كل العطر الذي في الزهر قد استخرج

ففي طريقة التقطير توضع الازهار في انبيق كبير وتغمر بالماء ثم يبدأ عمل التقطير المعروف المستعمل في تقطير ماء الزهر من زهر النارج وماء الورد من زهر الورد

اما طريقة النقع في المواد الدهنية فيعمد فيها الى وضع الازهار فيها حتى تتراً وتصير كالمروّخ ، والغالب ان يوضع عدد معين من الازهار في دهن نقي او زيت زيتون نقي ثم يوضع الاناء في اناء آخر فيه ماء غالي ، وبعد وقت معين تخرج الازهار ويوضع غيرها محلها حتى يتشبع الدهن او الزيت من عطرها . ثم تمرث الازهار التي نقعت وتضغط في مكابس مائية حتى يعصر منها كل ما تبقى فيها من العطر . ويؤخذ المروّخ ويغسل مراراً بالكحول فيذيب الكحول العطر الذي فيه ويعتصه فيصبح بعد التصفية والتبريد خلاصة زهر النارج اذا كان الزهر من النارج او البرتقال ، وعطر الورد اذا كان الزهر ورداً

وقد تستخرج المادة العطرية باستعمال بخار البترول النقي وهو احدث الاساليب وافضلها وطريقته ان تمرث الازهار اولاً فتتمزق الغدد الزيتية التي تحتوي على المادة العطرية ، وتتصل هذه المادة ببخار البترول وتبقى الازهار الممرّثة على هذه الحال ٤٨ ساعة . ثم يبرد البخار ويستقطر فيبقى منه مادة شمعية ذات رائحة عطرية ، ويعاد عمل الاستقطار مراراً فتصبح المادة الشمعية خلاصة العطر الجامدة التي تباع في الاسواق

يسهل استعمال هذه الاساليب للازهار التي تستخرج رائحتها بسهولة اذا مرثت ، ولا تزول رائحتها اذا مضى عليها وقت طويل بعد جفنها ، ولكن ما كان من الازهار كالياسمين والزنبق ، لا يستخرج عطره الا بالحيلة لان مقدار العطر قليل — فقد لا يستخرج من طن من الزهر الا اوقية او اوقيتان من العطر — لا يصلح التقطير لاستخراجه ولا يستخرج بالنقع ولا ببخار البترول لئلا تتلف الازهار . ولذلك يستخرج عطرها باستعمال الدهن البارد . وآية ذلك ان الازهار الغضة توضع في اطباق مبطنة بالدهن ، وتقام هذه الاطباق بعضها فوق بعض ،

وتبدل الازهار النادوية بغيرها مرة كل ٤٨ ساعة بعد ان يمتص الدهن عطرها ويصبح كالمرّوخ المذكور آنفاً . ثم يغسل هذا المرّوخ بالكحول كما تقدم
وقلما تباع خلاصات العطور الاّ لصنّاعها . ويختلف سعر الاوقية الواحدة من نحو جنيه الى عشرات الجنيهات . وثمن بعضها يفوق وزنه ذهباً . وهؤلاء يميزونها بمحلولها في الكحول ويبيعونها في زجاجات انيقة ، لا يحتوي المحلول الذي فيها على اكثر من ١٠ في المائة عطراً و ٩٠ في المائة كحولاً

وسرّ صناعة العطور هو في مزج الخلاصات الزيتية قبل حلّها ، وهو فنّ دقيق ، توارثت سرّه بعض الاسر التي اشتهرت بهذه الصناعة . فمّا الكولونيا الالماني ، لا يباح سرّ صنّاعته ، حتى للعلماء . وكان الكيماوي الالماني «بيس Piess» قد صنع للعطور سلسلاً شبيهاً بالسلم الموسيقي في اسفله العطور الشرقية القوية مثل عطر خشب الصندل وفي أعلاه العطور الطيارة الخفيفة مثل عطر شجرة اليام Heliotrope . على هذا السلم العطري يستطيع الخبير البارع ان يمزج العطور كما يؤلف بين الانغام فيخرج منها عطوراً مركبة منسجمة . فاذا كان غير خبير ، وقع تنافر بين الاجزاء التي يصنع منها العطر المركب كما يقع التنافر في الانغام فمزج العطور المختلفة لاخراج عطر جديد يستطيه الناس ويقبلون عليه ، فنّ دقيق يحتاج الى حسّ مرهف ، والراجح ان اكتسابه ممكن بالاختبار وطول المراتة

فصنع العطور ميدان لبراعة الكيماوي . ولولاه لظلت العطور غالية الثمن عزيزة المنال الاّ على الاثرياء . خذ مثلاً عطر البنفسج . فهو من اندر العطور واغلاها ثمناً . فاذا زرعت فداناً بنبات البنفسج ، لم تستطع ان تستخرج من ازهاره ، الاّ بضعة قطرات من عطر البنفسج الزيتي . ومن اشق الأمور حفظه . لانه طيّار . فلما حلل الكيماوي هذا العطر وجد ان عنصره الاساسي مادة تدعى ايونون . فاذا استفردت هذه المادة نقية من الشوائب بلغ من قوة رائحتها انها تشل حاسة الشم ، فلا يستطيع الانسان ان يتبين لها رائحة ما . فعمد الكيماوي الى محاولة تركيب هذه المادة تركيباً صناعياً في المعمل . وقد افلح في ما حاول . والعطور المحتوية على خلاصة عطر البنفسج اصبحت رخيصة ، حتى ليتعذر عليك في الغالب ان تبتاع عطر البنفسج الطبيعي ، لانه لا يستطيع ان ينافس العطر الصناعي ، فلا يصنع لانه لا يفي بنفقات استخراج الطائفة . ومن هذا القبيل فوز الكيماوي بصنع المواد الاساسية في العطور والطيوب المختلفة كالمسك وعطر الورد وعطر الليمون وغيرها

ولكن العطور التي يصنعها الكيماوي لا تصلح ، وحدها ، الاّ لصنع العطور الرخيصة . ولذلك تمزج ببعض العطور الطبيعية في صنع العطور المركبة ، لان اصحاب الحسّ الدقيق يستطيعون ان يميزوا العطر الصناعي بالبحث

پول پانلیقه

Paul Painlevé

كتب العالم البريطاني توماس جرينوود في مجلة نايتشر قال : لما ذهبت الى لقاء المسيو پانلیقه قبيل وفاته كان منهمكاً في إعداد الجزء الثاني من محاضراته المشهورة في «ميكانيكية السوائل» التي القاها حديثاً في السوربون، فرأيت «الرئيس» (كما يدعوہ اصداؤه) وهو في شفق حياته، مشغولاً بالمباحث التي شغفته، قبلما لبسني نداء الوطن وخاض ميادين الخدمة العامة . وكان حينئذٍ ناقهاً من علة اصابته وأقعدته عن العمل والدرس ، وكان يأمل ان يتاح له اعداد خطبته الافتتاحية ليتلوها في « معهد الفنون والصنائع » الذي دعي باسمه ، اعترافاً بفضلہ ونبوغه . ولكن القدر لم يمهله ، فوضع نعشه في ردهة ذلك المعهد ، قبل حمله الى البانثيون (مقر رفات الفرنسيين العظماء) . ففرنسا خسرت بوفاته ابناً من أكرم ابنائها ، والعالم رياضياً وسياسياً من اعظم رياضيه وساسته

قلما يتاح لرجل من المشتغلين بالشؤون العامة ان يجمع بين المسكنة العلمية والمقام السياسي في أعلى مراتبهما . ولكن المسيو پانلیقه كان من هؤلاء ولد في باريس سنة ١٨٦٣ وتلقى العلم في دار المعلمين العليا (الايكول نورمال سوبيريور) واحرز لقب دكتور في علوم الرياضة ثم اثبت بمباحثه انه رياضي من الطبقة الاولى ، فعين استاذاً في السوربون وانتخب عضواً في مجمع العلوم ومنذ ما قامت في فرنسا قضية دريفوس الشهيرة بدأ يوجه عنايته الى السياسة ، ففي سنة ١٩٠٦ انتخب نائباً اشتراكياً مستقلاً عن باريس ، ووجه عناية خاصة الى شؤون الجيش والاسطول والسلاح الجوي . ولكنه لم يشغل منصباً سياسياً كبيراً قبل الحرب الكبرى . وفي سنة ١٩١٥ ألف بريان وزارة واختار پانلیقه ليكون وزير المعارف فيها . ولكنه اختلف مع رئيسه في طريقة مواصلة الحرب ، فلما اعاد بريان تأليف وزارته هذه في ديسمبر سنة ١٩١٦ خرج پانلیقه منها

وفي مارس سنة ١٩١٧ ألف الوزير ريبو وزارته واختار پانلیقه لوزارة الحربية ، فاقدم في الحال على تعيين الجنرال پتان قائداً عاماً للجيش الفرنسي بدلاً من الجنرال نيثل . فلما استقال

ريبو دعي پانليقه لتأليف الوزارة الجديدة وكان ذلك في سبتمبر سنة ١٩١٧ . وكان يود أن يشرك الاشتراكيين معه في هذه الوزارة ولكنهم تشددوا وغالوا في مطالبهم ، فألف الوزارة من دونهم ، واستبقى لنفسه منصب وزير الحربية علاوة على الرئاسة . وفي اكتوبر بعد تأليف الوزارة بشهر واحد ، أحس بعد اقتراع تم في المجلس ، ان الاكثرية الموالية له ليست بكافية للسير بشؤون الدولة فاستقال ، وأعاد تأليف الوزارة فاخرج منها ريبو وضم بارتو وزيراً للشؤون الخارجية . فلما منى الايطاليون بعد ذلك بهزيمتهم الشنيعة في كاپورتو اسرع الى رابلسو فاجتمع هناك بلويد جورج رئيس وزراء بريطانيا ، وأورلندو رئيس وزراء ايطاليا ، فاسفرت محادثاتهم عن انشاء مجلس الحلفاء الاعلى في فرساي ، واختير الجنرال فوش ، ليكون الممثل الفرنسي الاول في هذا المجلس . وفي ١٣ نوفمبر رفض مجلس النواب الفرنسي تأجيل البحث في مسألة الدعاية الى وقف الحرب (Defeatism) (وهي المسألة التي حوكم فيها الوزير السابق جوزف كايو وحكم عليه) فاستقال پانليقه ودعي كمنصو الى تأليف الوزارة التي حاكت كايو ، وسارت بفرنسا الى النصر العظيم

وقضى پانليقه بعد ذلك بضع سنوات بعيداً عن ميدان السياسة النعالة ، ولكنه عاد فألف مع هريو كتلة من احزاب اليسار ، ففازت هذه الكتلة في انتخاب ١١ مايو سنة ١٩٢٤ فألف هريو الوزارة وانتخب پانليقه رئيساً لمجلس النواب . ولكن الاحزاب المتطرفة اضربت عن تقلد المناصب الوزارية الا اذا ذهب ملمران — وهو رئيس الجمهورية — من منصة الرئاسة فذهب . ويقال ان پانليقه حاول حينئذ ان ينتخب مكانه رئيساً للجمهورية فافق في سعيه . وانتخب الميسيو جاستون دومرج

فلما سقطت وزارة هريو سنة ١٩٢٥ للاختلاف على بعض المسائل المالية ، خافه پانليقه في الرئاسة وأخذ على عاتقه وزارة الحربية ، وأقدم على عمل جريء اذ ضم اليه الوزير السابق ، المحكوم عليه ، جوزيف كايو ، وزيراً للمالية

في تلك السنة اشتدت الحال في مراکش على اثر الحرب التي شنها الامير عبد الكريم ، فطار اليها ، للنظر في الحالة ، وعاد فعين المارشال پتان لكي ينظم قوى المقاومة والهجوم على الامير عبد الكريم وجنوده . وفي يوليو من تلك السنة ثبت له انه لا يستطيع ان يستمر في الحكم من غير تأييد بعض فرق المعارضة ، لان الاشتراكيين رفضوا ان يؤيدوا كايو في خطته المالية . وفي ٢١ نوفمبر تحولت اكثرية الى اقلية فاستقال

نخلفه بريان في رئاسة الوزارة . واشترك هو مع بريان وزيراً للحربية . وكذلك شغل هذا المنصب نفسه في وزارتي بوانكاره اللتين طالتا من يوليو سنة ١٩٢٦ الى نوفمبر سنة ١٩٢٨

وقد انتخب بانليقه في حياته عضواً في مجامع العلوم في فرنسا وبولونا (ايطاليا) واستوكهلم (السويد) وروما ومن مؤلفاته «دروس في الفرك» ودروس في «تحليل معادلات لاختلاف» وهو فرع من الرياضة العالية

كان شغف بانليقه بالرياضة اساساً لنظريته الفلسفية الى الطبيعة . وفي رسالته «اوليات الميكانيكا» عرض لبحث مبادئ الميكانيكيات القديمة، وفكرة العلة والمعلول ، واصول النسبية، وانتقال الضوء . وقد كان في البدء حذراً في الايمان بنظرية اينشتين ، بل انه وجه اليها في جمع العلوم الفرنسي نقداً محكماً . فلما اقيمت مناظرة عامة في السوربون سنة ١٩٢٠ في موضوع النسبية ، اذهل بانليقه الحضور ، بكثرة الاحتمالات التي عرضها لتحل محل «اوليات اينشتين» . وكان اليوم مطيراً فلما خرج الجمع المحتشد ، مشى الاستاذ لانجفان — وهو مناظر بانليقه — مع جرينوود فقال لانجفان ، انني واثق بان بانليقه ، يغير رأيه بعد عشاء شهيق . فلما ترجم جرينوود محاضرات ادلعت في النسبية سنة (١٩٢٤) كتب له بانليقه مقدمة اعترف بها بالفائدة العلمية الجليلة التي تجني من «الصورة الكونية الجديدة» المبنية على نظرية النسبية . ومما لا يُرتاب فيه ان نقد بانليقه لنظرية النسبية ، كان من البواعث الفعالة على استكمال نقائصها ، وتصحيح بعض تفصيلاتها، وتوضيح مقتضياتها الفلسفية

كان بانليقه قصير القامة ، طيب القلب ، تحمل اساريره آثار العناء العقلي الذي يكابده في اشغاله العقلية واعماله الادارية . فقد كانت حياته ، حياة بساطة وجهاد . وكان يتشدد في انجاز كل اعماله بنفسه . وهذا لا يتاح لانسان الا اذا كان نادراً في قدرته على جمع افكاره وتوجيهها الى الموضوع الذي يريده . وقد ذكر جرينوود انه كان في مكتبه يوماً يناقشه في موضوع الانتخابات وإذا جرس التلفون يقرع ، وكان مخاطبته زميلاً في السوربون ، يستوضحه في مسألة عامة ، فأفاض بانليقه في بسط علاقتها بالمعادلات الصعبة في حساب التفاضل فلما انتهى التفت لزاره معتذراً ، واستأنف البحث في الانتخابات

ومن عجائب العقل الانساني ، ان يشتهر هذا الرجل بشرو والذهن كذلك . فيروى عنه انه كان يخرج احياناً من مجلس النواب ، فيستقل سيارة اجرة الى داره ، وسيارته الخاصة تنتظر . ويقال انه كان احياناً يذكر رقم تليفونه لسائق سيارة ، اذا سأل عن عنوانه ، بل اغرب من ذلك انه خرج من داره يوماً ، وكان ينتظر صديقاً ، فكتب كلمة مؤداها «بانليقه يعود حالاً» وعلقها بالباب . ثم عاد قبل مجيء صديقه ، فرأى الورقة معلقة ، فوقف بانليقه ينتظر عودة بانليقه !



داود برکات

امام صفحه ۵۸۹

مقتطف دسمبر ۱۹۳۳

داود بركات

صورة وحياة

رزئت الصحافة العربية بوجه عام ، والمصرية بوجه خاص ، بنقد داود بركات
رئيس تحرير الاهرام ، وقد كان برّاً بزملائه واخوانه ، مخلصاً لوطنيه لبنان
ومصر ، فانطوت بموته صفحة من صفحات القلم المجيدة في الشرق . وقد رغبتنا
الى صديقه الاستاذ بولس خاتم في كتابة فصل فيه ، فأتحفنا بالصورة القلمية التالية :

١ - صورة سن ميمانه

كهل ربعة القامة واضح الجبين مشرقه ، واسع الحدقتين حادّ البصر نافذه في حياءه ، حاضر
الابتسامة سريع الجواب . يسير مطرق الرأس بادي التفكير مهمل الشعر واللباس في عصاً
لا تحمله بل يحملها هو ، ملقاة على عضده ويده الاخرى لا تخرج من جيبه الا لتمر على جبينه
او لتلقي بغطاء رأسه الى الورا — تلك صورة لداود بركات وهو ذاهب من منزله بالفجالة
الى جريدة الاهرام

يأنف ركوب السيارات ويؤثر عليها العربات إما محافظة على قديمه وهو المحافظ على دينه
وعاداته . واما لما يأخذه من رافة على الحوذين الذين نضبت موارد رزقهم بعد ان الف الناس
ركوب السيارات . ذلك ما حدثني به داود وتلك صورة اخرى مصغرة لذلك القلب الفيّاض
بالرحمة والحنان

فاذا بلغ منزله الثاني في دار الأهرام — ذلك المنزل الذي فيه فتاته وعروسه وافراحه
وآلامه وذكريات شبابه وجني يديه — التي بعصاه وبغطاء رأسه في غير ما عناية ولا اكتراث
واحتفى بالكثير من الزوّار الراقبين قدومه وتلطف معهم بالحديث واكرم وفادتهم واخذ في
مطالعة اكداس الرسائل الواردة بعناية لا يتوهمها محدثه وهو يسأله عن اموره الخاصة بل
ربما اخذ يكتب احدى مقالاته التي لو طالعتها في الغداة لظننته قد كتبها في هدوء الليل
وصفاء الذهن والمخاطر

فاذا بلغ الليل وهنه وحلّ به التعب خرج محيّا الظهر متثاقلاً في مشيته الى مقهى اللواء
جلس الى فئة مختارة من اصدقائه وزملائه يباسط هذا ويتبادل النكات مع ذاك حتى اذا

جدّ الجد وجرتهم الحديث الى امر هام قطّب حاجبيه واستوى على مقعده واخذ يحدثهم باحداث التاريخ وكأنه يقرأ من كتاب او يباحثهم في سياسة اليوم حريصاً في كلامه عفيفاً في انتقاده صادق النظر في حكمه

فاذا طاب لهم طعام او شراب رأيتهم وقد أومأ الى النذل فهرول مسرعاً يحضر لهذا كأساً من الشراب ولذلك صنفاً من الطعام فاذا جاء وقت الحساب اعتذر اليك النذل باستيفائه القيمة من داود تلك هي صورة مصغرة من داود في أهرامه ومن داود بين اصحابه ومنه في كرمه وسخائه فاذا بلغت الساعة الواحدة صباحاً عاد الى مكتبته واخذ يتفقد ثوب عروسه الأهرام محوّاً واثباتاً حتى اذا كانت الساعة الثانية ركب سيارة مستصحباً صديقاً او محرراً وذهب الى المطبعة في بولاق فالتى النظرة الاخيرة على صنعة يديه . ثم ينصرف الى منزله مطمئناً فالتى ما عليه من ثياب العمل واخذ يقلب كتب التاريخ والصحف والرسائل الى ان يغلبه سلطان الكرى فلا يستيقظ الا حوالي الظهيرة ليتناول القليل من الطعام ثم يعود الى عمله

كذلك صرف داود بركات سنياه الاربع والثلاثين مقبلاً الى الاهرام منصرفاً عن الاهرام فاما وانا احديثك عن داود رجلاً فلا بد لي ان اكشف لك فاحية من نواحي حياته يجهلها الكثير من الناس حتى اقرب اصدقائه اليه . تلك حياته في منزله بين اهله وذويه كان داود اذا أوى الى منزله وانصرف عنه زأروه ينصرف بحملته الى اخوته واخواته وفيهنّ الأيم ومنهنّ الفتاة ويحنو على ابنائهنّ وبناتهنّ فيبسط هذا ويداعب تلك طفلاً مرحاً ساذجاً لا تظن اذا رأيتهم بينهم وبينهنّ ذلك الكاتب العبقري النحرير الذي يخشى بأسه العطاء ويتزلف اليه ارباب المناصب وكبار الادباء

وربما طاب لداود — وكثيراً ما كان يطيب له — ان يدعو الى منزله رهطاً من اصدقائه واخصائه وليس منهم الا كل أديب فيبذل لهم الحديث العذب والحياة الباش قبل الطعام والشراب ويجمع لهم في منزله دواعي الانس من غناء وطرب واسباب لهو وسمر وكان أحب شيء اليه ان يكون المجلس حافلاً بالاحداث والاطفال كأن هذا الكبير بكل شيء كان في سذاجة الاطفال والرضعان في طيبة قلبه وصفاء نفسه ورضي خلقه وقديماً كانت الشعور البيض تحنو على الشعور السود

وقلما كانت تخلو دار داود — وهلف نفسي ان تصبح اليوم وحشاً — من طالبي الحاجات وسائلي الحسنات ، يطرقون بابه ليلاً وفي النهار في ساع الطعام والقيولة فيستقبلهم هاشاً باشاً بواسيهم ويسليهم ويتوجع لآلامهم وشكايتهم ويعدهم بقضاء حاجاتهم وقد طالما قضى اللبانات واغاث الملهوفين ونصر طلاب العلم والعمل بوجاهته ووساطته وماله على شدة حاجته الى المال وكان اذا وجد متسعاً من الوقت اسرع الكرة الى الجمعية الخيرية المارونية التي نمت بفضل

عنايته وتشرفت فيما بعد برأسته ليمدّ رجاها بأرائه الصائبة وينظر في حاجة فقرائها ولم تكن شواغله الكثيرة واخلاصه لوطنه الثاني — مصر التي اظلمت سماؤها ورواه نيلها وألهمه جوتها وآخاه ابناؤها واخذ بيده عظمائها — لم يكن كل ذلك لينسيه وطنه الاول لبنان بل ظلّ اميناً على ولائه مخلصاً له في حبّه غاضباً لغضبه عاملاً على اعلاء شأنه وهو الذي كانت له اليد الطولى في تأسيس «جمعية الاتحاد اللبناني» التي أسدت قبل الحرب وفيها وبعدها، اجلّ الخدمات للبنان وساعدته على نيل استقلاله . ولو صدق وعد الواعدين لكان هذا الاستقلال أتمّ واكمل

وقد كان الوفاء اظهر صفات الفقيده رحمه الله . فقد كان وفيّاً كل الوفاء لواليه ولاخوته ولاقربائه واصدقائه وللأهرام وصاحبها ولوطنيه العزيزين مصر ولبنان برّ بواليه فاقم لهما في مسقط رأسه يحشوش ضريحاً فخماً وبني لله كفسّارة عن نفسيهما معبداً لاقامة الصلاة وبرّ باخوته فربّاهم التربية الحسنة العالية ومنع نفسه عن الزواج ليتمكن من الانفاق على اخوته واخواته . وبرّ باصدقائه فهاضن على واحد منهم بمساعدة او موازنة او مشاطرة في فرح او حزن او تفرّيج كربة او بلاء

وبرّ بالأهرام وصاحبها امدّ الله بعمره فاحتضنه صغيراً وبذل له من حياته وأدبه وعلمه وكان كالجندي في ساحة الوغى قضى وقامه بيده . ووفى لوطنيه حقهما فدأب الدفاع عن مصر ولبنان وقضى حياته يعمل لخير مصر ويناضل عن حقوق مصر ويجاهد في سبيل مصر باخلاص ويقين وسعة اطلاع وحسن عقيدة وروح وثابة وقلم سيّال وهذه وقفاتة الى جانب المرحوم مصطفى كامل ومقالاته « مصر والسودان » و« تعالوا الى كلمة سواء فان الحق احق ان يتبع » اصدق شاهد على حسن بلائه وصدق جهاده

وكان يعمل الجهد المستطاع على التأليف بين وطنيه وقد طالما تمنّى على الله جمعهما في وطن واحد وهذه مقالاته في تاريخ « ابراهيم باشا والامير بشير الشهابي » و« اني اخاف على السندية ان تقطع » اوفى دليل واصل شاهد على اخلاصه ووفائه

٢ — صورة من ادبه

كان داود بركات رحمه الله صحافياً واديباً وقلّ ان تجتمع هاتان الصفتان في كاتب كان فيه من الصحافي حسن الكياسة وسرعة الخاطر ودقة استخراج النتائج من الحوادث اليومية وبعد النظر في استجلاء النتائج البعيدة للحوادث الواقعة وكان فيه ميزة قلّ ان نجدها في صحافي غيره وهي تلك المقدرة على الاشارة الى مرام خفية واغراض خاصة مقصودة بأسلوب واضح ولكنه غير صريح جليّ ولكنه مبهم لا يخفى على عين الرقيب وهو مع ذلك لا يمرض كاتبه لنقمة حاكم او لانتقاد منتقد او غصبة غاضب ولعلنا نوفق في وصف هذا الاسلوب اذا

اصطلاحنا على تسميته « بالبيان بالكناية او بالتورية والابهام » فقد كان يقرأ مقالة داود في صدد امر لا يصح التصريح به اكثر من قارئ وكان كل من قراء هذه المقالة يفهم منها ما يجب ان يفهمه او ما يريد ان يفهم بحيث كان يتمكن داود من الخوض في كل موضوع ولو امتنع الخوض فيه دون ان يقع تحت طائل او ملامة، وكذلك تمكنت الاهرام ولا سيما ابان الحرب العالمية ان تطلع قراءها على كل خفي ممنوع نشره دون ان تتعرض الى ايقاف او تعطيل . وكان فيه من الاديب دقة التصور وجميل الخيال وحسن الديباجة وجودة الوصف والشعور بما يكتب للناس مما يثير العواطف او يؤلم الناس

فكان اذا رثي تبينته شاعراً لا ناثراً في شعوره واسلوبه ولو قرأت رثاءه لتلك السيدة النبيلة ذات الايدي البيض على داود والاهرام - مدام تقلا باشا - لبدا لك منها عاطفة الشاعر وبيان الشاعر واخلاص الوفي . وكان اذا وصف انتقل بك الى اسمى مدارج الخيال وعرف كيف يكسو موصوفاته اجمل الصور واصدقها بحيث تلمس ما يصفه وتحس به بارزاً في شكل محسوس رائع

وكان داود بركات تاريخياً حياً صادقاً لمصر وحوادثها وللوزراء المصريين الذين تولوا الحكم منذ النصف الاخير للقرن التاسع عشر وكان فوق ذلك حافظاً لانساب المصريين واسرهم وحياة رجالهم ومذاهبهم السياسية ونزعاتهم الفكرية بحيث كان اذا شاء ان يكتب عن حدث او واقعة تاريخية او معاهدة سياسية او مسألة حزبية لا يرجع الى كتاب ولا الى تاريخ بل يعلي كل ذلك عن ذهنه وذاكرته وتلك قوة لم يؤتها الا داود رحمه الله

وكان في عقيدته السياسية على مبدأ الحزب الوطني مخلصاً كل الاخلاص لهذه العقيدة فكنت اذا ذكرت على مسمع منه اقطاب هذا الحزب وعلى رأسهم المرحوم مصطفى كامل امتلاً صدره حماسة وفاض لسانه في بيان فضل مصطفى على مصر والمصريين بما بثه في صدور النشء من روح الوطنية والتضحية والاقدام

فاذا اجتمعت اليوم كلمة الصحافة في الشرق على اطراء داود بركات والثناء على مقدرته الصحافية وخلقته المتين وادبه العالي وعفة لسانه . وجمال بيانه ووفائه لاهله واهرامه واخوانه فلا تكون فيما نكتبه مبالغاً او مغالاة . فقد كان - برد الله ثراه - من ابرع الصحفيين في الشرق وأعفهم قلماً واقلهم عنفاً في الخصومة واغزرهم بياناً ومعرفة واحفظهم للحوادث التاريخية واكثرهم المأماً واتباعاً للنهضة المصرية وللحركة الفكرية ولا شك ان وفاته قد تحت صورة جميلة تاريخية من صور الصحافة والادب والخلق والوفاء . وان الشرق قد لا يتبها له قبل انقضاء نصف جيل من الزمن ان يكون من النشء الجديد صحافياً له من المقدرة وطول الباع والكياسة ما كان للمرحوم المغفور له داود بركات

البحيرة

لألفونس دي لامرتين

نظم لامرتين هذه القصيدة بعد وفاة حبيبته جوليا التي خلد ذكرها في روايته
المسماة « رافايل » وهي من درر قصائده . وقد نزلت من قلوب القراء منزلها
في قلب ناظمها نفسه . فلحن مراراً واستدرت الدموع تكراراً عندما ناحت بها
او تلو الثاني ، ولا غرو فالحقيقة اشد احساساً واعظم شاعرية من الخيال ، لان
الشاعر الاكبر كما يقول لامرتين هي الطبيعة لا الانسان . وهذه ترجمة تكاد تكون حرفية لها

هكذا ، نحن دائماً مدفوعون الى شواطئ جديدة ، يذهب بنا الليل الابدي ،
بلا عود ولا رجعة ، فهل لا يتسنى لنا يوماً ما ، ان نلتقي بمرساتنا في بحر الحياة ؟

ايتها البحيرة ! ما كاد العام يلفظ أنفاسه ، حتى عُدْتُ وحيداً اليك ،
فانظري ، بالقرب من امواجك المحبوبة ، التي كان يجب ان تراها ثانية ، اجلس
منفرداً على هذه الصخرة ، التي ابصرتها تقعداً عليها

لقد كنت تهدين هكذا تحت هذه الصخور العميقة ، وكنت تتكسرين على
جنوبها الممزقة ، كما تفعلين الآن ، وكان الريح تُلقني بزبد امواجك على قدميها
المعبودتين ، كما هي الحال في هذه البرهة

أتذكرين عشيّة كنا سائرين على صفحاتك الهادئة ، ونحن سكوت ، ولا يُسمع
في الأفق ، على الماء ، وتحت السماء ، سوى حركة المجذفين ، الذين يضربون بوزن
متناسق ، لُجَجَكِ المُشْجِية

فارتفعت فجأةً الفاظٌ ، لا عهدَ للارض بها ، فردَّد الساحل المأخوذ بسحرها ،
صداها المطرب ، فأنصتت الامواج ، وأنشأ ذلك الصوت العزيز لديّ يُلقني
هذه الكلمات :

« ايها الزمن ، قفْ عن طيرانك ، وانت ايتها الساعات المهاللة لهناثنا ، انقطعي
عن سيرك ، ودعينا نتذوق لذائذ اسعد ايامنا ، السريعة الزوال »

كثير من التاعسين في هذه الحياة ، يفزعون اليك ايها الزمن ، فسرّ ، فسرّ ،
لاجلهم ، واصرم بالانصرام ايامهم ، جبل شقاءهم الذي ينهش افئدتهم ، وأنس السعداء

ولكنني عبثاً ألتبسُ ، فالزمان ضنينٌ بهنياه وجيزة ، والوقت يفلت مني
ويهرب فابتهلتُ الى الليل ان يتَّسَّدَ ، ولكن الفجرَ ما عَتَمَ ان بدَّد غياهب الظلام

فلنتحارب اذن ، لنتحارب سراعاً ، ولننعم على عجل ، بالساعة المولّية ، فليس
للانسان في حياته مرفأٌ يرسو فيه ، ولا للوقت ساحل يلجأ اليه ، فالزمن يسري بنا ،
ونحن نمرُّ مسرعين

ايها الزمن الحسود ، هل في شرعة الانصاف ، ان تمرَّ اويقات النشوة ، التي
يساقينا فيها الحبُّ كؤوس الهناء مترعة ، بنفس السرعة التي تدبُّ بها ايام الشقاء ؟

والهف نفسي ! أليس بمقدرتنا ان نبقي حتى على اثرها ؟ فهل ولّيت الى الابد ؟
وهل ضاعت كاملة دون امل ولا رجاء ، وهذا الزمن الذي جاد بها ، هو ذاته الذي
القاه في غياهب المدم ، ألا يعيدها الينا ثانية ؟

ايتها الازلية ، ايتها العدم ، ايتها الماضي ، لأنتم هوات معتمة ، ماذا تفعلون
بالايام التي تبتلغونها ؟ تكلموا : هل تردون الينا ذلك الانشغاف الروحي ، وتلك
الافتتانات السابية التي تسلبوتنا اياها ؟

ايتها البحيرة ! ايتها الصخور الصم ! ايتها المغاور ! ايتها الغابة المظلمة ! انتن
اللائي يبتى عليكن الزمن ، ويتسنى له اعادة زهو الصبا اليكن ، احتفظن من هذه
الليلة ، احتفظي ايتها الطبيعة الجميلة على الاقل بذكرها

أناشدك الله ايتها البحيرة الجميلة ، ان ترددي ، سواء كان يسكون مياهاك
وهدوئها ، او باضطخاب امواجك وثورانها ، او بمنظر سواحلك النضرة الضاحكة ،
او بأشجار الصنوبر السود التي على حوافيك ، او بصخورك الموحشة ، المعلقة
فوق مياهاك . . .

رددي ، سواء كان بنسيمك المضطرب الساري ، او بدوي ضفتيك المنتقل
من شاطئ الى آخر ، او بالكوكب ذي الجهة الأجنبية الذي يُنير صفحاتك
بضيائه الساحرة . . .

رددي ، سواء برياحك المنتحبة ، او بزفرات اعشابك وورودك ، او بعبيرك
المعطر فضائك ، او بكل ما تسمعه الأذن ، وتراه العين ، ويستنشقه النهم ، رددي
هذه الكلمة ، التي هي زفرة القلب الالامي ، ونحيب الروح الحائر :

جورج نيقولاوس

لقد تحاببا ، لقد تحاببا

اكتشاف أثري عظيم الشأن

في جبل الكرمل قرب حيفا
آثار رجال عاشوا هناك منذ ٣٠ ألف سنة

لما اكتشف مدفن توت عنخ امون سنة ١٩٢٣ كانت الصحف المصرية تنقل وصفه عن جريدة التيمس. واليوم ننقل الى قرائنا عن جريدة الدايلي مايل نبأ اكتشاف أثري عظيم الشأن وهو اكتشاف آثار انسان عاش في فلسطين منذ ٣٠ ألف سنة اي قبل عصر التاريخ وارسلت آثاره الى لندن. قالت الدايلي مايل : واذا ذهبت الى الطبقة السفلى من كلية الجراحين الملكية في لندن وجدت رجالاً ونساء يعملون في الواح كبيرة من الحجر الكلسي لاستخراج آثار بشر عاشوا منذ ٣٠ ألف سنة. فقد وجد تسعة هياكل من امة لم تعرف قبلاً. ومتى حررت من قيودها واخرجت من الصخور الكلسية التي سجنّت فيها فسيفحصها السر ارثر كيث العالم الانثروبولوجي المشهور. وينتظر ان يكون هذا الاكتشاف صفحة جديدة في قصة الانسان وجدت هذه الآثار في كهف على سند من اسناد جبل الكرمل. والذين وجدوها هم رجال بعثة مؤلفة من مدرسة الآثار والعاديات البريطانية في القدس والمدرسة الاميركية لدروس ما قبل التاريخ. وقد سميت وقتئذ هذه الامة التي وجدت آثارها «رجل فلسطين» واجتمعت في احد اقبية البناء بالمستر ثيودور «ماك كاون» الذي اكتشف الهياكل العظيمة فارانها فاذا عظامها محفوظة حفظاً غريباً وقال لي : «اسعدنا الحظ بالعثور على مقبرة عمرها ٣٠ ألف سنة او نحو ذلك. وموقع هذه المقبرة فيما يسمى اليوم «مغارة الجديان» (صغار المعزى). وهذه المغارة على علو ٣٠ قدماً في سند جبل قريب من حيفا

وأول ما عثرنا عليه جمجمة طفل ثم سائر الهيكل العظمي. ومازلنا نحفر وننقب بضعة اشهر حتى وجدنا ثمانية هياكل عظمية اخرى في صف واحد. ويظهر من تزاوجها الواحد الى جانب الآخر ان ذلك كان عملاً مقصوداً لتشغل اضييق ما يمكن من المكان. وفي رأينا انها ربطت بربط فئيت في ذلك الزمان الطويل. وفي خلال ذلك تكونت اغلفة كلسية حول الهياكل حفظتها من البلى على مر العصور. ومن هذه الهياكل ما حفظ اتم حفظ

ويكاد يكون من المؤكد ان «رجل فلسطين» قريب من رجل نياندرتال الذي وجد في اوربا ومعاصر له ولكن هناك بعض فروق كبيرة تبين لنا انهما ينتميان الى امتين مستقلتين الواحدة عن الاخرى. وقد اشترك معي في هذا الاكتشاف المس دوروثي جارود من اشهر علماء الآثار عندنا وقد عادت الآن الى فلسطين وفهمت انها اكتشفت اخيراً ثلاثة هياكل اخرى ويقول السر ارثر كيث ان هذه الهياكل اعظم اكتشاف اكتشف عن الانسان المعروف باسم «رجل العصر المتوسط الحياة»

بَابُ الزَّرَاعَةِ وَالْاِفْتِصَانِ

نزهة اليابان الصناعية

لقواد عينتاني

﴿ قوى المياه المستعملة في الاعمال الكهربائية ﴾ ان اليابان تثار الآن على اتباع خطط الغرب واساليبه في الاعمال الصناعية ولها اجهزة لتوليد القوى الكهربائية تزيد على مليونين كيلوات ونصف المليون . يكلفها ذلك سنوياً ما لا يقل عن ٢١ مليون جنيه استرليني^(١) اما المياه المستعملة لتوليد الكهرباء فقد بلغت منذ سنة ١٩١٦ قوة مليون ومائتي الف حصان ، ويقدر « ارنولد هـ . جيسون^(٢) » استاذ الهندسة في جامعة فكتوريا بمنجسر ، ان المياه الطبيعية التي في اليابان يمكنها ان تولد قوى كهربائية قدرها ستة ملايين واربعائة الف حصان ، ولكن المستعمل منها الآن لا يتجاوز قوة (١٦٠٠٠٠٠٠) حصان

﴿ المناجم والمعادن ﴾ لما كانت اليابان امة صناعية فهي بحاجة كبيرة الى المعادن والزيوت والفحم ولكن اليابان تكاد تكون خالية من المعادن ، فتستورده من الخارج ، وما يستخرج فيها من الحديد يسير لا يكاد يذكر ، على ان المعدل السنوي للحديد الذي يستخرج من المناجم اليابانية لا يزيد على (٣٧٠٠٠) طن ، واليابان تستورد مقادير كبيرة من الحديد والفولاذ من الخارج وذلك لكثرة الاحتياج اليه في المصانع والمعامل ، لصنع السفن وعمل الاسلحة . اما الكبريت فيستخرج من رواسب البراكين ، والبترول يوجد في اكثر الجزر ولكن مقاديره قليلة ، ولذا يؤتى به من الخارج لكثرة الطلب عليه ، والموجود منه في البلاد يتناقص مقداره سنة بعد سنة ، فقد استخرج في سنة ١٩٢٢ اكثر من (٧١) مليون غالون من البترول ، ولكنه تقص في سنة ١٩٢٦ الى خمسين مليون غالون

وبلغ عدد المناجم الى نهاية سنة ١٩٢٦ (١٩٥) منجماً ، ثلثاها للفحم والبترول ، وبلغ عدد العمال الذين يشتغلون فيها (٢٩٣٠٥٦٢) وقيمة المعادن المستخرجة (٤٣) مليون جنيه استرليني^(٣) وهناك كثير من المعادن توجد منها مقادير قليلة في اليابان ، كالذهب ، والقصدير ، والرصاص ، والفضة ، والمنغنيس الى غير ذلك . وقد بلغت قيمة المعادن المستخرجة سنة ١٩٠٦

(١) R. Gareke مدير الشركة الانكليزية لجر القوة الكهربائية

(٢) Arnold Hartly Gibson

(٣) دائرة المعارف البريطانية المجلد (١٢) ص ٠ (٩٠٨)

(١٢٣ر١٠٧٤٠ر١٠) جنيه . ولكن في سنة ١٩٢٦ زاد المحصول الى (٨٥ر٤١١ر٥٧٦) جنيه استرليني

الاسماك وصيدها * الياباني مشهور منذ القدم بكونه صياداً ماهراً في صناعته، وذلك لموقع بلاده الطبيعي ، فلا غرابة اذن ، اذا رأينا المشتغلين في اليابان بصيد الاسماك وبيعها وتجارتها يقاربون المليون في نسمة . ومحصول السمك يرسل اكثره الى الصين ، وكذلك زيت السمك فانه محصول مهم جداً في اليابان . وترسل اليابان من (السرطين) المحفوظة في العلب Canned crabs الى الولايات المتحدة فقط ، ما تزيد قيمته على خمسة ملايين دولار في السنة . والاسماك كثيرة جداً هناك ، حتى انهم يستعملونها كأسمدة في الزراعة ، وذلك مما يتبقى منها بعد استخراج زيت السمك (١)

الصادرات * كانت صادرات اليابان في ابتداء العصر الحاضر ، ما عدا الشاي والاولاف الخزفية والحريز ، قليلة جداً ، وكذلك كانت مستورداتها ضئيلة لا تذكر ، وهي عبارة عن الامتعة والمواد المصنوعة ، وفي هذه المدة كانت اكثر صادراتها للولايات المتحدة ، ولكن اليابان تمكنت في اثناء الحرب الكبرى من نشر مصنوعات ، وترويج بضائعها في افريقيا وجزائر الارخبيل الجنوبي وقد احتكرت تقريباً تجارة الشرق الاقصى بأجمعها (٢)

ولم يكن في اليابان شيء يذكر من الشركات في سنة ١٨٧٠ ، فلم يمر على البلاد ربع قرن حتى بلغت الشركات التجارية والصناعية في سنة ١٨٩٦ (٤٥٩٥) شركة برأسمال قدره (٤٠) مليون جنيه استرليني . ويوجد الآن في اليابان (٣٤٠٠٠) شركة برأسمال (١١٥) مليون جنيه استرليني . واننا لنرى واضحاً جلياً تأثير نمو تجارتها الخارجية وازدهارها ، عند ما نعرف انه لم يكن لديها في سنة ١٨٧٠ ما تصدره للخارج من المصنوعات . وبلغت قيمة البضائع المصدرة الى الخارج سنة ١٩٠١ ثمانية ملايين جنيه ، وزادت قيمة تجارتها في سنة ١٩٢٥ الى (٢٣٠) مليون جنيه ، منها (٤١) ٪ بضائع تامة الصنع ، و (٥٠ ٪) بضائع غير تامة الصنع

وقد جربت بعض الدول ان تقلد البضائع اليابانية فخابت في ذلك واخفقت في سعيها ، ولم تتمكن من تقليدها بنجاح تام ، وخصوصاً الورق الياباني المصنوع من ورق التوت ، والمستعمل لتغطية الحواجز والجدران ، وزجاج النوافذ ، وكذا المناديل المصنوعة من الورق واذا شتمع هذا الورق امكن استعماله كشمع ، وألبسة تمنع نفوذ الماء (٣)

وأهم صادرات اليابان ، الحريز والمصنوعات القطنية والمنسوجات والشاي والكافور والارز

(١) "The World Book Encyclopaedia" vol. 6. p. 3631

(٢) راجع مقال التجارة العالمية لـ (Julius Klein) في المجلد الثاني من كتاب (These Eventful

The World Book Encyclopaedia vol. 6. p. 3632 (٣) (Years

والمحاصيل البحرية وغير ذلك . وفي الجدول الآتي يرى القارئ قيمة البضائع المهمة والمواد المصنوعة المصدرة الى الخارج في سنة ١٩٢٦ (١)

جنيه استرليني	حاصلات بحرية
٢٣١٤٠١٢٤	مسكّرات وحلويات ومربيات
٣٧٣١٩٢٨	مشروبات ومأكولات
٤٠٣٣٧١٥	ادوية ومواد كيميائية وغيرها
٤٧٨٧٨٠٠	منسوجات حريرية وغزل وغيرها
٩٠٨٣١٥٩٤	منسوجات قطنية وغزل وغيرها
٥٠٩٩٣٩٠٣	اوان خزفية وزجاجية
٤٨٤٢٩٤٣	ملابس
٦٥٣٧٣٦٥	

١٦٨٠٧٣٣٧٢

المجموع

وفيما يلي جدول (٢) آخر يبين نسبة صادرات اليابان في سني ١٩٠٧ و ١٩١٣ و ١٩٢٧ ومقدار ذلك بالعملة اليابانية (ين . Yen) (يساوي الين شلنين وبنسأ ونصفاً)
الصادرات

١٩٢٧	١٩١٣	١٩٠٧	
ين	ين	ين	الاطعمة والمشروبات والتبغ
{ ٥٤١٦٥٠٠٠	{ ٢٤٦٥٥٠٠٠	{ ١٧١١١٠٠٠	(ا) خام
{ ٩١٣٩٧٠٠٠	{ ٣٧٤٨٨٠٠٠	{ ٢٧٥٨٤٠٠٠	(ب) مصنوعة صناعاً تاماً أو جزئياً
١٣٧٣٢٤٠٠٠	٥١٣٤٠٠٠٠	٤٣٦٩٠٠٠٠	المواد الأولية « مواد خام »
٨٥٢١٨٣٠٠٠	٣٢٨٠٠٨٤٠٠٠	١٩٨٩٢٩٠٠٠	مواد مصنوعة تستعمل في الصناعات المختلفة
٨٣١٢٢١٠٠٠	١٨٤٩١٤٠٠٠	١٤٢٣٥٤٠٠٠	مواد تامة الصنع
٢٦٠١٢٠٠٠	٥٩٧٩٠٠٠	٢٨٤٥٠٠٠	مصنوعات ومواد مختلفة
١٩٩٢٣٠٢٠٠٠	٦٣٢٤٦٠٠٠٠	٤٣٢٤١٣٠٠٠	المجموع

(١) دائرة المعارف البريطانية مجلد (١٢) ص (٩٠٩)

(٢) راجع ما كتبه (هربرت كرفت) Herbert Craft من غرفة التجارة بلندن ، في دائرة المعارف

البريطانية المجلد (٨) ص (٩٩٨)

﴿ الواردات ﴾ كانت اليابان في سنة ١٨٧٠ تستورد الدقيق ، والسكر ، والجلود ، والاصباغ ، والادھنة ، والملابس ، والادوات الحديدية ، فصارت الآن تصدر هذه المواد الى البلاد الاجنبية ، وكانت قبل ثلاثين سنة تستهلك مقادير عظيمة من مصنوعات لنكشير القطنية ، فصارت الآن تراحم هذه البضائع في البلاد الصينية ، وبمصنوعاتها القطنية اسواق الهند نفسها . ومع ان بضائع اليابان اخف نوعاً واذنى جنساً من بضائع اوربا واميركا ، فانها تجد اسواقاً رائعة وزبناً كثيرين ، وذلك بسبب رخص بضائعها الذي يجلب اليها الزبائن الذين يفضلون الرخص على نوع البضاعة وجودتها . ومع ذلك فلا ننس ان الازمة الاقتصادية الحاضرة قد اثرت ايضاً في الاسواق اليابانية فنزلت صادراتها بمقدار لا يستهان به . واما اهم وارداتها فالقطن والمنسوجات ، والحديد ، والفولاذ ، والسكر ، والارز ، والبترول وفيما يلي بعض ما جاء في التقرير الذي اعدته السفارة البريطانية في (توكيو) عن تقدم التجارة اليابانية (١) :

« ان الظروف الحاضرة في اليابان ، واحوالها الخارجية ، وطبيعة شعبها الطموح ، اجبر اليابان على توحيد الجهود لتحقيق ما سعت وتسعى اليه من تقدم في الصناعة ، ونهضة الاقتصادية في عقود قليلة ، بينما صرفت غيرها من الامم اجيالاً برمتها للقيام بهذه المشروعات ، وانها في عملها هذا قد استفادت كثيراً من تجارب غيرها من الدول المزاحمة لها التي قضت سنين طويلة للاستفادة من تجاربها واخطائها »
وفي الجدول الآتي بيان تجارة الدول المختلفة مع اليابان وقيمة الصادرات والواردات في سنة ١٩٢٦ بالجنيه الاسترليني : —

الواردات	الصادرات	
٦٩٤٣٦٠٠٠	٨٧٨٨٠٠٠٤٠	الولايات المتحدة
٢٤٤٤٠٠٠٠	٤٣٠٦٠٠٠٠	الصين
٣٩٩٢٨٠٠٠	١٥٩٢٠٠٠٠	الهند
١٠٥٢٢٠٠٠	٧٦٣٠٠٠٠	الهند الهولندية
١٧٣٨٢٠٠٠	٦٠٧٣٠٠٠٠	بريطانيا
١٠٤٠٠٠	٥٤٠٧٠٠٠٠	هونغ كونغ
١٤٨٢٤٠٠٠	٨٣٠٠٠٠	المانيا

(١) دائرة المعارف البريطانية مجلد (١٢) ص (٩١١)
(٢) دائرة المعارف البريطانية ، مجلد (١٢) ص (٩١٢)

الواردات	الصادرات	
١٣ر١٠٧ر٠٠٠	٥ر٢٦٨ر٠٠٠	اوستراليا
٢ر٥٩٤ر٠٠٠	٤ر٣٢٩ر٠٠٠	فرنسا
٤ر٠٧٠ر٠٠٠	٤ر٢٣٦ر٠٠٠	مستعمرات المضائق
٦ر٥٣٢ر٠٠٠	٢ر٥٢٦ر٠٠٠	كندا
٣ر٢٦٢ر٠٠٠	٢ر٣٥٨ر٠٠٠	مصر
٢٠٦ر٢٠١ر٠٠٠	١٨٥ر٥١٧ر٠٠٠	المجموع

ولمدينة (كوبه) Kobé الآن المقام الاول في التجارة الخارجية، ومدينة (اوزاكا) في المقام الثاني، و(يوكوهاما) في المقام الثالث. وقد بلغ مجموع تفريغ البواخر التي دخلت المرفأ اليابانية سنة ١٩٢٦ (٤٩ر١٨٦ر٠٢٩) طناسمها (٣١ر٨٧٣ر٥٢٣) طنسا تفريغ السفن اليابانية ثم تأتي بعدها في الدرجة الثانية انكلترة، ومحمول بواخرها (٩ر٣٦٣ر٢٤٥) طنسا. والبواخر الاميركية ومحمولها (٣ر٩٦٠ر٣٤٢) طنسا

طرق المواصلات لم يكن في اليابان سنة ١٨٧٢ سوى خط حديدي طوله (١٤) ميلاً يوصل مدينة توكيو بيوكوهاما، ولكن منذ ذلك التاريخ بدأت اليابان ببناء الخطوط الحديدية لربط اجزاء البلاد بعضها ببعضها. فبنت حتى الآن (١٣ر٠٠٠) ميل من الخطوط الحديدية، والحكومة تملك وتدير ثلاثة ارباعها، ومن ذلك الخطوط الحديدية في منشوريا ومنغوليا ومجموعها (٦٩٤) ميلاً. وقد منحت الصين حق بنائها لليابان. وفي المدة الاخيرة بدى بمشروع عظيم وهو تسيير القطار بالكهربائية. اما عرض الخط الحديدي فن ثلاث اقدم وست بوصات (١)

صناعة بناء السفن لما كانت اليابان امة صناعية، تجارية، فهي تحتاج الى سفن كثيرة لنقل بضائعها واستيراد المواد التي هي بحاجة اليها، وهي لصيانة حقوقها في البحر تحتاج كذلك الى اسطول حربي قوي يحفظ لها مكانتها بين الدول، ويصون حقوقها في البحر، ويؤمن لها سير تجارتها الى البلدان التي تتجر معها. ولذلك نرى لليابان اساطيل قوية سواء تجارية او حربية، ولا تكاد تنقطع بواخرها عن مرفأ المحيط الهادي (الباسفيك)

وقد كانت اليابان في سنة ١٩٠٠ تملك مائة وخمسين باخرة يزيد محمول الواحدة على الف طن. واما في سنة ١٩٢٠ فبلغت سفنها التجارية (٧٢٧) محمولها جميعاً (٢ر٣٥٦ر٤٧٧) طنسا. وفي ابتداء هذا العصر لم تكن صناعة بناء السفن شيئاً يذكر. ولكن الآن فان الاحواض اليابانية

تبني انهم السفن التجارية واعظمها ، وافوى البوارج الحربية واسرعها ، لها وللدول الأجنبية أيضاً

وفي مدة ست سنوات نهايتها (١٩٠٢) اضيفت (٨٣٥) سفينة الى اسطول اليابان التجاري مجموعها (٤٥٥٠٠٠) طن ، وقد كانت خزينة الدولة تدفع سنوياً مبلغ (٦٠٠٠٠٠) جنيه استرليني لتشجيع الملاحة وصناعة السفن ، فنمت هذه الصناعة نمواً عظيماً ، فاحواض بناء السفن بنت سنة ١٨٧٠ باخرتين مجموعهما معاً (٥٧) طنّاً فقط ، ولكن الأحواض الحديثة بنت سنة ١٩٠٠ (٥٣) باخرة مجموع تفرغها (٥٣٨٠) طنّاً و (١٩٣) سفينة شراعية تفرغها (١٧٨٧٣) طنّاً . واما في سنة ١٩٠٧ فقد كان لليابان (٢١٦) ترسانة لبناء السفن Shipyards و ٤٢ حوضاً Docks خاصاً . وبينما كانت الاحواض التابعة للحكومة منهمكة في بناء انهم البوارج الحربية واقواها ، كانت الاحواض الخاصة (التابعة للافراد او للشركات) تبني بواخر تجارية لا يقل محمول الواحدة عن (٩٠٠٠) طن

» وقد بنت اليابان في اثناء الحرب الكبرى (٩٣) سفينة للولايات المتحدة وانكلترا والنرويج وروسيا وفرنسا وشيلي والدنمارك واسبانيا والصين ، وفي سنة ١٩١٩ فقط ، انتهت المعامل اليابانية صنع (١٣٤) باخرة محمول الواحدة اكثر من ألف طن ، ومجموع تفرغها (٦١٩٥٥٨) طنّاً^(١) وربحت تجارة اليابان البحرية ارباحاً طائلة في الحرب الكبرى . وبلغ مجموع تفرغ بواخرها التجارية سنة ١٩٢٧ ما يزيد على الثلاثة ملايين طن وسفنها الشراعية اكثر من مليون طن

» اما بحارة السفن التجارية فقد بلغ عددهم في سنة ١٩٢٥ (٦١٥٠٣٧٩ ر٤) بحاراً من ذلك (٣٤٩٦٠٦٦ ر٣) بحاراً يعملون في البواخر و (٨٨٣٥٤٩ ر١) بحاراً في السفن الشراعية ، وعدد الضباط البحارة في السفن التجارية (٥٦٨١٣ ر٥) ضابطاً^(٢)

هذا وقد اثبت التاريخ ان الشرقيين لا يقلون ذكاءً وفطنةً ومقدرة على العمل عن اخوانهم في الغرب . ولكن اذا ما زالت هذه الغشاوة عن عيونهم والقوارء الجول والكسل والجهل عن عواتقهم ، فينمذ بشرهم بمستقبل لامع سبقتهم اليه امبرطورية الشمس المشرقة ، فتبوءت مركزها اللائق بها واستوت على عرش من القوة والاخلاص والعلم متين !

(١) M. Hanihara, in "These Eventful Years" vol I. p. 672

(٢) دائرة المعارف البريطانية مجلد (١٢) ص (٩٠٥)

مكتبة المقتطف

آداب الطب

دفع اليّ رئيس تحرير المقتطف بهذا الكتاب لأرى رأيي فيه فأوقعني في ورطة لا ادري كيف اتخلص منها لان النقد في الشرق ليس بالامر الهين . وسيرى القارئ كيف اخرج من هذا المشكل لا علي ولا لي

والكتاب هو : آداب الطب وحياة الطبيب بقلم الدكتور فؤاد غصن خبير المحاكم واستاذ الطب الشرعي في الجامعة الاميركية في بيروت وصاحب المجلة الطبية العامة وعضو المعهد الملكي للصحة العامة في لندن . طبع في بيروت

هو كتاب جليل الفائدة جمعه مؤلفه على ما جاء في ديباجته « من معلوماته الخاصة واختباراته العديدة ومن معلومات الاساتذة الغربيين واختباراتهم المفصلة في مؤلفاتهم » . اما معلوماته الخاصة واختباراته العديدة فلا شبهة في كثرتها لانه طبيب قديم خبير مارس الطب سنوات عديدة وهو فضلاً عن ذلك يشغل منصب استاذ الطب الشرعي في الجامعة الاميركية في بيروت وينشئ بالعربية مجلة هي من ارقى المجلات الطبية والعلمية فلا عجب اذا جاء كتابه هذا شاملاً لما وضع له ولا اغالي اذا قلت انه فريد في بابه لم ينسج على منواله بالعربية في ما اعلم . ثم ان المؤلف قد احسن في عرض فصول منه على زملائه فنشرها تباعاً في مجلته وبعث بنسخة منه بعد انجازه وقبل نشره الى سعادة الدكتور رضا بك سعيد رئيس الجامعة السورية في دمشق ومدير المعهد الطبي فيها والدكتور رضا بك طبيب مشهور له من سعة الاطلاع والخبرة ما يجعل رأيه شأناً في ما يكتبه

قرأت هذا الكتاب من اوله الى آخره ولكنه يتعذر عليّ ان أوفيه حقه من النقد لان ذلك يقتضي البحث في فصوله فصلاً فصلاً وانما سأشير الى بعض فصوله ومحتوياتها استهل المؤلف كتابه في فصل سماه الدعوة الى تعلم الطب ثم ذكر الصفات الضرورية ليصير الطالب طبيباً . منها ان الطالب ينبغي ان يكون ذا ثقافة عالية فال فيها قسطاً وافراً من العلوم واللغات الحديثة والقديمة مما له علاقة بعلم الطب . فهذا الفصل وما يليه ينبغي على كل طالب او ولي امره ان يقرأه لكي لا يخرج لنا المدارس اطباء هم دون المستوى الذي زيده ثم يلي ذلك بحث في الدخول الى المدرسة الطبية وشروط النجاح وحسن التصرف او سوءه والمرضى والزيارات الاولى وغير ذلك من الامور المتعلقة بالاطباء

ويليه فصل في كلام الطبيب فما قال فيه : « ليأذن لي زملائي الاطباء ان الفت نظرهم الى امر أراه من الاهمية بمكان وهو ان على الواحد منهم ان يزن كلامه ليل نهار فيزنه بين مرضاه وفي عمله وبين اصحابه وعلى مائدته حتى وفي خلوته الزوجية فلا يباح شيء من الاسرار التي يسرها اليه مرضاه . ولم ينس مضايقة الناس للطبيب المسكين فقال « بينما يكون الواحد منّا في الحفلات او المنزهات او القطار او غير ذلك ناسياً أنه طبيب مستريح البال يرى نفسه مرغماً على ان يتكلم على الطب » . ومن محاسن الاتفاق ان كاتب هذه السطور دخل لايام مضت على حلاقه فلم يكده يجلس على الكرسي حتى بادره صاحبنا بقوله ان فلاناً مصاب بحصاة في مثانته فما رأيك فضحك واخرجت له كتاب الدكتور غصن من محفظتي وقد كنت اقرأه في ذلك اليوم وأريته العبارة المتقدمة ورويت له قصة وقعت بين الطبيب والمفتي في احدى مدن فلسطين وهي ان طبيباً كان كلما رآه المفتي يشكو له شيئاً ، اما رأسه او صدره او ظهره او غير ذلك فلقية يوماً في السوق وكانت السوق ضيقة ومزدحمة بالناس فقال له عندي بواسير يا حكيم قال له اكشف لاراها قال هنا في السوق قال انت طلبت ذلك في السوق فشفي المفتي بعد ذلك من جميع علله

ومن فصول الكتاب الانيقة فصل في زواج الطبيب قال فيه « ومن أهم ما يجب على زوجة الطبيب ألا تكون غيوراً والألا كان الزواج مثل جهنم - وقد روي لي ان زوجة احد الاطباء كانت شديدة الغيرة عليه حتى انها لم تضبط نفسها عن المجيء الى غرفة الفحص ودخولها اليها خجاة دون تنبيهه عند ما يكون آخذاً بفحص مريضة فتاة » على ان المؤلف لم يخبرنا شيئاً عن هذا الطبيب فهل كان زوراً غيسانياً او قسحوماً دميماً او من الذين يتظاهرون بالتقوى والورع والمسكنة فالنساء اخبر بأزواجهن فلعل لها عذراً ونحن نلومها . فالحادثة تشخيصها صعب والانذار سيء جداً

ثم فصل في طالبات الطب قال فيه ليس من الضروري ان تكون المرأة الطبية شنيعة قلت والعياذ بالله . ثم لو فرضنا انها شابة تارّة رعبوبة وزوجها غيور مثل زوجة الطبيب التي ذكرها في ما تقدم وكان مرضاها من الفراهيد الغيسانيون ألا يكون الزواج في هذه الحالة كالزواج السابق ثم فصل في التشخيص والانذار وغيره في المعالجة وفصول غيرها مما يجب على الاطباء معرفته او مما له علاقة بالاطباء ومرضاهم

ومن خير الفصول في هذا الكتاب فصل في شرف المهنة وبحثه في التدجيل وقد ميز نوعين منه فقال « كل شخص يتعاطى الطب بغير صفة قانونية يجب ان تقاومه الجماعات الطبية باسم جميع الاطباء لانه خطر على الشعب » . اما النوع الثاني فقال عنه « ولكن الذي يعرض جسمنا الطبي للخطر هو التدجيل المدعوم بالشهادة وهو كثير الانواع غير محدودها وهو

لسوء الحظ على درجات مختلفة في جميع الطبقات « اي ان النوع الاول من التدجيل خطر على الجمهور والنوع الثاني خطر على الاطباء وهو في نظري اصعب الشرين . وقد رأى المؤلف اتقاء لهذا الشر ان تنشأ في البلاد الشرقية نقابات طبية افرد لها بحثاً خاصاً في آخر الكتاب وانما يتعذر ذلك في البلاد الشرقية ما زال فيها احتلال وانتداب ومعاهدات زائفة وامتيازات اجنبية فيحسن بالاطباء الشرقيين ان يعيروا هذا الامر اهتمامهم رفعاً لشأنهم بين الامم والكتاب كما تقدم حسن جداً قد سدّ فراغاً في اللغة العربية وهو مكتوب بأسلوب سهل العبارة فصيحها وكله خالٍ من التبجح فأهنيء الزميل لابرازه هذا الكتاب النفيس واشير على طائي الطب والاطباء وكذلك جمهور الادباء على مطالعته لان لجميع الناس علاقة بالطب والاطباء ومما قاله ما يأتي : قد قامت في سنة ١٩١٠ كل جمعيات الطب والصيدلة في باريس على نسق التعليم وطلبت العودة الى التعاليم القديم اي ينبغي على الاطباء ان يكونوا علماء لا محترفين واني اشير على كل طالب طب او كل والد يريد ان يدخل ابنه في مدرسة طبية ان يقرأ الفصول التي عقدها المؤلف في هذا الباب مثل الدعوة الى تعلم الطب والصفات الضرورية الكافية ليكون الرجل طبيباً والاستعداد للدروس الطبية وادب الطلاب وشروط النجاح وحسن التصرف ونحو ذلك اي ان الطبيب يجب ان يكون عالماً

ولما كان للناقد ان يمدح ولو عيباً واحداً في الكتاب فاني كنت اود لو اجتنب المؤلف استعمال الزبون « بمعنى المريض الذي يعهد بنفسه الى عناية الطبيب » ولو قال المريض وحده كما فعل في مواطن كثيرة لما اختل المعنى فقولنا الزبون يجعل الطبيب بمنزلة البائع والمريض بمنزلة المشتري . ثم ان للزبون معاني كثيرة قد توقع في مشاكل نسائية احياناً

امين المعلوف

اسماعيل المفترى عليه

Ismail The Maligned Khedive
by Pierre Crabitès Routledge, London 12s. 6d.

كان عصر اسماعيل عصرآ حافلاً بالحوادث الخطيرة

ففي سنة ١٨٦٦ فاز من السلطان بحق توريث ابنائه العرش في خطٍ مستقيم وفي سنة ١٨٦٧ اتخذ لقب خديو وفي سنة ١٨٧٣ اعترفت الاستانة لمصر باستقلالها مع بقاء الجزية . ثم ان اسماعيل وجه عناية الى تنظيم الحكومة والادارة والجمارك وأنشأ مصلحة البريد المصرية (١٨٦٥) واصلاح المدارس الحربية وشجع نشر التعليم ومدّ السكك الحديدية وخطوط التلغراف وبنى المنائر ومرفأ السويس وحاجز الامواج في ميناء الاسكندرية وشقّ الترعة وشيد الكباري وحارب تجارة الرقيق وبعث بحملة الى السودان لاستكشاف قلب القارة

السوداء . وفي عهده احتفل بافتتاح ترعة السويس (١٨٦٩) وانشئت المحاكم المختلطة (١٨٧٦)
ولو ان ملكاً أو اميراً ترك نصف هذه المآثر في بلاد أخرى ، لاضيف لقب « العظيم »
الى اسمه . ولكن من نكد الدنيا ، ان اسماعيل كان في حاجته الى المال ، للقيام بكل هذه الاعمال
العظيمة ، يعامل طائفة من المراهبين الدوليين ، لا يعرفون الا الجشع مبداً ومعاداً . وهذه
مصر طعمة سائعة لهم ، لان اميرها ، يريد ان يخرجها من الظلمة الى النور فليجوروا عليه ،
ما مكنتهم من ذلك سلطان المال ، وليقرضوه القروض بفوائد عالية وليعطوه نحو ٢٤ مليون
جنيه لقاء سندات قدرها اربعون مليوناً او تزيد ، وليستنجدوا بوزارات الخارجية يكتبون
عنق مصر بالاغلال السياسية ، ضماناً لاموالهم ، ثم ليعمد رجالهم الى التاريخ يشوهونه ،
عمداً او جهلاً ، فيرموا هذا الامير العظيم بكل نقيصة تسويغاً لفعلتهم . ألم يقل مركز زتلند
في ترجمته للورد كرومر ان توفيق باشا « اثبت انه بالمقابلة مع سلفه الفضوح كان حاكماً لا بأس به
فلم يكن سفاساً ولا مبدراً ولا لصاً » . وقال لورد ملنز : « ان اسماعيل جمع في نفسه كل صفة
طيبة وسيئة ، لا بد منها لجعله مبدراً امثلاً . كان مترفاً ، شهوانياً ، طمّاحاً ، يحب مظاهر
الابهة ، ومجرداً من المبدأ ، وكان في الوقت نفسه يفيض بالمشروعات العظيمة لتحسين حالة بلاده
المادية » . وقال لورد كرومر : « ويقال بوجه عام ان اسماعيل باشا اضاف مامتوسطة ٧ ملايين جنيه
الى دين مصر كل سنة مدة ثلاث عشرة سنة . وقد بذّر كل المال المقترض الا ١٦ مليون جنيه
انفقت على ترعة السويس »

فهل يرضى التاريخ بهذا الحكم على اسماعيل ؟

هل كان حقيقة مبدراً للمال لنقص في ملكة تدبير المال ؟ هل كان حقيقة طالب لذّة
يقدمها على شؤون الدولة ؟ أليس له من الخصال ومن الآثار ما يردّ عنه هذه الوصيات امام
محكمة التاريخ العليا ؟

أسئلة تنزل في الصميم من تاريخ مصر الحديث . وقد اثبت القاضي كرايتس في كتابه
الذي ظهر حديثاً باللغة الانكليزية بعنوان « اسماعيل : الخديو المفترى عليه » ان هذه
الاقوال تنطوي على جور وافتراء وتشويه للحقيقة . قال في مقدمة كتابه : « ان هذه الصفحات
تحدّ لتفليق تاريخي . انها ترفض ان تنضم الى الجوقة التي يقودها ملنز وكلفن وكرومر ،
فلا تتفق معهم على ان اسماعيل باشا كان مبدراً او طالب لذّة او لصاً ... لقد انقضت خمسون
سنة منذ نفي اسماعيل المفترى عليه . فقد آن الاوان للبحث عن حقيقة ولايته في الوثائق
المعاصرة التي لا يطعن في صحتها . ولو كان هذا الكتاب كتابي بالمعنى الضيق ، لكان يثبت
رأيي فقط ازاء آراء جيش من المؤرخين الكبار ... ولكن الادلة التي اوردها تحدّ لاقوال مؤلفين

ذوي مكانة عالية . انني ارفض ان اقبل اقوالهم واستنتاجاتهم . وانني اقدم مستندات من الوثائق المعاصرة رد ما جاؤا به عن نية حسنة ، ولكن من دون ان يتغلغلوا في صميم الموضوع « والمطلع على كتاب القاضي كرايتس يلمس في كل صفحة من صفحاته انه تغلغل الى صميم الموضوع . فانه استخلص التهم الواردة في كتاب ملنر وزتلند وكرومر واضرابهم . ولكنه لم يغفل ما يناقض اقوالهم في كتب ادون ده ليون الذي كان قنصلاً جنرالاً للولايات المتحدة الاميركية في ذلك العهد وظل مقيماً في مصر بعد اعتزاله لعمله الرسمي . وما كوان ، وقد كان صحافياً بريطانياً وغيرها . بل انه لم يكتف بالكتب المطبوعة والمنشورة ، فعمد باذن خاص من حكومة الولايات المتحدة الاميركية ، حصل عليه بواسطة وزير مصر المفوض في واشنطن ، الى سجلات وزارة الخارجية الاميركية للحصول على صور الرسائل التي تلقتها الوزارة في ذلك العهد من قناصلها في مصر . يضاف الى ذلك ان جلالة الملك ، اصدر امره الكريم ، بان تباح له سجلات مكتبة عابدين الملكية لاستخراج الحقائق من الرسائل المحفوظة فيها

وقد خرج القاضي كرايتس من كل ذلك بصورة منسجمة متسقة النواحي للخدو اسماعيل كان اسماعيل في الثالثة والثلاثين من عمره لما دعي الى تقلد المنصب السامي في هذه البلاد . ورجل في الثالثة والثلاثين ، ليس فتي يتقلب مع كل ريح . ثم انه كان زارعاً بصيراً بشؤون الارض والفلاحين . والزارع محافظ في الغالب . وما اشتهر به من العناية باملاكه وتحسينها ورعاية فلاحيه ، وجهه عند ارتقاء الاريكة الى شؤون البلاد . فقد وصفه ده ليون القنصل الاميركي بانه كان نشيطاً في عمله الى اقصى حدود النشاط . قال : لما كان من مقتضيات الحكم المطبق ان يطلع الرئيس على كل التفصيلات الدقيقة ، فكان محتوماً (على اسماعيل) ان ينهض باكراً في الصباح ، ويقبل على العمل الذي يحبه — وهو تسيير اداة الدولة — ويظل الى ساعات متأخرة من الليل ... اما ما كوان الصحافي البريطاني فيؤيد قول القنصل الاميركي . فانه يلخص خلق الخديو من هذه الناحية بقوله « الدولة هي الخديو » ثم يعمد الى التفصيلات فيقول بعد الاشارة الى اجتماعات الوزراء . — « فن المفاوضات في معاهدة او قرض الى الموافقة على عقد لشراء فحم او آلات ، انه يعرف كل تفصيل من تفصيلات الادارة ولا شيء يفوته من الاعمال المصلحية الا ما كان عادياً يسير من تلقاء نفسه ... وبكلمة من الاسكندرية الى وادي حلفا ... لا يكتفي سموه بالجلوس على الاريكة بل يحكم كذلك »

بل ان القنصل الاميركي قال في تقرير سرّي بعث به الى وزارة الخارجية الاميركية : — ارتقى اسماعيل باشا الاريكة في ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ ، فظهر في قيائه باعماله ، فهماً فادراً للرجال والاعمال ، وقدرة ادارية قلما عرفت في امراء الشرق . ومن ساعة ارتقائه الاريكة ، وقف

نفسه، ونشاطه الذي لا يفتر، على تقدم مصر الداخلي « وتاريخ هذا الكتاب ١٥ سبتمبر سنة ١٨٧٣ اي عشر سنوات بعد تقلد اسماعيل لمنصبه العالي فهل يعقل ان يكون هذا الرجل ، رجلين ، الرجل الذي يقول عنه ملنر وزملاؤه ، انه كان طالب لذة ، مبذراً ، يحب الابهة . والرجل الذي يقول عنه ده ليون وماكون انه كان يبذل نشاطه الذي لا يفتر في سبيل تقدم مصر ، وتدير شؤونها ، نحو ١٤ ساعة كل يوم و ٣٠٠ يوم كل سنة ؟

يتهم اسماعيل ، بانه زاد دين مصر ، نحو ٩٠ مليون جنيه ، وان هذا المال — الآ ١٦ مليون جنيه منها انفقت على قنال السويس — بذّر تبذيراً
هذه هي المشكلة التي يعرض لها القاضي كرايتس بكل تفصيل ، ويخرج منها بان ولاية اسماعيل ، لها ميزانيتان اما الاولى فالية . واما الثانية فأدبية

وقد اثبت اولاً تضارب الاقوال في مقدار الدين الذي اضافهُ اسماعيل الى دين مصر . وفضح في ناحية من النواحي افعال المرائين الدوليين الذين كانوا يعقدون له قرصاً بمبلغ معين ، وبفائدة عالية ، وكيف حتم على الوالي اصدار السندات اللازمة ، ثم هم لم يدفعوا له ، الآ جزءاً من مبالغ القرض « في الصفحة ٢٩٤ من كتاب القاضي كرايتس بين ان الخديوي اسماعيل اقترض من المالكين بين ١٨٧٠ — ١٨٧٩ مبلغ ٢٣٨٠٢٠٠٠ ر ٢٣ جنيه اضطر ان يصدر بها سندات بقيمة ٤٠٥٠٠٠٠ ر ٤٠ جنيه . ويتهم اسماعيل بانه لاسرافه اضطر ان يبيع اسهمه في شركة ترعة السويس . ولكن ينسى من يتهمه بذلك انه احتفظ ، عن فهم ، بحصة مصر في ارباح الشركة وهي ١٥ في المائة ، وقد بلغت قيمة هذه الحصة سنة ١٩٣٢ ما يزيد على مليون جنيه وان هذه الحصة بيعت بعد تنازله وخروجه من البلاد . ثم ينسى كذلك ان اسماعيل استرد ما كان قد منح للشركة من اراضي مصر (نحو ٦٠ الف هكتار) يقدر ثمنها باضعاف ذلك المبلغ (١٢٠٠٠٠ ر ١٢٠٠٠ جنيه) الذي اضطر الى دفعه تعويضاً نزولاً على تحكيم نبوليون الثالث

اما الميزانية الادبية فيجب ان نذكر فيما يتعلق بالترعة انه الغى السخرة في حفرها، وكان معتمد الشركة عليها بما دس في عقد الامتياز الذي منح لدلسبس . ومنع الشركة من احتلال منطقة من ارض مصر باختيار واليها السابق . ثم انه فتح السودان لاحقاً بالغزو والفتح، ورسائله الى بايكر وغوردن تشهد بذلك ، بل رغبة في محاربة تجارة الرقيق ، واستكشاف مجاهل القارة السوداء ، وتوسيع آفاق العلم . وغنم لمصر لقباً مميّزاً لوالها ، واستقلالاً تاماً لها لولا الجزية للباب العالي . ولو انه اراد ان يغنم ذلك بحرب لا تفق في الحرب اضعاف ما انفق في السلم ، اذا صرفنا النظر عن دماء الرجال التي حقنها . وكل هذه اعمال لا نستطيع ان نقدرها بالمال فلا يمكن ان تظهر في موازنة مالية

اما نقد القاضي كرايتس لتقرير كايث ، وبيان ما فيه من الاضطراب ، واقامة الدليل على ان اللجنة التي وضعتهُ لم تفهم حالة البلاد فهماً صحيحاً حينئذٍ فمن ادل فصول الكتاب على ما عانهُ المؤلف من مشاق البحث

والخلاصة ان كرايتس لا ينكر ان اسماعيل انفق مالا ، ولكنه ينكر بشدة انه بذره تبذيراً بل يقيم الدليل على ان اسماعيل لشدة فطنته كان يرى ابعده مما يرى معاصروه

ولكن الامر الذي لا ريب فيه ، ان اسماعيل باشا انفق مالا اقترضهُ من المراهين الدوليين وانه انفقهُ على ما اثبت المؤلف في سبيل اصلاح البلاد وترقيتها واستقلالها عن الدولة العثمانية .

ولكن هذه القروض كانت سبيلاً سلكه الطامعون الى تكبيل مصر بالاغلال السياسية التي تحمل اثقالها الآن

ف.

صناجة الرياشي

الجزء الاول : اناشيد الارواح ، بقلم قبلان الرياشي ، كتب مقدمته الاستاذ امين نخله — ٨٥ صحيفة من القطع الكبير — طبع بمطبعة الكشاف ببيروت على رسوم رمزية من ريشة مصطفى فروخ

نعم بين دالية أبي العلاء ورباعيات الزهاوي ومواكب جبران وصناجة الرياشي — كما يقول الاستاذ امين نخله — نسبٌ وعرقٌ متين ، وان كل ذلك غراس عجيب طلع في المعرفة وأورق في نيسابور فسكاً نبت في دهليز أبي العلاء ومال على بساط الخيام بالظل والزهر ... ولكن ما أحسنهُ ابو العلاء في الحياة ، وما لمسهُ الخيام منها ، وما عرفهُ جبران والزهاوي ، وما شربه فوزي المعلوف ، ولحهُ الرياشي إن هو إلا احساسٌ ذاتيٌّ يطغى على النفس فيذيقها المرارة ويجرّعها السم ويكويها بالنار فتضطر الى تبريد نارها بأنفاسها فتتهف من الاعماق تلك الصيحات الانسانية الموجهة ، ولكل صيحة حنجرتها ، ولكل حنجرة اوتارها ، فتصدر الانعام مختلفة وان كانت اللوعة التي تثيرها متشابهة الفصول

على ان هناك تشابهاً عظيماً تلسمهُ اول وهلة عند اطلاعك على صناجة الرياشي بينها وبين ملحمة المرحوم فوزي المعلوف « على بساط الريح » ... نعم هناك تشابهٌ عظيم في كثير من الآراء والافكار والغاية حدا بالشاعر الرياشي الى ان يتمشى في حدود التشابه الى اقصاها حتى بلغ طريقة نظام الطبع والرسوم الرامزة الى فكرة القصيدة

وقبلان الرياشي ، وان كنت لم أقرأ له قبل «الصناجة» شيئاً ، ألحهُ من خلال اناشيده التي يضرها على صناجته شاعراً انسانياً يحاول الوصول الى أبعد آفاق الحياة ، بل يريد ان يتجاوز هذه الآفاق الى ما وراءها إلا أن اشياء تحول بينه وبين ذلك ، واطن انه لو توفر على استكمالها حتى تتوافر لديه لفاز بما يؤمل ، فهو قليل الاهتمام بالصياغة والوزن الشعري ، يحاول الاحتذاء ، وجدير به ان يهتم بوزنه وصياغته وان يترك شاعريته في أفق ليس فيه مرايا تعكس على شعره

وجوه آخرين ، ولا يلبس شاعريته أثواباً لشاعريات آخرين

فمن سقطاته في الوزن - وفي الصناجة من ذلك كثير - قوله :

وبعد قليل أنى كاهنٌ يضيء الشموعَ ويذكي البخورا
ويتلو الصلاة على نعشه وهو جاثٍ يناجي الإله الغفورا
وقوله : وما كان في لجمه شبعٌ ولا كان قتل الضعيف اضطرارا
وقوله : نظرت ربّات الجمال إليه يتغنى بحبها ويحمده

وكان يصحُّ ان تكون كلمة «جثوًّا» بدل «وهو جاثٍ» وكلمة «مشيع» بدلاً من «شبع» و «رَبَّةٌ» عوضاً عن «ربّات» ليستقيم له الوزن ، ولعلَّ هذه وما يشابهها أخطاءً مطبعية يتداركها الشاعر في طبعة ثانية

ولاحظتُ في الصناجة في قصيدة «رمز الأمومة» تفككاً بين المطلع والقصيدة وان لا رابطة بينهما وكان يجب ان يربط الشاعر بينهما كما فعل في غير هذا الموضع، ولاحظت تفككاً في خيال الشاعر يجعل الصورة غير متفقة الألوان ، متباعدة الظلال ، جامعة لمراءٍ متنافرة مثل قوله في هذه القصيدة ايضاً :

فما (ابتسمت) أمُّهُ للولاد وألوت عليه تَهزُّ السريرا
وتوسعه قُبلاً حُلوةً تسيل حناناً وجباً طهورا
وتنهله فوق عذب الحليب من (البسمات) شراباً غيرا

فكيف لا تبسم الأم وهي تبسم ! ؟ وقوله في قصيدة «الشاعر والمرأة» :

آدمُ جاء من تراب ولكن جئت من لحم أو دم مسفوك

ثم قوله بعد ذلك في نفس القصيدة :

انت من طينة الملائك كُوتِ ولله كنت عرشاً أنيلا

فانه رغم اختلال الوزن في البيت الاول فان في هذين البيتين تنافراً وإلاً فكيف لا تكون المرأة مخلوقة من التراب كآدم في البيت الاول وهي مخلوقة في البيت الثاني من طينة الملائكة وكان أجدر به ان يقول : «انت من عنصر الملائك كُوتِ» أما الشطرة الثانية فان معناها غير لائق !

على اني اعجب في الرياشي بروحه واعجب بخياله ، واعجب اكثر من ذلك برغبته في التحرر ولكنني ادعوه قبل ان يتوغل في آفاق الحرية الى ان يتزوّد كثيراً حتى لا تدعوه قلة الزاد الى السقوط من عرشه ! ولعله في الجزء الثاني من صناجته لا يدعونا الى مطاوعة الاستاذ امين نخله في الاكتفاء بما في الصناجة بهذا العطش الميمون حتى اذا طرح ابريق الخيّم دون ري عاد الينا بما في الينابيع من عذوبة وبما في اعماقها من اسرار حسن كامل الصيرفي

ان الفضل في الاط
بداية القرن التاسع عشر
وقد دخل الاسلا
المادلي او على ايدي تاي
وبعد ذلك تغلغت الس
على ان الاسلام لا

من يخالط المسلمين وي
٧١٨٠٠٠ والفتيشيو
تقواهم اقرب الى التظا
الاسلام بل يعززون
ومن ذلك ان المندو
مقام عثمان فوديه حبي
والمسيو مارتي

في كل من اقسامها مع
ومقامات ومدارس و

قام بهذه الترجمة
هذه الترجمة فوجدتها
الطلاوة والامانة في ال
وعلى هذا فلا اظا

النهوض بترجمته الا
والتراكيب ويظهر مع
مستنداً في ذلك الى
جلابة وتشاييه خلا

الاسلام والقبائل في مستعمرة نيجاريا

L'Islam et les Tribus dans la Colonie du Niger
Editions Geuthner, Paris.

ان الفضل في الاطلاع على جغرافية نيجاريا راجع الى رواد الافرنج الذين رحلوا اليها منذ بداية القرن التاسع عشر ، لأن ما صنفته العرب عنها بات مجهولاً أو كاد وقد دخل الاسلام تلك البلاد عن طريق السودان على يد الشريف محمد عبد الكريم المادلي او على ايدي تابعيه ومريديه ، وعن طريق المغرب مباشرة بواسطة تجار طرابلس . وبعد ذلك تغلغت السنوسية الى تلك البقعة في نهاية القرن التاسع عشر على ان الاسلام لا يعتنقه جميع اهل نيجاريا . ففيهم طائفة كبيرة تدين بالفتيشية . ومنها من يخالط المسلمين ويصاهرهم ومنها من ينقبض عنهم ويقاطعهم . والمسلمون يبلغ عددهم ٧١٨٠٠٠ والفتيشيون ٢١٢٠٠٠ . واشد المسلمين تحمساً هم الطوارق الملتزمون ، ولكن تقواهم اقرب الى التظاهر . ومما يحسن ان ينقل هنا ان الانكايز المحتلين تلك البقعة لا يحاربون الاسلام بل يعززونهُ . ويقال ان كبار الانكايز يشتركون مع المسلمين في بعض عباداتهم ، ومن ذلك ان المندوب السامي في (سو كوتو) يصاحب امام المسلمين الى مقام هنالك يدعى مقام عثمان فوديه حيث تقام الصلاة .

والمسيو مارتى Marty صاحب هذا الكتاب يذكر ذلك كله ثم يحدد بلاد النيجاريا ويبحث في كل من اقسامها مع سرد خصائصها وذكر اعيانها وعرض مظاهرها الدينية بين جوامع ومقامات ومدارس ومكاتب

ترجمة حديثة للقرآن

Le Coran. Editions Geuthner, Paris

قام بهذه الترجمة اثنان ممن يُعهد اليهم في الترجمة الرسمية في بلاد المغرب . وقد تصفحت هذه الترجمة فوجدتها غير وافية على نحو غيرها من التراجم الافرنجية وانها ليعوز جانباً منها الطلاوة والامانة في النقل والدقة والبراعة في التعبير . وعلى هذا فلا اظن القرآن ينقله الى اللغات الاعجمية واحد او اثنان . وانما لا يقوى على النهوض بترجمته الا فريق من اللغويين والفقهاء والشعراء والكتّاب فلغوي يعنى بالانفاذ والتراكيب ويظهر معناها الصحيح بين حقيقي ومجازي ، وفقهه يؤول اللفظ ويشرح التركيب مستنداً في ذلك الى التفاسير القويمة ، وشاعر يفتن الى ما ينتشر في آيات القرآن من صور جلابة وتشايبه خلاصة ، وكاتب يحكم العربية ويحذق اللغة المنقول اليها فيفرغ الآيات في قالب

« شبع »
مطبعة

بدة وان
تفككا
متفارة

كيف لا
من طينة
ثانية فان

التحرر
الزاد
الاستاذ
تام دون
صير في

مقابر الك

تأليف

يقول الشاعر

الهوى

والهوى

يشرب

لم يكن

ايها

أختم

يا حبيبي

أنا

فتكون هذا

شعرهم على البكاء

بين الادباء عن

الرياحاني في كتاب

ويهب بالشعراء

ونحن من قبل

للرأي او للهوى

واخطأ العدل

الشعراء الخلف

البشر لهم ما لهم

يؤثر فيه تقلب

هذا المقياس في ذا

لنفسه لا للناس

مفتقرون اليه ، او

حاجة . وهذا مثل

ونحن من قبل

ويتوجع من آلام

رائع واسلوب سليم . على انه لا يشك احد انه مهما صنع اولئك القوم فلن يصلوا الى شيء من اعجاز القرآن . ولكنهم يستطيعون ان ينقلوه الى اللغات الاعجمية في شكل مقبول لا اعوجاج فيه من حيث المعنى ولا اختلال من حيث المبنى ومما لا يخفى على أحد ان مسألة ترجمة القرآن وقد اثارت ضجة في مصر لبضعة شهور مضت . فقال بعضهم بها وطعن غيرهم فيها فاشتد « النقاش » بين فضيلة الشيخ التفتازاني والاستاذ فريد وجدي . وليس هنا مجال هذا البحث

ب . ف .

سيرة حياتي

كتاب الفه الأديب توفيق ضعون صاحب مجلة الدليل في سانبولو البرازيل . يتضمن هذا الكتاب اهم ما جرى لمؤلفه من الحوادث في سورية ومصر والسودان وسواها من البلدان في قالب روائي فكاهي ، نشره مؤلفه عند بلوغه الخمسين من العمر (لانه ولد سنة ١٨٨٢ في سورية) قرأت هذا الكتاب على اثر مطالعتي اربعة كتب من نوعه . الاول مذكرات جمال باشا . والثاني مذكرات هندنبرغ . والثالث مذكرات لودندورف . والرابع مذكرات مسز اسكويث . طبعاً ان وقع الكتاب في النفس يتوقف على امرين اولهما خطر حوادثه وثانياً حسن تأليفه . واذا كان هنالك سبب ثالث فهو علاقته بالمؤلف . امتاز كتاب ضعون هذا بالعامل الثالث ، مع ان الثاني لا بأس به . عرفت هذا المؤلف في سانبولو وأؤكد انه لين العربية ، حسن الطوية ، متواضع ، مخلص . لذلك كانت مطالعتي كتابه مقرونة بشيء من التأخي . فكانه الى جانبي محدثي

اما عدا ذلك فالكتاب رشيق العبارة ، وينطوي على قصص ونوادر شائقة ، مقرونة بنكات مستحبة في بعض الاحيان . وهو عندي خير من رواية مختلفة بعيدة عن الابداع ، او من ترجمة رجل عاش في غير عصرنا ومصرنا . وقد تكون مطالعة هذا الكتاب لذيدة بنوع خاص للذين عاشوا وتوفيق ضعون اكثر مني لانه اتى فيه على ذكر حوادث تتعلق بهم ، او انهم عرفوها من قبل . وعلى كل حال فهذا الكتاب يضع امام القارئ

اولاً : صورة شاب عاش في اواخر القرن التاسع عشر واول هذا القرن في البلاد العربية والمهجر

ثانياً : صورة للحالة الروحية في سورية ومصر والسودان

ثالثاً : يكشف عن الاخلاق واحوال الهيئة الاجتماعية في ميدان واسع النطاق

رابعاً : يعلن للملاي نفس اديب جميلة فهو سفر نفيس جدير بالمطالعة . ومطبوع طبعاً حسناً في نحو ٤٠٠ صفحة ، متين الغلاف ، حسن الترتيب . فأثني على حضرة المؤلف وأحييه تحية الآخاء

حنا خباز

مصر

مقابر الكنب

١ — أنتم الشعراء

تأليف أمين الريحاني — مكتبة الكشف ومطبعها — بيروت سنة ١٩٣٣

يقول الشاعر المجيد بشارة الخوري

الهوى والشباب والامل المنشود توحى فتبعث الشعراء حياً
 والهوى والشباب والامل المنشود ضاعت جميعها من يديا
 يشرب الكأس ذو الحجا ويبقي لبغدي في قرارة الكأس شيئاً
 لم يكن لي غداً فأفرغت كأسى ثم حطمتها على شفتيها
 ايها الخافق المعضب يا قلبي نحت الدموع من مقلتيها
 أختتم عليّ إرسال دمعي كلما لاح بارق في محيا
 يا حبيبي لأجل عينيك ما ألتقي وما أول الوشا عليها
 أنا الماشق الوحيد لتلقي تبعات الهوى على كفتيها

فتكون هذه الايات الرقيقة سبباً في إثارة الريحاني على الشعراء المعاصرين الذين يحبسون شعرهم على البكاء والنحيب والحسرة والام وإظهار الضعف عن تحمل الهوى . ويكثر الجدل بين الادباء عن هذا الشعر الباكي الضعيف ويتقسمون الرأي بين راض ومستنكر . ويسخر الريحاني في كتابه هذا من الشعر الذي يحبسه أهله على الضعف والتخنث والبكاء والتقليد ويهيب بالشعراء الى القوة والفتوة والرجولة والتجديد

ونحن من قبلنا لا نحب أن نجادل فيما لا يلدُ الجدل فيه الا العناد والكبرياء والتعصب للرأي او للهوى ولا نبالي ان يقول الناس أصبنا او أخطأنا الا ان يكون ميزان الصواب والخطأ العدل والحق والاخلاص والقسط الذي لا يرجح بالناقص ولا يشيل بالوافي

الشعراء الخالص الذين لا يطلبون بشعرهم شهرة ولا صيتاً ولا دعوى مستطيلة هم ناس من البشر لهم ما لهم وعليهم ما عليهم الا أنهم من الامم بمنزلة مقياس الحرارة (الترمومتر) الذي يؤثر فيه تقلب الجو تأثيراً ظاهراً بينما يثبت العدد فلا موضع فيه للجدل الا ان يكون هذا المقياس في ذاته محتلاً فاسداً لا يدل على حقيقة الجو الذي يحيط به وبذلك يصبح مقياساً لنفسه لا للناس . والحقيقة لا تعرف الا من المقياس الصحيح الذي لا خلل فيه فالناس جميعاً مفتقرون اليه ، اما المقياس الفاسد فلا يرجى له خير الا ان يحطم او يهمل وما بأحد اليه حاجة . وهذا مثل الشعراء في كل أمة من الامم

ونحن من قبلنا أيضاً لا نستنكر على شاعر ان يرق ثم يرق حتى يضعف ويبكي ويئن ويتوجع من آلام الهوى وتباريح الصباية ما كان ذلك الشاعر صادقاً لا يتباكى محبباً لا يتصنع

والا الى شيء
مقبول لاضعة شهر
التفتازاني
ف .بتضمن هذا
البلدان في
١٨٨٢ في
كرات جمال
كرات مسر
ادته وثانياً
ضعون هذا
وكذا انه لين
شيء منة ، مقرونة
داع ، او من
بنوع خاص
م ، او انهم

بية والمهجر

ق
بوع طبعاً
رة المؤلف
خباز

لان الشاعر — كما سلف — رجل من الناس ربما كان له من اسباب الهوى ما يدنفه ويبكيه ، وهذه الاسباب تكون له جواً يحيط به خاصة فهو يتأثر به على كل حال . الا أن هذا الشاعر نفسه رجل من أمة يكون لها من اسباب القوة والسيطرة والعزة ما يكون لها او رجل من امة بها من الضعف والفتور والذل والاستعباد والمهانة ما تضرب به الضربات الشداد بمعاول الظلم والجبرية والعدوان والشر الاستعماري القبيح الدنيء . فلا بد للشاعر من هذه الامة ان يكون لسان الامة الذي يتكلم بأوجاعها وآلامها وان يكون من جهة اخرى قائداً من القواد يقف في قلب الجموع المسكينه خطيباً تنفذ كلماته الى القلوب لتحركها وتنعشها وترمي فيها بالحياة والشباب والنشاط وبذل النفس وغلبة الرأي على الشهوات والاهواء . وان لا يكل ساعة عن الجهاد والدعوة الى الطريق السوي . فاذا خلا الشاعر قليلاً قليلاً الى نفسه وغلبته الحياة الفردية والاهواء الخاصة فليقل ما شاء بمقدار لا يُلين منه ولا يضعف من قوى جنده ، وليستجمل نفسه بما يجعله أقدر على الجهاد حين يعود الى الميدان بين المتألمين والمحطمين والبائسين مما يصيبهم من وحوش الاستعمار والعدوان التي توسعهم نهشاً وتمزيقاً وافتراساً هذه سبيل الشعر لا متنا العربية في أمرنا هذا من أيامنا هذه . أما ان يأخذ احداً شعر الشاعر العربي فلا يجد فيه الا الضعف والتخنث والبكاء والذلة والضرعة والحب المريض . فذلك امر لا تقبله النفوس العزيزة التي تستشعر العزة والنخوة والمروءة ، واما الفتنة التي فتن بها الناس من قولهم الشعر العالمي والشعر الانساني والشعر ... اللهم اني اعوذ بك من سوء المنقلب فهذا كلام لا معنى له في حياة الامم الضعيفة المظلومة التي لا قائد لها ولا امام .. أيعتبي العصفور الضعيف للثعبان الفاتك ليسجره بألحانه وتغريده . ألا ان حلم العصفور أشهى الى الثعبان من لحنه ... وما في ذلك الا سوء التقدير وأفن الرأي وقلة الحيلة

ان الارض العربية تطالب شعرائها وأدباءها وكتّابها وأصحاب الرأي فيها ان يتخذوا ألفاظهم في شعرهم وأدبهم وكتابتهم وآرائهم من النار والحديد والبراكين والدوي والرعود المجالجلة فعسى ان يهب هؤلاء النواجم من سباتهم وان يرجعوا عن غفلتهم ويعلموا ان الامر جد وان الحياة صراع وان عدة هذا الصراع هو الايمان والصبر وبذل النفس وكبح الشهوات واطراح الجبن والخور فاذا خرجنا من الميدان بالنصر والظفر فلنطلب نفع الانسانية في كل بقعة من بقاع الارض ولنمخ آثار المظالم والعدوان والفجور والبغي ولنغن ما وسعتنا الالحان وما واتتنا الاغاريذ

وسنعود قريباً الى التوسع في هذا القول حين نبتدي — بعون الله — كلامنا عن الشعر الوطني في هذه المجلة يوم نجد من شعرائنا اقبالا على ارسال شعرهم الوطني كما أمّلنا ذلك في النشرة التي كتبناها في اول مقتطف نوفمبر الماضي والله المستعان

ظهر هذا التاريخ أنغض العصفور ما بين سنة ٢٠ م إني اخذت هذا الرجل اوزارها وأقرأ هذا الكتاب الدولة الطولونية وقبل ان نبدأ يعتمد مؤرخ دعاية العقل . والعقل هو المصنوع من اجزائها وعناها تاريخ اعرج فاذا وقيل من الرواية ولا يخرج التاريخ المحشودة المصححة لك من بعض الروايات هذا فاذا اعاد يكون تاريخه ؟ اد وتأويل ذلك تقول مقدم امامي تاماً: فاراني حقيقة ، في احضار ولا اسلامية — الحقبة التي تستمد مؤرخي العرب جميعاً وسلم فقال « ... »

٢ — تاريخ مصر الاسلامية

تأليف الياس الابوي — مطبعة الرفائب بالقاهرة سنة ١٣٥٢

ظهر هذا الكتاب ، وكثر الحديث عنه فثارت الهمة لقراءته والنظر فيه وبخاصة لانه تاريخ أغمض العصور التي مرت بمصر وذلك لضياغ أكثر الكتب المؤلفة في هذا التاريخ الواقع ما بين سنة ٢٠ من الهجرة الى سنة ٢٥٤ منها . واخالف ما درجت عليه في الكتابة وأقول إنني اخذت هذا الكتاب فقرأته أحسبه شيئاً فاذا هو ليس بشيء ، وأقول هذه الكلمة وانا احمل اوزارها واثقالها وما يشاء القاريء من اوزار واثقال . فانا — يا سيدي القاريء — لم أقرأ هذا الكتاب الاً وقد عقدت النية على انه تاريخ مصر من ايام الفتح العربي إلى اول عهد الدولة الطولونية لا على انه او هام في تاريخ مصر من الفتح العربي الى عهد الدولة الطولونية وقبل ان نبدأ ينبغي لنا ان نعرف ما هو التاريخ وكيف يكتب؟

يعتمد مؤرخ كل امة من الامم على دعامتين ، فإحدى الدعامتين هي دعامة الرواية والاخرى دعامة العقل . والرواية هي مادة التاريخ الذي لا يمكن ان يسمى تاريخاً الاً باجماعها وحشدها . والعقل هو المصنع الذي تنقى فيه هذه المادة ونجلي ويؤلف بين المتقارب ويفرق بين المتباين من اجزائها وعناصرها . فاذا اعتمد المؤرخ على الرواية دون العقل كان ما يكتبه تاريخاً الاً انه تاريخ اعرج فاذا اعتمد على العقل دون الرواية لم يكن ما يكتبه تاريخاً فان اعتمد على العقل وقليل من الرواية كان ما يكتبه نوعاً من الكلام لا يسمى تاريخاً بل يسمى او هاماً في التاريخ ولا يخرج التاريخ الصحيح الاً من مصانع العقل القوي المشرق الذي اجتمعت له المادة التاريخية المحشودة المصححة . ولا اظن ان مؤرخاً مهما بلغ من قوة العقل واشراقه يستطيع ان يولد لك من بعض الروايات المنسوبة الى التاريخ تاريخ امة قد ملأت الارض علماً وحضارة وادباً . هذا فاذا اعتمد المؤرخ على الهوى دون العقل مع قلة الرواية وضعفها وتهالكها فكيف يكون تاريخه ؟ اذا أردت ان تعرف ذلك فاقراً هذا الكتاب المسمى « تاريخ مصر الاسلامية » وتأويل ذلك

تقول مقدمة الكتاب « وكنت كلما تصور تمكّني (كذا) من انجاز فكريتي ، واتخيل عملي امامي تاماً : فاراني اصبحت اول مؤرخ مصري جدير بهذا الاسم (كذا) وأراني قد الشأت ، حقيقة ، في احضان قومي روحاً مصرية بحة — لا عربية ولا تركية ، لا مسيحية ولا يهودية ولا اسلامية — روحاً مصرية متشبعة بالمبادئ القومية العصرية ، ومنقفة بالثقافة العصرية الحقة التي تستمد منها الحضارة العصرية قوتها وجمالها الخ » وذكر كلاماً رمى فيه مؤرخي العرب جميعاً بالجهل والتدليس وغلبة الهوى حين كتبوا سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال « ... جعلوا فيما كتبوه من سير للنبي الغلبة للخرافة على الحقيقة ، مقلدين في

ويبكيه ،
هذا الشاعر
رجل من
داد بمحاول
هذه الامة
دأ من
نهما وتري
ن لا يكل
ه وغلبته
ي جنده ،
المحطمين
وافتراساً
حدنا شعر
المريض .
فتنة التي
ت من سوء
ولا امام ..
ور أشهى
ن يتخذوا
والرعود
ان الامر
الشهوات
نية في كل
نا الالحان
عن الشعر
ذلك في

ذلك المتقدمين من مؤلفي المصريين والكلدانيين واليونان والرومان (تأمل) الذين رووا حوادث تأسيس الدولة المصرية والكلدانية واليونانية والرومانية . . . الخ » واستعجب القارئ في نقل هذه الجملة ايضاً : « واني اذا كنت - على عكس ذلك - رأيت نفسي مضطراً احياناً الى حرق ما قد قدسته زمناً طويلاً فيما مضى ، فذلك لاني انما رميت بكتابي الى احياء الشعور القومي المصري البحت في نفوس قرائي ، كما قدمت . . . لا لاني ارغب في جرح شعور احد او احساس احد او فكر احد » ولعله قد سقط من الاصل « بل اريد ان اجرح شعور التاريخ واحساس التاريخ وفكر التاريخ »

لا يدري القارئ ماذا افاسي من الالم المبرح في نقد هذا الكتاب وما ذلك الا لاني اذا كتبت عنه فاما اكتب عن مؤلفه وقد اصبحت من مادة التاريخ فأنف ان انازل من لا يدافع عن نفسه ، ولأن الكتاب في اكثره افساداً للتاريخ وتدليس عليه ولأن مواضع النقد فيه كثيرة لا ادري ماذا آخذ منها او أدع في هذه الورقات . ولكني أستعين الله على ما ألقى من الالم في الكتابة عن هذا المؤلف

لم يعتمد كاتبنا في تاريخه الا على كتب قلائل ليست شيئاً في المكتبة العربية الزاخرة بكتب التاريخ ، وهي كتاب المقرئ وابن اياس وابن وصيف شاه وتاريخ التمدن الاسلامي لزيدان والسكندي وابن الشحنة في روضة المناظر وقليل غير ذلك من كتب الادب . هذا فلو نظرت الى كتاب (فتح العرب لمصر) الذي ألفه الاعرجي الدكتور (بتلر) الانكليزي لوجدته يعتمد في تاريخه حقيقتاً من الزمن لا تبلغ خمس سنوات على عشرين ومائة كتاب في التاريخ ثلثها من كتب التاريخ العربي والبقية من كتب الامم في التاريخ . فلو ان (بتلر) اراد ان يكتب تاريخ مصر الاسلامية من سنة ٢٠ لسنة ٢٥٤ لاعتمد على اضعاف هذا من كتب التاريخ . وذلك لان التاريخ لا يكون شيئاً الا اذا حشدت له المادة العظيمة ونظرت فيها بالنظر الصائب ورب كلمة شاردة في ذيل ورقة تفتح للمؤرخ باباً من الفهم يجعل الغامض واضحاً ببساً والمتباعد قريباً دانياً وتصل بين حافتي هوة في التاريخ فتمكن المؤرخ من اجتيازها

هذا امر المادة التاريخية نفسها ، فلننظر ماذا فعل المؤرخ بالمادة التاريخية القليلة التي اجتمعت له حين الف كتابه . عميد المؤلف الى هذه المادة القليلة التي لا يستقيم بها تاريخ فقرأها وأراد ان يفهمها فأخطأ في كثير وأصاب في قليل وقرئ ذلك في نفسه ، ثم اول بعض هذه المادة تأويلاً لا يقبله عقل ولا تاريخ حتى يستطيع - كما يقول - « ان ينشئ حقيقة في احضان قومه روحاً مصرية بحتة - لا عربية ولا تركية ، لا يهودية ولا مسيحية ولا اسلامية - » فلذلك سخر بالعرب وساق الرواية العربية القوية في اسلوب من السخر بالعرب والازراء عليهم والغض منهم ومن افذاذ رجال الفتح . وأنت اذا قرأت الفصل الذي

سماه « كيف فتح العرب رضي الله عنه حين بعث اسود ضخماً من الرحل غيره يكلمني ، فقالوا هم قوله ورأيه » فيقول « ولسنا ندري ما ولا نعلم الا بمن شهد به قومه ، بل وانه من الظلمات الى النور اعلم العالمين بل قالوا لا يقدرون انفسهم قد كان فيهم من يتصدر مؤرخ لمصر جدير به اذا حرفوا العلم او التواضع والكتاب كله على هذا كل هذا الا انشاء ربه كل انسان ان يطلبها منهما في مصر فتراه يحجو ذكر الاسلام - تحته ... « تاريخ مصر » ولنفتح في الكتاب المؤلف في رأسها ان بالكتابة » وأطال الكتاب - يعني العرب - تدوين ، بل اهمال قرنه الاول وبعض بعد ان احجم ابو بكر فيه عهداً » ... الا ولا ندري هل

سماء «كيف فتح العرب مصر» لم تجد فيه حقيقة غير هذه. فهو حين يذكر «عبادة بن الصامت» رضي الله عنه حين بعثه عمرو على رأس النفر العشرة الى المقوقس فتقدم عبادة وكان عبادة اسود ضخماً من الرجال فهابه المقوقس لسواده «وقال: نَحْنُوا عني هذا الاسود وقدموا غيره يكلمني، فقالوا جميعاً، انه افضلنا رأياً وعلماً وخيرنا والمقدم علينا وانما نرجع جميعاً الى قوله ورأيه» فيقول المؤلف تعقيباً على هذا

«ولسنا ندري من اين اتى عبادة بن الصامت العلم !!»... ونحن والله لاندرى ايضاً، ولا نعلم الا ممن شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له من الرأي ما أجله به قومه، بلى وانه رجل من افذاذ الامة التي اشرقت بنورها على الارض فأخرجت الناس من الظلمات الى النور. ولسنا ندري لماذا ينكر صاحبنا العلم على عبادة، وهم لم يقولوا انه اعلم العالمين بل قالوا هو افضلنا رأياً وعلماً وهم ادري بأنفسهم منابها وقد كانوا رحمهم الله يقدرون انفسهم قدرها فيقدم الرجل الشريف العبد الحبشي العالم على نفسه واهله، وما كان فيهم من يتصدر ليقول عن نفسه انه اكبر عالم او اتقى رجل او افضل مخلوق او اول مؤرخ لمصر جدير بهذا الاسم. وقد اطلت ليعلم القارئ كيف يطمس الهوى على قلوب الناس اذا حرفوا العلم او التارخ بأعنته، والهوى كما قال ابن عباس رضي الله عنه — إله معبود... والكتاب كله على هذا النمط من الازراء على العرب والعبث بالاسلام، وما يريد المؤلف من كل هذا الا انشاء روح مصرية لا عربية ولا اسلامية كما يزعم لا تقرير الحقيقة التي يجب على كل انسان ان يطلبها أنى كانت، والمؤلف نفسه في حيرة من العرب والاسلام وتغلغل كل منهما في مصر فتراه احياناً يدور حول نفسه يريغ المخرج ولا يخرج حتى انه لم يستطع ان يحو ذكر الاسلام — والعرب — فيما سمي به كتابه فألقى عليه هذا العنوان الذي يتبرأ مما تحته... «تارخ مصر الاسلامية»

ولنفتح في الكتاب اي صفحة يكون من نصيبها التزيق، بسم الله فهذه ص ١٨٠ يقول المؤلف في رأسها ان ابن عباس روى عن النبي صلى الله عليه وسلم «انما ضل من كان قبلكم بالكتابة» وأطال الكلام بعد ذلك على هذا الحديث الذي لا شك في وضعه حتى قال «وأهملوا — يعني العرب — تدوين كل ما جادت به قرائهم في بابي الشعر والخطابة ذاتها لتفضيلهم الحفظ على التدوين، بل أهملوا تدوين العلم الانساني البحت عينه — على قلته — (كذا وتأمل) وقضوا قرنهم الاول وبعض الثاني (كذا قال المؤلف) وهم يتناقضونه بالتلقين، ولم يدونوا القرآن نفسه بعد ان احجم ابو بكر مدة عن ذلك قائلاً «كيف افعلى امرأ لم يفعل رسول الله، ولم يعهد الينا فيه عهداً»... الا لما خافوا ان تذهب الحروب والفتوحات بحفظه فيضيع» انتهى ولا ندري هل يعلم المؤلف أن من الصحابة ناساً يسمون «كتّاب الوحي» كانوا يكتبون

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوحى من القرآن وان الرسول صلى الله عليه وسلم قد فادى أسرى يوم بدر فكان شرط من لامال عنده ان يعلم عشرة من الغلمان الكتابة قالوا فيومئذ تعلم الكتابة زيد بن ثابت كاتب الوحي وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر عبد الله بن سعيد بن العاص ان يعلم الناس الكتابة بالمدينة وانه قد ورد في الاستيعاب لابن عبد البر والاصابة لابن حجر ان الشفاء ام سليمان بن أبي حمزة — علمت حفصة (وهي زوجة) الكتابة وقال لها « علمي حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة ». وان القرآن كان مكتوباً جميعه على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كتبه له كتاب الوحي وكتبه لنفسه من كان يحسن يكتب من الصحابة وهم كثير ، وان قول أبي بكر « أفعل امرأ لم يفعله رسول الله » انما هو عن جمعه بين دفتين أعني في كتاب او مجلة كما يقولون وليس ذلك لان ابا بكر كان يعاف الكتابة والتدوين . وتأويل ذلك ان ابا بكر لما عافت نفسه ما قال به من جمع القرآن دعا زيد بن ثابت وقال له (زويه من حديث زيد بن ثابت) « ان هذا — يعني عمر — قد دعاني الى امر فأبيت عليه وأنت كاتب الوحي فان تكن معي اتبعكما وان توافقي لا افعل فاقتص أبو بكر قول عمر وعمر ساكت ، فنقرت من ذلك وقلت يفعل ما لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان قال عمر كلمة : وما عليكما لو فعلتما ذلك ؟ فذهبنا ننظر فقلنا لا شيء والله ما علينا في ذلك شيء قال زيد فأمر ابو بكر فكتبته من قطع الآدم وكسر الاكتاف والعسب » وهل يعلم المؤلف ان هناك مصاحف تنسب الى اصحابها من الصحابة كان مسعود ومصحف أبي ومصحف زيد كانت مكتوبة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعرضها اصحابها العرضة الاخيرة عليه قبل ان يلحق بالرفيق الأعلى صلى الله عليه وسلم

هذه صفحة لم نعد اليها من الكتاب وها أنت تراها كيف مزقت شراً ممزق وذريت قطعها في الهواء . وهذه المجلة لا تنسج في هذا الباب لا أكثر من هذا ولكن ليكن القارئ على يقين من ان كل ورقة من هذا الكتاب هي هذه الورقة الممزقة . والله الامر من قبل ومن بعد

٣ — آلاء الرحمن في تفسير القرآن

تأليف محمد جواد البلاغي النجفي — الجزء الاول — مطبعة العرفان بصيدا — سنة ١٣٥٢

كان القرآن الكريم ولا يزال مادة البلاغة العربية بل مادة العقل العربي بل مادة الحياة الانسانية العالية بأدابها وعلمها وفقها واحكامها ودولتها . نزل به الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم فجمع الامة بعد شقائها وافتراقها على كلمة واحدة في قلب رجل واحد أينما سارت سجدت لها العروش ودانت لها الملوك وخضعت لها الرقاب واستقبلتها القلوب وانقادت لها النفوس وعلا بها الحق واضاء بها الوجود حتى اذا تمت لها المعجزة في اخضاع العالم للحق

واخراجه من ظلمات البشريات أعناقها ، وظهر الخلاف ضعيفاً متقارباً وكثر الخلاف واتسع والنحل المتخاصمة وبقي الامور واستحل القتل يتبع أحوال الفرق وينبئ عليها المذهب ليس وجر وراءه أمة من الناس ابراهيم النظام رأس ال « وكان ابراهيم مأمون عيبه الذي لا يفارقه فلم كان بدل تصحيحه ولكنه كان يظن الظن جزم عليه وحكاة عن رأيت » اه . وهذه قدمنا هذه الكلمة

من اهل الاسلام افترق وبقاؤها في عقبه ، ولكم والذي يهمنا ان هذه من الكتب شيء كثير من كتبهم الا ما قرأنا ارى بين يدي تفسيراً الخلف بين ما قرأته عن الاشارة الى ان اهل العدو من ورائهم ولا يخرج العرب بعد فئة فائبتوا واذكروا تنازعوا فتنفسوا

واخراجه من ظلمات الباطل الى نهار الحق بدأت طبيعة الحياة تفعل فعلها وتفتن فتنها فددت الشبهات أعناقها ، وظهر الخلاف بين الناس الا ان الشبهات كانت لاول عهدها خفية قليلة وكان الخلاف ضعيفاً متقارباً ثم بدأ الجدل والعجاج والعناد الانساني البغيض حتى استحسنت الشبهة وكثر الخلاف واتسع ما بين أصحاب الرأيين وتعصب هذا وتنطع ذاك فخرجت الفرق المتعادية والنحل المتخصصة وبقي كل فريق يطلب النصر لرأيه لا للحق وبذلك اضطرب الجبل وفسدت الامور واستحل القتال وضعفت الدولة . وهذه صورة يتكرر ظهورها في التاريخ . ومن يتتبع أحوال الفرق وأسباب نشأتها واطوار نموها وضعفها يعلم ان الخلاف او الشبهة التي يبنى عليها المذهب ليست الا كبوة عقل واحد في رجل من أصحاب الرأي اناس في آثارها وجرراً وراءه أمة من الناس تعصبوا له ، فانكبوا معه . ولا بأس ان ننقل هنا كلمة للجاحظ عن ابراهيم النظام رأس الفرقة المشهورة من المعتزلة بالنظامية قال في كتابه الحيوان ج ۲ ص ۸۳ «وكان ابراهيم مأمون اللسان قليل الزلل والزيغ في باب الصدق والكذب وانما كان عيبه الذي لا يفارقه سوء ظنه وجودة قياسه على العارض والخطر والسابق الذي لا يوثق بمثله فلم كان بدل تصحيحه القياس التمس تصحيح الاصل الذي قاس عليه ، كان امره على الخلاص ، ولكنه كان يظن الظن ثم يقيس عليه ، وينسى ان بدء أمره كان ظناً ، فاذا اتقن ذلك وايقن جزم عليه وحكاة عن صاحبه حكاية المستبصر في صحة معناه ، ولكنه كان لا يقول سمعت ولا رأيت » اه . وهذه صفة رؤوس الفرق جميعاً في كل ملّة وفي كل علم

قدمنا هذه الكلمة بين يدي هذا الكتاب ، لان مؤلفه من علماء الامامية ، وهم فرقة من اهل الاسلام افترقت فيما بعد الى فرق كثيرة واصل عقيدتها امامة علي رضي الله عنه وبقاؤها في عقبه ، ولل كلام على الامامية وتفصيل مذهبها ذبول طويلة ليس هذا موضع ذكرها والذي يهمنا ان هذه الفرقة كان لها في الاسلام شأن عظيم والّف في الرد على مذاهب اهلها من الكتب شيء كثير . وقد قرأنا عنها مذاهب عجيبية لا يقرها عقل . ولم يصل الى ايدينا من كتبهم الا ما قرأناه من النصوص المنقولة عن كتبهم في الرد عليهم فسرني كثيراً ان ارى بين يدي تفسيراً لعالم من علماء هذه الفرقة ، وان اجد هذا التفسير قد قرب مسافة الخلف بين ما قرأته عن الامامية وبين عقيدتي وعقيدة اكثر المسلمين . وهنا لا نجد بدءاً من الاشارة الى ان اهل الفرق والمذاهب لا يزالون في غفلة عن الحياة . فهم يتقسمون امرهم بينهم والعدو من ورائهم وامامهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم يعد العدو ويتوثب للفريسة الغافلة ولا يخرج للعرب بعد اليوم الا ان يرجعوا الى حكم الله اذ يقول « يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصّابرين » . ولا بدّ ايضاً من ان

قد فادى
فيومئذ
بمد الله بن
عبد البر
الكتابة
له على عهد
تتبع من
جمعه بين
لتدوين .
وقال له
يت عليه
ول عمر
لم الى ان
ذلك شيء
المؤلف
حف زيد
عليه قبل

ت قطعها
على يقين
ن بعد

۱۳۵
ة الحياة
صلى الله
ما سارت
نادت لها
لم للحق

ترجعوا الى كتابهم وسنة رسولهم مخلصين
لا يؤولون ولا يحرفون الكلم من بعد مواضعه
وان يتركوا وراءهم ظهرياً اقرال رؤوس الفرق
وأتمتها فلهم أصل البلاء ومادة الشر ، ولا
حياة لامة على الامر الذي لا يحوى الخلاف
فيه الا الفرقة والخصومة والشنآن والعداوة
المتوارثة ونسأل الله ان يجعل آخر امر المسلمين
والناس جميعاً كاوله ألفمةً وارتباطاً وصفاءً
وعملاً خالصاً لله لا للشهوات والاهواء
محمود محمد شاكر

ابن خلدون

سيرته وتراثه الفكري

نشرنا في مقالات هذا الجزء الجانب
الاكبر من فصل ممتع في « ابن خلدون
والنقد الحديث » عن كتاب الاستاذ محمد عبد
الله عنان . وقد ضاق هذا الجزء عن بحث
جدير بما طناه المؤلف من مشاق البحث في
تأليف هذا السفر النفيس

نظم تعليم ذوي ال
الاستاذ وضع كتاب
كما اننا نأخذ على ال
لفظ (اكاديمي البند
ومع ذلك فالك

التعليم ان يدرسه با

كتابان مسقة

يشتمل الكتاب

وقواعد اللغة ، و

في التربية والتعليم

وعناية الاستاذ

مشكور ، لان النقة

الطرق العامة في التد

او ابتكارها على انفس

الاحوال ان تقارير

لدراسة طرق تدريس

الأمثلة التي يشاهد

التلاميذ في دروس

العربية كثيرة اور

اللغة ، التجديد في

وحبذا لو نهج

في تدوين ملاحظاتهم

عليه المعلمون الناش

بقلم الاديب عبد

وآثاره ومنشأته

حزه

كتب جديدة في التربية

انظمة التعليم

وضع الاستاذ احمد سامح الخالدي مدير الكلية العربية واستاذ التربية بها
الجزء الاول — ١٦٠ صفحة بالقطع الكبير — مطبعة بيت القدس

دراسة نظم التعليم في البلاد الناهضة كاوربا واميركا ليس الغرض منها اثبات نجاحها ، فنظم
التعليم كالحياة نفسها سائرة متغيرة ، واذا نجح نظام تعليمي في بلد فليس معناه امكان نجاحه
في بلد آخر وهذا ما يؤكده المؤلف في مقدمة كتابه ، فتراه يحذر المدرس العربي بقوله « فاحذر
وانت تنقل هذه (الغرسات) الى بلادك واذكر ان ماء الاردن غير ماء التيمس ومناخ برلين
غير مناخ فلسطين »

ومباحث الكتاب يمكن تقسيمها الى فصلين (اولاً) نظم التعليم في المانيا وفرنسا وتركيا
(ثانياً) نظم التعليم الثانوي في اوربا واميركا . ونحن لا ندرى الحكمة في هذا التقسيم ، إذ كان
اقرب الى تنظيم العمل ان يخصص الاستاذ الخالدي هذا الجزء من كتابه لدراسة نظم التعليم
المختلفة فبدلاً من مقارنة نظم التعليم الثانوي كان عليه ان يتم دراسة نظم التعليم في انكلترا
وسويسرا والدنمارك واميركا ويعرج على الشرق ويدرس مصر وغيرها . وعندئذ تقيسر
المقابلة بين هذه النظم

وعند دراسة نظام التعليم الالماني اهل الاستاذ دراسة نظام رياض الاطفال Kindergarten
وبيوت صغار الاطفال وهي ما تتميز به التربية الالمانية وقد استطاع اقتباسه مباشرة في الشرق
بلا قيد ولا شرط ، كما كان يحذر بالمؤلف ان يربط دراسة النمسا بألمانيا ويبسط لنا طرفاً عن

نظم تعليم ذوي العاهات والشواذ ، والتعليم العسكري الالماني في هذه المدارس ولو ان الاستاذ وضع كتابه بشيء من الصور التي تمثل الحياة الاجتماعية لكان اكثر تأكيذاً لكلامه . كما اننا نأخذ على الاستاذ المؤلف تعريب كثير من المصطلحات اللاتينية كما هي كاستخدام لفظ (اكاديمي البيداغوجيا) بدلاً من «معهد التربية» مع سهولة هذه وتأديتها للغرض ومع ذلك فالكتاب قد ملأ فراغاً في التأليف العربي ، وجدير بكل مشغل بشؤون التعليم ان يدرسه بامعان لا ان يقتنيه فقط

محاضرات ومقالات في التربية والتعليم

كتابان مستقلان — ٧٤ ، ١٠٤ صحيفة بالقطع المتوسط — مطبعة الكشف بيروت

يشتمل الكتاب الاول (محاضرات في التربية والتعليم) على ثلاثة بحوث ، في تدريس اللغة ، وقواعد اللغة ، وتنظيم المدرسة ذات المعلم الواحد . كما يشتمل الكتاب الثاني (مقالات في التربية والتعليم) على بحوث خاصة بتدريس اللغة العربية واخرى مترجمة او مقتبسة وعناية الاستاذ بارودي احد مفتشي المعارف في لبنان بطرق تدريس اللغة العربية امر مشكور ، لان النقل والاقتباس عن الغرب يقصر عند هذا الحد ، فان كنا نأخذ عن الغرب الطرق العامة في التدريس ، فان طرق تدريس المواد ولا سيما اللغة لابد وان نعتمد في اختيارها او ابتكارها على انفسنا ، فكل لغة لها مميزاتها وخصائصها . واللغة العربية لا يمكن بحال من الاحوال ان تقارن باية لغة اوربية . فلو ان الاستاذ قد خصص كتابيه او احدهما على الاقل لدراسة طرق تدريس اللغة العربية بكل فروعها لكان ذلك اكثر فائدة ، ولو انه قد اكثر من الأمثلة التي يشاهدها في تفتيشه على المدارس اللبنانية (كالمصاعب التي يلاقها المعلمون او التلاميذ في دروس اللغة) لكانت بحوثه اقرب نقعاً . والصعوبات التي تعترض تدريس اللغة العربية كثيرة اورد بعضها المؤلف ومثال ذلك «تدريس الهجاء ، تشكيل الحروف ، قواعد اللغة ، التجديد في تدريس الانشاء ، الخط » مما يعرفه المشتغلون بتدريس اللغة العربية وحبذا لو نهج المشتغلون بالتعليم من مفتشين ونظار ومعلمين نهج الاستاذ واصف بارودي في تدوين ملاحظاتهم وتجاربهم الخاصة بشؤون التعليم ، فانها تكون بذلك المرجع الذي يعتمد عليه المعلمون الناشئون والباحثون في مشاكل التعليم في البلاد العربية احمد عطية الله

ذكرى الدكتور محمد بن ابي شنب

بقلم الاديب عبد الرحمن الجيالي ويحتوي على نسب صاحب الذكرى ونشأته وعلمه واخلاقه وآثاره ومنشأته — ويطلب من المكتبة الادبية بالجزائر ومئة ١٠ فرنكات

الجانب
خلدون
محمد عبد
عن بحث
بحث في

نظامها ، فنظم
كان نجاحه
له « فاحذر
نسخ برلين

نسا وتركيا
م ، إذ كان
لم التعليم
ب انكلترا
نذ تيسر

Kinderg

في الشرق

طرفاً عن

الفلاح الاقتصادي

مجلة زراعية اقتصادية — لنشئها ثابت ثابت — مطبعة المقطم وتوزع مجاناً
لثابت افندي ثابت ، منشئ هذه المجلة ورئيس تحريرها ، عناية خاصة بالموضوعات
الاقتصادية والزراعية تشهد بذلك مقالاته المفيدة في المقطم التي يودعها كل سنة زبدة مشاهداته
في بلدان اوربا واحوالها الاقتصادية والعمرانية . وله علاوة على ذلك اهتمام عملي خاص بشؤون
مصر الزراعية ، وهو الذي ما برح يخالط الفلاح المصري من عشرين سنة او تزيد ، فدرس
احواله ونفذ الى رغائبه وآماله . فرأى ان ينشئ هذه المجلة لتكون مرشداً ومؤازراً للفلاح
في هذا البلد « الذي نعيش بخيره ونشارك في سرّائه وضرّائه . والمساهمة في ارشاد خاصته
وعامة الى الطرق الحديثة التي تؤول الى تحسين تربته واثماء زراعته وصناعاته وزيادة انتاجه
بالوسائل التي عمدت اليها شعوب وبلدان اخرى فأصابته بها اوفر قسط من زكاء الربح من
الرفاهة والرخاء » . والعجيب في امر هذه المجلة ، ان منشئها قد عمد الى توزيعها من دون لقاء
زيادة في نشر الفوائد التي تجني من مباحثها — وكل بحث ينطوي على فائدة خاصة
وقد جعلت ابوابها خاصة بالزراعة والصناعة ، والمال والتجارة ، وفي كل باب منها مباحث
غزيرة المادة بليغة الاسلوب حجة الفائدة . ونخالنا لا نكون مبالغين اذا قلنا ان رجال الزراعة
والاعمال في القطر يحسنون صنعا باجتناء فوائدها مطالعة وحفظ اعدادها لتكون لهم
مرجعاً ومعاداً

وقد حلي العدد الاول منها بقصيدة للشاعر الكبير خليل مطران نظمها لما « اقتضت حكمة
حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك أيده الله ان يشتري لحضرة صاحب السمو الامير فاروق
ولي عهده تفتيش المطاعنة بالصعيد من شركة السكر فأصبح سموه بذلك بعد جلالة والده في
طلية زراع القطر » قال الشاعر منها

ليست مشاركة الامير لضيعة ضعة وما الجهد المغل بضائع
ان الفلاحة والفلاح تسلسلا لفظاً ومعنى من نجار جامع
وقال في وصف جلالة الملك

لحظ الرمال القاحلات فنضرت وازينت بمغارس ومزارع
لحظ المدائن والقرى فتجمعت وتكملت بمدارس ومصانع
لحظ الثقافة للعقول فأخرجت ما طاب من ثمر العقول اليانع
لحظ الرياضة للجسوم فهيأت نشأ جديد عزائم ونوازع
لحظ العلوم فما ترى من روضة الأظاء الطير حول مشاريع
لحظ الفنون فعاد مؤتفكاً بها ما كان من فضل قديم بارع

يسوغ لنا
الكهربائية لفظاً
للعين في معاجم
القاهرة وغيرها
السري « البصر
الكهربائية شأناً
ومرافق الحياة
ادلة ذلك ما بين
مقتطف نوفمبر
افتتاح معرض
البصاصة الكهرب
الرامح وتقويته
يفتحوا به ابواب
لم يسبق له نظير
علمية . وما دم
الكهربائية فلا
نشرناه في جزء ما
في باب الاخبار
السماك الرامح
في كوكبة العواء
وقد رأى علماء
المتحدة تسخير

باب الاختراع العلمي

العيون الكهربائية أيضاً
بها العمي يقرأون الكتب مباشرة

الأميركي العالمي بمدينة شيكاغو . والمعروف
عند علماء الفلك أن السماء الممتلئة بالبرق تبعد عنا
مسافة تقدر بأحدى وأربعين سنة نورية .
وقد جرب مرقب مرصد يركيز الكاسر
الذي قطر عدسته أربعون بوصة لرصد ذلك
الكوكب فجعلوا في قاعدة المرقب بطارية
كهربائية (بصاصة) حتى إذا مر طيف
الكوكب أمام عدسة المرقب المنتهي بالبطارية
أثقت الذر التقطت نوره حالاً فيولد فيها
تياراً كهربائياً يقوى ثم ينقل بالأسلاك
الأرضية إلى مدينة شيكاغو حيث يستخدم
لفتح باب المعرض وإضاءة المصابيح الكهربائية
التي فيه

وحديثنا اليوم يدور حول (الفيزاغراف)
وهي معجزة جديدة للبصاصة الكهربائية
يستفيد بها العميان واليك وصفها
لقد أتبع للعميان لأول مرة في تاريخ
الإنسان ، قراءة أي كتاب مطبوع ، وذلك
بالعيون الكهربائية المثبتة في آلة اخترعت
حديثاً تسمى « فيزاغراف » تعوض الإك
ما حرمت الطبيعة إياه من حاسة الإبصار ،
فتجعل من الحروف العادية المطبوعة في أي

يسوغ لنا لغوياً أن نطلق على العين
الكهربائية لفظ (البصاصة) لأنه مرادف
للعين في معاجم اللغة . ولا سيما أن العامة في
القاهرة وغيرها من مدن القطر تسمى البوليس
السري « البصاصة » فنقول أن للبصاصة
الكهربائية شأنًا عظيمًا في ميادين الأعمال
ومرافق الحياة عموماً في أوروبا وأمريكا ومن
أدلة ذلك ما بينناه في المقال الإضافي المنشور في
مقتطف نوفمبر الماضي . ثم ما حدث عند
افتتاح معرض شيكاغو الحالي إذ سخرت
البصاصة الكهربائية لالتقاط نور نجم السماء
الرامح وتقويته بالكهرباء حتى استطاعوا أن
يفتحوا به أبواب ذلك المعرض العالمي ، الذي
لم يسبق له نظير ، بما حواه من مستنبتات
علمية . وما دمنّا في معرض منافع البصاصة
الكهربائية فلا مندوحة لنا عن إعادة ما
نشرناه في جزء مارس سنة ١٩٣٢ من المقتطف
في باب الأخبار العلمية : —

السماء الممتلئة بالنجوم أصفر من القدر الأول
في كوكبة العواء وهي من الصور الشمالية .
وقد رأى علماء الكهربائية في الولايات
المتحدة تسخير شعاع من نوره لفتح المعرض

صوتات
شاهداته
بشؤون
فدرس
ألفلاح
خاصته
انتاجه
لربح من
ون لقاء
مباحث
الزراعة
يون لهم
ت حكمة
فاروق
والده في

كتاب حروفاً بارزة ضخمة تسهل قراءتها
لمسكاً بالبنان في هنيهة من الزمان
ومخترع الفيزاغراف هو المستر روبرت
نومبرج من ولاية مساشوسيتس من اعمال
الولايات المتحدة الاميركية وقد عرضها حديثاً
في مدينة نيويورك . وهي على شكل منضدة
من مناضد الكتابة التي توضع في مكاتب
الاشغال ودوائر الاعمال . فاذا ادخلت في الآلة
كتاباً مطبوعاً وأدرتها فتحت عينها الكهربائية
المستكنة في حامل اسطوانتي من النحاس
الاصفر فاخذت تجول في الصفحة المعروضة
من الكتاب المراد قراءته من اليسار الى اليمين
حتى تتم تصفحها . وكل ما تراه تلك العين
الكهربائية ينسخ في الحال حروفاً بارزة ، وذلك
على شريط رقيق ملفوف من الاليومنيوم
مركب على يمين الآلة

وقد جرب المخترع الفيزاغراف امام الجمهور
جاء بسيدة شابة ضريفة كان قد درّبها ٣٠ يوماً
فقط على استخدام الفيزاغراف والقراءة بها
فجاءت تقرأ من فورها امام الحضور الكلمات
التي تلمسها بنانها مؤلفة من الحروف البارزة
التي تصدر من الفيزاغراف واحداً فواحداً
فأعجب بها النظارة ايما اعجاب

واذا ما فرغ الضرب من قراءة الحروف
البارزة مطبوعة على شريط الاليومنيوم ، لمسكاً
بينانه امكنه الاحتفاظ بالشريط عينه حتى
تمس الحاجة الى قراءته مرة اخرى والا استغنى
عنه فيطمس معالمه ، وذلك بحصره بين
اسطوانتين ، يشبهان عصارة الملابس المغسولة

حيث يضغط فيملس حتى يعود الى اصله فيتمسنى
استعماله مرة اخرى عند الحاجة
والفيزاغراف مؤلفة من جزئين وهما الناقل
والطابع . فالناقل يقرأ الكتابة المطبوعة في
الكتاب ثم ينقلها الى الطابع بنضات كهربائية
فيقوم الاخير بتدوينها نقطاً وشرطاً على
شريط الاليومنيوم

ويتم ذلك الحدث باستخدام ست شعاعات
صغيرة مرتبة ترتيباً عمودياً ، على طول الخط
المطبوع من ناحية النقل . وكل شعاعة تعتبر
أداة حساسة كشافة خاصة بقضيب واحد
من القضبان الستة المؤلف منها الطابع ، والقضيب
الاسفل منها يتولى تصفح اذنان الحروف
الافرنكية مثل P. و g. فاذا اصاب شعاعة
كشافة الجزء الاسود من الحرف حركت
القضيب الطابع الخاص به فيقوم بطبع النقط
والشرط على شريط الاليومنيوم

وقد يستطيع الضرب تنظيم وضع الكتاب
المزمع قراءته . وكذلك يمكنه نقل الحامل
المحتوي على البصاصة الكهربائية من سطر الى
آخر — وقد استغرق المخترع في اختراع
الفيزاغراف اربع سنين لم يأل فيها جهداً حتى
حسّنها الى الدرجة التي هي عليها الآن
وسيجعلها تقرأ المجلات والرسائل التي تكتب
بالتيبريت (الآلة الكاتبة) في القريب العاجل .
لانه ذل العقبة الكأداء التي اعترضته في بدء
الامر وهي الوسط الصالح لتدوين الحروف
حتى عثر على ضالته في شريط الاليومنيوم

وقد عرض الاس
المهندس المستشار
بأميركا امام اعضاء
الذي اخترعه لجعل
مسموعاً . فنصب
صغيراً بمثابة مرآة ذ
في غرفة الرقص الم
نيويورك . فثبت
المشار اليه متى مس
موسيقى . وأنه اذ
المنعكسة عن المرآة
اذا بسط امرؤ اص
الاصابع فتعزف الم
اطباقاً طفيفاً تضاء
ويستفاد من
السابق الذكر يحول
الفونوغراف بنضات
نفسها امواجاً نور
وبيان ذلك ان
كهربائية تلتقط ال
محركة ثم تتحول
المرآة العاكسة لل
وذلك على امواج
ويسمى الأس
هذه rowcasting
تميزاً لها عن الاذ
broadcasting
وقد استنبط

وقد عرض الاستاذ «جون بلاي» تايلور المهندس المستشار لدى شركة الكهرباء العامة بأميركا امام اعضاء المجمع العلمي الاميركي الجهاز الذي اخترعه لجعل الصوت منظوراً والضوء مسموعاً . فنصب لهذا الغرض هدفاً زجاجياً صغيراً بمثابة مرآة ذات شكل قطع مكافئ وذلك في غرفة الرقص المظلمة في فندق استور بمدينة نيويورك . فثبت ان الضوء المتولد من الجهاز المشار اليه متى مسّت تلك المرآة تولدت منه موسيقى . وانه اذا اعترض اي شبح الشعاع المنعكسة عن المرآة ، انقطعت الموسيقى . وانه اذا بسط امرؤ اصابعه تجاه النور لتحلل النور الاصابع فتعزف الموسيقى ، واذا اطبق اصابعه اطباقاً طفيفاً انضاءت الانغام الموسيقية

ويستفاد من هذه التجربة ان الجهاز السابق الذكر يحوّل الصوت الصادر من اسطوانة الفونوغراف نبضات كهربائية فتتحوّل هذه نفسها امواجاً نورية

وبيان ذلك ان في الجهاز المستقبل بصاصة كهربائية تلتقط الضوء فتحوله قوة كهربائية محرّكة ثم تتحول هذه القوة صوتاً ينتقل من المرآة العاكسة للشعاع الى الجهاز المستقبل وذلك على امواج الضوء

ويسمى الأستاذ تايلور طريقته العلمية هذه narrowcasting اي الاذاعة المحصورة تمييزاً لها عن الاذاعة الواسعة النطاق المسماة broadcasting

وقد استنبط الدكتور هانس تيرنج

الاستاذ في احدى جامعات فيينا بالنمسا جهازاً كثير الشبه بالجهاز آنف الذكر لنقل الصوت بالضوء

بيد ان طريقة العلامة بلاي مازالت وليدة في مهد المختبرات العلمية ولما تعلم فوائدها . ومع ذلك يزعم الخبIRON بأنها ستستخدم في نقل الرسائل السرية الى الجهات القريبة في ميادين القتال وذلك بين مراكز طلائع الجيوش وفرقها في الميدان

ولما كانت اجهزة الراديو الحساسة جداً لا تبين امواج الضوء السريعة التناوب ، فاذا استعملت الأشعة التي وراء الاحمر او غيرها من الاشعة التي لا تستطيع العيون البشرية رؤيتها ، تمكنت الشعاع (ذات النور الخفي) من نقل الرسائل دون ان تراها عيون رقباء الاعداء ولا تسمعها آذانهم واما سبب كون الامواج اللاسلكية تدور حول الكرة الارضية ولا تتبع في سيرها خطاً مستقيماً فهو بحسب رأي الخبراء وجود طبقة خفية تسمى في عرفهم (السطح اللاسلكي) تحول دون اتخاذ الامواج اللاسلكية مجرى مستقيماً . واما كون اشعة النور تحترق هاتيك الطبقة فيتجلى لنا من حقيقة ان القمر ينعكس نوره على الارض . ويؤخذ مما تقدّم انه اذا تحققت في اي وقت احلام العلماء الذين يعتقدون بإمكان التراسل مع سكان الكواكب . كان رسولهم اليها حينئذ امواج النور عوض جندي

اشعة اكس مكان الراديوم

الراديوم اغلى العناصر المعروفة بل اصبح ان يقال ان اغلى الجواهر ارفع منه بكثير اذا اعتبر الوزن . وقد اكتشف في اواخر القرن الماضي وما زال منذ عهد اكتشافه على ازدياد في استعماله لمعالجة بعض الامراض والسرطان في مقدمتها وذلك لان اشعته اقوى كثيراً من اشعة اكس وانجح في بعض الامراض المذكورة

وقد عرف العلماء منذ زمان طويل انه اذا امكن الحصول على اشعة من اشعة اكس تكون «قاسية» وقصيرة الى حد محدود فان فعلها يكون كفعل اشعة الراديوم والظاهر ان هذا ما توصلوا اليه الآن في بعض معامل اميركا العلمية التابعة لاحدى الشركات الكهربائية . فقد صنعت انبوبة من اشعة اكس قوتها واماوجها مساوية للاشعة المنطلقة من مقدار هائل من الراديوم

وقد قدروا انه اذا اريد اعداد جهاز كامل من الراديوم للاستعمال في مستشفى من المستشفيات فان نفقاته لا تقل عن مائة الف جنيه ولكن جهازاً من اشعة اكس لا يكلف اكثر من ٢٠ الف جنيه

وفي العالم الآن ٥٠٠ جرام من الراديوم الصرف وثمان الجرام ١٥ الف جنيه . ومعلوم ان اول من اكتشفه مدام كوري «العالمة» الفرنسية ارملة الاستاذ كوري العالم الفرنسي

الذي قتل منذ سنين في احد شوارع باريس بصدمة سيارة عمومية . اكتشفته مدام كوري سنة ١٨٩٨ وهو يستخرج من اكسيد الاورانيوم وهذا يوجد في الاكثر في رواسب المعدن المعروف باسم البتشلند واعظم مناجمه في بوهيميا وهناك مناجم اصغر منها في كندا والبرتغال ومدغسكر ويكاد يوجد في كل تربة ولكن على قدر صغير وسبب غلائه صعوبة استخراجها

اما انبوبة اشعة اكس المشار اليها فتستعمل الآن للمعالجة في المستشفى التذكاري بمدينة نيويورك وقد عولجت بها جميع الامراض التي تعالج بالراديوم فجاءت بمثل نتائج الراديوم وبلغ عدد الذين عولجوا بها مئات ولكن اعظم امتحان لها هو في معالجة السرطان ويقال ان الاشعة قوية حتى انها تخترق النحاس الى مدى ثمن بوصة والحديد الى مدى أربع بوصات ثم تصور بها صورة فوتوغرافية وقد قال احد الخبيرين بالراديوم في انكلترا انه عرف منذ زمان طويل ان بعض اصناف اشعة اكس المعروفة باسم الاشعة «القاسية» تنجح في علاج الامراض مثل الراديوم بنفقة اقل وقد تحمل محله في المستقبل

وقال احد العلماء المشهورين المشتغلين باشعة اكس في انكلترا انه يولد منها عادة ٤٠٠ الف فولط للأعمال الصناعية التي يراد بها اختراق الفولاذ الصب واجزاء الطائرات لاكتشاف ما قد يوجد فيها من الشقوق الصغيرة

جوا
منحت جائزة
١٩٣٣ للعالم
مورغان صاحب
Geve Theony
اسس الوراثة
مقتطف ينار
جائزة نوبل
الاماني المشهور
ليبنزغ، وهو
القائم على نظرية
او المقدار
of Uncertainty
نوبل الطبيعية
ديراك الانكليزي
الاماني، لمباحث
فأستاذ في جامعة
استاذاً في جامعة
وهو الآن في
خسار

في ٢٩ اكتوبر
كالت معاون
المباحث المشهور
سنة . وفي ٣ نوفمبر
الدكتور اميل
البكتريولوجية،
وهما من اعلام
وفاته في الثمانين

جوائز نوبل العالمية

منحت جائزة نوبل الطبية عن سنة ١٩٣٣ للعالم الاميركي الاستاذ توماس هنت مورغان صاحب مذهب «العوامل الوراثية» Geve Theony في الوراثة (راجع مقالات اسس الوراثة للدكتور شريف عسيان في مقتطف يناير وفبراير سنة ١٩٣٢). ومنحت جائزة نوبل الطبيعية عن سنة ١٩٣٢ للعالم الالماني المشهور فرنهينربرج الاستاذ بجامعة ليبزغ، وهو من اساطين علم الطبيعة الحديث القائم على نظرية اينشتين ونظرية الكم Quantum او المقدار وصاحب مبدأ عدم التثبيت Principal of Uncertainty. وقسمت جائزة نوبل الطبيعية عن سنة ١٩٣٣ بين الاستاذ ديراك الانكليزي والاستاذ شرويد نغر الالماني، لمباحثهما في نظرية الكم. اما الاول فاستاذ في جامعة كمبرج. واما الثاني فكان استاذاً في جامعة زورخ ثم في جامعة برلين وهو الآن في كلية مجدلين بجامعة اكسفردي خسارة معهد باستور

في ٢٩ اكتوبر الماضي توفي الدكتور كالت معاون مدير معهد باستور وصاحب المباحث المشهورة في السل وكان عمره سبعين سنة. وفي ٣ نوفمبر فقد ذلك المعهد مديره الدكتور اميل رو الذي اشتهر بمباحثه البكتريولوجية، بالاشتراك مع باستور وبهرنغ وهما من اعلام هذا العلم في نشأته. وكان يوم وفاته في الثمانين من العمر

فقيدا الطيران المصري

في الثامن عشر من شهر نوفمبر الماضي طار سرب الطيارات المصرية الحربية من مطار «لمبد» بانكلترا بقيادة اللقنات كولونيل «تايت بك» بعد ماودعها وزير مصر المفوض في لندن وكثير من كبار الانكليز احسن وداع وعبر السرب - وهو مؤلف من عشر طيارات - بحر المانش بسلام واجتازوا الحدود الفرنسية فاذا هم يسيرون في ضباب كثيف شطر الطيارات شطرين فضلت ثلاث منها الطريق ولم تستطع اولاهما متابعة السير فسقطت بطياريهما وعطلت ثم اصاحت واصيب راكباها باصابات خفيفة وسقطت الاخرى ان فخطمتا ونجا راكبا احدهما واحترق راكبا الثالثة وقد كانا مع الأسف مصريين هما المرحومان الملازم الأول فؤاد حجاج قائد الطائرة وشهيد دوس ميكانيكيها

اما الطيارات الباقية فواصلت سيرها حتى وصلت الى مطار «ليورجيه» سالملة بحمد الله ونقلت الجثتان الى باريس وصلي على احدهما في مسجد باريس وشيعتا في موكب حافل الى محطة ليون لا يصلها الى مرسيليا ومنها ارسلتا بالباخرة «مريت باشا» الى الاسكندرية فوصلتا يوم الثلاثاء ٢٨ نوفمبر وشيعتا في اليوم التالي باحتفال عظيم مهيب سار فيه وزير الحربية وجميع وحدات الجيش بملابسهم العسكرية ونقابة المحامين وطلبة الجامعة والمدارس وشتى الطبقات

رع باريس
ته مدام
ن اكسيد
يرواسب
واعظم
صغير منها
كاد يوجد
وسبب

لشار إليها
التذكاري
مع الامراض
لج الراديو
ولكن
لسرطان
انها تحترق
د الى مدى
وتوغرافية
م في انكلترا
من اصناف
«القاسية»
يوم بنفقة

المشتغلين
منها عادة
ة التي يرا
الطائرات
ق الصغيرة

الجزء الخامس من المجلد الثالث و الثمانين

صفحة

السر السر لدج . لفتواد صرثوف	٥٠١
معرض المذاهب السياسية . للدكتور عبد الرحمن شهبندر	٥١٠
عدلي يكن باشا . تحليل بك ثابت (مصورة)	٥١٦
السان المستقبل	٥١٩
الواحة المنسية (قصيدة) . لحسن كامل الصيرفي	٥٢٤
فلسفة التحليل النفسي	٥٢٥
مصطلحات علم النفس . للدكتور محمد مظهر سعيد	٥٢٩
الكتب والكتاب والقرآن	٥٣٥
تخطيط القسطاط . للاستاذ محمود احمد	٥٤٠
أدب الصومعة وأدب الحياة . للاستاذ امين نخله	٥٤٨
الزراعة المصرية القديمة . للدكتور حسن كمال (مصورة)	٥٥٢
نافذة (قصيدة)	٥٥٩
استدراك على معجم الحيوان . للدكتور معلوف باشا	٥٦٠
ابن خلدون والنقد الحديث . للاستاذ محمد عبدالله عنان (مصورة)	٥٦٢
المعجم الحرر . لأمين ظاهر خير الله	٥٧٠
اصل الحياة (قصيدة) . لمصطفى جواد	٥٧٣
القوى الروحية في الصين . لكلود فاريير	٥٧٦
العطور واستخراجها	٥٨٣
بول پانيلقه	٥٨٦
داود بركات . لبولس غانم (مصورة)	٥٨٩
البصيرة (قصيدة لامارتين) . لجورج نيقولاوس	٥٩٣
اكتشاف أثري عظيم الشأن	٥٩٦
باب الزراعة والاقتصاد * نهضة اليابان الصناعية	٥٩٧
مكتبة المقتطف * آداب الطب . اسماعيل المئري عليه . صناجة الرياني . الاسلام والقبائل	٦٠٣
في مستعمرة نيجاريا . ترجمة حديثة للقرآن . سيرة حياتي . أتم الشعراء . تاريخ مصر الاسلامية .	
آلاء الرحمن في تفسير القرآن . انظمة التعليم . محاضرات ومقالات في التعليم . ذكرى الدكتور	
محمد بن ابي شنب . الفلاح الاقتصادي	
باب الاخبار العلمية وفيه ٥ بند	٦٢٣

١٠٠٤٩٨٧
٧٦